١- كتاب الأدب

٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

الحديث رقم (٦٨١)

٦٨١- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أخَاهُ في الحيَاء، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث في الترغيب في الحياء، وقوله: (من الأنصار) والألف، واللام فيه للعهد أي أنصار رسول الله الذين آووا ونصروا من أهل المدينة رضي الله عنهم قوله (وهو يعظ أخاه) أخاه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الرجل الذي وعظ أخا للواعظ في الإسلام على ما هو عرف الشرع فعلى هذا يكون مجازا لغويا، أو حقيقة عرفية، والآخر، وهو الظاهر أن يكون أخاه في القرابة، والنسب فعلى هذا هو حقيقة قوله (في الحياء) فيه إيجاز بالحذف أي: في شأن الحياء، وفي حقه، ومعناه: أنه ينهاه عنه ويخوفه منه فزجره النبي عن وعظه فقال (دعه) أي اتركه على حيائه فإن الحياء من الإيمان، والوعظ الزجر يعني يزجره عن الحياء ويقول له لا تستحي فقال رسول الله ﷺ (دعه) يستحي فإن الحياء من الإيمان إذ الشخص يكف عن أشياء من مناهي الشرع للحياء، ويكثر مثل هذا في زماننا، وقيل: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه وقوله (فإن الحياء) وجه التأكيد بأن فيه أن المخاطب كان شاكا أو كان منكرا له؛ لأنه منعه من ذلك فلو

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤ واللفظ له، ومسلم ٣٦/٥٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٦.

كان معترفا بأنه من الإيمان لما منعه من ذلك، أو جعل كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، ويجوز أن يكون هذا من باب التأكيد لدفع إنكار غير المخاطب، ويجوز أن يكون التأكيد من جهة أن القصة في نفسها مما يجب أن يهتم بها، ويؤكد عليها، وإن لم يكن ثمة إنكار، أو شك من أحد[(١)].

المضامين الدعوية[(٢)]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ربعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء.

خامسًا: من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه:

في الحديث ورد أنموذج يحتذى به في وعظ المسلم لأخيه، "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ". وإن وعظ المسلم لأخيه من الأهمية بمكان، فإن الوعظ - والإرشاد وتوجيه الناس الوجهة الصحيحة، بناء للأمم وحفاظ للمجتمعات، يمنعها من التردي في مهاوى الضلال والفساد، وإن شعور كل امرئ بأن في الجماعة من يعظه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، يدفعه إلى الكمال، والسير في طريق الرقى[(٣)] وقد جعل الله الموعظة أحد ركائز الدعوة الإسلامية، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٢٤)

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٨١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٨٢)

(٣) الخطابة، محمد أبو زهرة ص ١٩١.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

يقول د. محمود محمد حجازي في تفسير الآية: "هذه تذكرة الدعاة والمرشدين وقانون سنه لهم رب العالمين، والمعنى: كل خير في الوجود لابد له من دعاة ومحامين يدافعون عنه ويشرحون حقيقته، ويبينون أغراضه ومراميه، إذ الحق وحده لا يستوي قائمًا أمام أعاصير الدنيا، وألاعيب الشيطان، وغرائز الإنسان الفطرية، التي تدعوه إلى التحلل، فعلى المسلمين الدعوة بالموعظة الحسنة، التي تستحسنها العقول السليمة، وتألفها الطباع المستقيمة"[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الموعظة:

ورد أسلوب الموعظة في الحديث: "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ"، والموعظة من آكد الأساليب الدعوية تأثيرًا، لما فيها من النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل، وفيها العلاج الناجح لصلاح العالم[2]. ولأهمية الوعظ ذكر الله هذه المادة في القرآن في مواضع متعددة، بل إن الله سبحانه ليسند الوعظ إلى نفسه، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[4].

فالوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب، من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية، فالترغيب والترهيب اللذان هما ركنا الموعظة الحسنة يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ، والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان، ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات، فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه، وتشد رغائبه، وترتقي به إلى

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٦/١٤/٢.

(٢) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه، إلى جانب أنها تنبه مشاعره، وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة، إذا ما اقترف معصية وأصر عليها[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "دعه فإن الحياء من الإيمان" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان الحقائق للمدعوين وحملهم عليها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء:

إن الحياء من الأخلاق السَّنِيَّة، ولا أَبْيَنَ لفضل الحياء من قول رسول الله ﷺ في الحديث "دعه فإن الحياء من الإيمان"، قال ابن قتيبة، معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان[٢]، ووصف النبي ﷺ بأنه فيه الخير، بل كله خير فقال: "الحياء خير كله أو قال الحياء كله خير"[٣]، يقول الإمام الماوردي: سمة الخير: الدَّعَةُ والحياء، وسمة الشر: القحة والبذاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاء شرًا أن يكونا إلى الشر سبيلاً، ويقول بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه. وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذ َقلَّ ماءُ الوجه قَلَّ حياؤُه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤُه

حَيَاءَكَ فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه[٤]،[٥]

ثم إن الحياء مظهر من مظاهر علو الهمة، فالإنسان لا يستحي من الكمال، وإنما

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٩٤/١.

(٣) أخرجه مسلم ٣١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢.

يستحي مما فيه نقص، أو مما يخشى أن يكون فيه نقص، لذلك فالحياء من علو النفس، وحبها للكمال، وحرصها على أن تتصف بصفاته[(١)].

فالحياء وازع من كل قبيح، فمن لاحظ جانب العباد استحى منهم، ومن لاحظ جانب الله استحى منه، ومن لاحظ الجانبين أعطى كل واحد منهما حقه من الحياء، ومن اطرح الحياء صنع ما شاء من القبائح والسيئات[(٢)]، وذلك المعنى ما جاء فيما روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[(٣)].

وقد صرح النبي ﷺ في الحديث بفضل الحياء فقال: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله " إذ أن الحياء يمنع القبائح[(٤)]، ويدفع إلى فعل المحاسن، وهو أصل لكل خير. يقول ابن القيم: "وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأَجَلّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء"[(٥)] ولله در القائل:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاء[(٦)]

كما أن الحياء من الأخلاق الفاضلة، التي تضافرت نصوص من السنة على الحث

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام ص ١٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٨٤.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ١٠٤.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم، ١٠٤/٢.

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ١٥٥، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨١١/٥.

عليها، التحلي بها، وبيان ما فيه من خير، وكما في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقوله "الحياء خير كله"، وقال ﷺ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبَذاء من الجفاء والجفاء في النار"[١].

واستوصت الأمة سلفًا وخلفًا بالتحلي بخلق الحياء، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل"[٢].

فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه الباطل بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فإن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياءً تشبيهًا ومجازًا، فلقد كان رسول الله ﷺ لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله[٣]، مع أنه قد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، ومع ذلك لم يمنعه حياؤه عن قولة الحق والدعوة إليه.

خامسًا- من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان:

إن من أهداف الدعوة ربط الأعمال والسلوكيات بالإيمان، وفي الحديث تطبيق لذلك، فقال ﷺ " دعه فإن الحياء من الإيمان"، فإن ربط السلوكيات بالإيمان أحد الطرق المهمة لدفع الإنسان لمزيد من الأعمال الصالحة والأنشطة النافعة، ولتقليص السلوكيات المشينة والأعمال الرديئة[٤].

فالإيمان مستلزم للعمل[٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠٠٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٤).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٢٠.

(٣) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ٢/٥٤.

(٤) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز محمد النغميشي ص ١٣٩.

(٥) انظر: كتاب الإيمان، لابن تيمية ص ١٥٢.

سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١]، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان، فما أن يستقر الإيمان في قلب الإنسان، فإنه يسعى إلى تحقيقه في واقع الحياة على هيئة أعمال صالحة، تُكَوِّنُ لديه شخصية إسلامية بارزة في هذه الحياة، وهذا هو الإيمان الذي يريده المنهج الإسلامي، وبذلك يتراءى لنا ذلك الرباط الوثيق بين الإيمان والعمل، كما أن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن يجعلها الداعي نصب عينيه، تعميق خلق الحياء بين المسلمين، وذلك ما أشارت إليه الأحاديث، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقال: "الحياء كله خير"، فإن الحياء سبب من أسباب بناء المجتمعات النظيفة، البريئة من الأمراض الاجتماعية، والأخلاق الذميمة، فالحياء يحجز صاحبه عن الفواحش، وإن غلبته نفسه، وسقط في شيء من أوحالها، تستر واستحيا[٢]، وذلك مما يقلل من شيوع المعصية في المجتمع، ولذلك صرح النبي ﷺ: بأن من تجرد من الحياء وجاهر بالمعصية لَنْ يعفى من العقوبة، لما في ذلك من شيوع للمعصية، وتحريض عليها، وتحبيب وتشويق الأنفس إليها، فقال ﷺ: ((كلُّ أمَّتي مُعَافى إلا المجاهرين ...))[٣].

وذلك أن المجاهرة بالسوء والمعاصي تنبئ عن انعدام الحياء، فإذا عرى الإنسان من الحياء، وعطل من التحلي به، فلا تسل عما سيقترفه من رذائل، ولا تعجب مما سيرتكبه من حماقات، فقليل الحياء لا يأبه بدنو همته، ولا يبالي بسفول قدره، ولا يجد ما يبعثه للفضائل، ولا ما يقصره عن الرذائل[٤]. وقد رتب القرآن الكريم على الربط بينهما صلاح الدنيا والآخرة لتلك الشخصية المسلمة[٥]، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٥.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٩-٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠.

(٤) سوء الخلق، مظاهره، اسبابه، علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦، ٣٧.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ١٦٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ٩٧.

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب الرسول ﷺ في الحياء بما يكمن فيه، وما يترتب عليه من خير، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله" وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوءان بما يرغب الناس في قبول الدعوة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب، وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[١].

والترغيب من أبرز الأساليب الدعوية ورودًا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، التي هي أحد الركائز الدعوية الأساسية والتي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢]، فالمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد[٣].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج٢/٦٨٨.

الحديث رقم (٦٨٢)

٦٨٢- وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ[2]: ((الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ)) أَوْ قَالَ: ((الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ)).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في الحياء يتكون من جملة واحدة قصيرة في صورة الخبر المؤكد بمؤكد واحد وهو القصر، فعبارة الرسول ﷺ (الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيْرٍ) جاءت في ثوب القصر حيث قصر ما يأتي به الحياء على الخير، ونفى عنه الإتيان بالشر، وحقيقة الحياء: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ومعنى العبارة النبوية: أن من استحى من الناس أن يروه يأتي بالفجور، وارتكاب المحارم فذلك داعيه إلى أن يكون أشد حياء من الله تعالى، ومن استحى من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه، وركوب معاصيه، والحياء يمنع من الفواحش، ويحمل على البر، والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور، ويبعده عن المعاصي، ويحمله على الطاعات.

المضامين الدعوية[3]

(١) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٦٠/٣٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٧.

(٢) برقم (٦١/٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨٧).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٨٣)

٦٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إلـهَ إلاَّ الله، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"البِضْعُ": بكسر الباء، ويجوز فتحها، وهو من الثلاثة إلى العشرة "والشُّعْبَةُ": القطعة والخَصْلة. "والإماطَةُ": الإزالة. "والأَذى": ما يُؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقَذَرٍ ونحو ذلك.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: القِطعة والخصلة[2].

إماطة: إزالة[3].

الأذى: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقابل به خالي الذهن من الخبر يقوم على إجمال يتلوه تفصيل، وهو ما يحقق التشويق لمتابعة الخبر مع توكيده بذكره مجملا ثم مفصلا فالإجمال في قوله: (الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً)، والإيمان اسم يشمل عقائد القلب، وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله، وما

---

(١) أخرجه البخاري ٩ الشطر الأول فقط، ومسلم ٣٥/٥٧ واللفظ له، وتقدم برقم ١٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٤.

يحبه ويرضاه، من واجب ومستحب، فإنه داخل في الإيمان، ثم بدأ تفصيل هذا الإجمال مع ترقب المخاطبين الذي حققه الإجمال: ((فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّه))، لأنها السبيل لقبول الأعمال وعلامة الإخلاص قرارها في القلب، وذكر أدناها لكي يفتح بابا لفعل الخيرات بكافة أشكالها تتميز باليسر، وقلة الكلفة يستطيع كل مسلم أن يأتيها حتى تلك التي يظن الإنسان حقارتها؛ فإنها داخلة في مفهوم الإيمان لأنه المحرك إليها، وقوله: (وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ)، وذكر هنا أعلاه، وأدناه، وما بين ذلك، وهو الحياء. « والحياء شعبة من الإيمان » ولعل ذكر الحياء ؛ لأنه السبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإن من استحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجليه عليه بأسمائه الحسنى، والعبد - مع هذا كثير التقصير مع هذا الرب الجليل الكبير يظلم نفسه، ويجني عليها - أوجب له هذا الحياء التوقي من الجرائم، والقيام بالواجبات، والمستحبات.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٥).

الحديث رقم (٦٨٤)

٦٨٤- وعن أَبي سعيدٍ الخدري ﵁ ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِه. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الحَقِّ. وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القاسم الْجُنَيْدِ، قَالَ: الحيَاءُ: رُؤيَةُ الآلاءِ -أيْ النِّعَمِ- ورُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً[2]. وَالله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

العذراء: المرأة البكر[3].

خدرها : الموضع الذي تحبس فيه العذراء وتستتر[4].

الشرح الأدبي

قول (كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً) يشير إلى أن شدة الحياء كانت له عادة، وطبعا فاق فيه أكثر أمثلة الحياء دل على ذلك التعبير بأفعل التفضيل المضافة للصفة (أشد حياء) والمفضل عليه هو النموذج الأعلى الذي يعهد فيه شدة الحياء، وهو العذراء وهو التي لم تتزوج، وقوله (في خدرها) هو تتميم بلاغي أفاد المبالغة في كمال حيائها الذي لم ينتقص بالتكشف على الناس؛ فإن العذراء في خدرها تكون أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه، وهو ما يشير إلى أن حياء المرأة أوفر ما يكون مع قلة خروجها،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٦٧/ ٢٣٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (١/ ٢٢١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٥٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٥٣٩، وفي معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي (١٧١): غرفة من السكن تخصص للبنت لا يدخلها أحد إلا بإذنها.

فإذا كثر خروجها، واختلاطها بالناس ذهب حياؤها، وهو أمر مشاهد في نساء عصرنا وجرأتهن التي جرَّت على الأمة البلاء - نسأل الله لهم الهداية، والعودة للقدوة بأمهات المؤمنين - وقد بيَّن أثر الحياء الباطني على التصرف الظاهري للقدوة العظمى في الرسول ﷺ في قوله: (فإذا رأى شيئا يكرهه) أي من جهة الطبع، أو من طريق الشرع عرفناه في وجهه أي من أثر التغير فأزلناه فإنه ما كان يعاين أحدا بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة قال النووي معناه أنه لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته، وفيه فضيلة الحياء، وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف، والخور.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ.

ثالثاً: من صفات الداعية: الحياء

رابعاً: من آداب المدعو: التخلق بالحياء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، ليدل على أن الحياة كان من أخلاق الرسول ﷺ، وذلك أدعى ما يكون إلى التخلق به، اقتداءً برسول الله ﷺ "كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، إذ أن غرس الرجاء في النفوس، والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يؤهله لنفحات الله وعطائه[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ:

لقد تحلى النبي ﷺ بكمالات الأخلاق، وامتثل بها مثولاً يسمو إلى صورة

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٥.

الكمال[١]، ومن ذلك حياؤه ﷺ، وكما جاء في الحديث "كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراءِ في خِدْرها". لما جبل عليه من كمال وهمة عالية[٢]. ونضرب مثلاً تطبيقياً من حياته ﷺ دال على شدة حيائه[٣]. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بُنِيَ عَلَى النبيِّ ﷺ بزينبَ بنتِ جحشٍ بخبزٍ ولحمٍ، فأُرسلتُ عَلَى الطعام داعياً، فَيَجيء قوم فيأكلونَ ويَخرجون ثم يَجيء قومٌ فيأكلونَ ويخرجون، فدَعَوتُ حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامَكم. وبقيَ ثلاثة رَهطٍ يَتحدَّثونَ في البيت، فخرجَ النبيُّ ﷺ فانطلَق إلى حُجرةِ عائشةَ فقال: السلام عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ الله، فقالت: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كَيفَ وَجدتَ أهلك، باركَ اللّهُ لك. فتَقرَّى النبيُّ ﷺ حُجَرَ نسائِهِ كلِّهن، يقول لهنَّ كما يقول لعائشةَ، ويَقُلنَ له كما قالت عائشة. ثم رجعَ النبيُّ ﷺ فإذا ثلاثةٌ من رهط في البيتِ يتحدَّثون -وكان النبيُّ ﷺ شديدَ الحياء- فخرجَ مُنْطَلِقاً نحوَ حجرةِ عائشةَ، فما أدري آخْبَرْته أو أُخبِرَ أنَّ القوم خرجوا، فرجعَ حتى إذا وضعَ رِجلَه في أُسْكُفَّةِ الباب داخلةً وأُخرى خارجةً أرخى السترَ بيني وبينَه، وأنزِلت آية الحجاب))[٤].

وذلك من دلائل حيائه وكريم أخلاقه، فلقد كان ﷺ لطيف العشرة رقيق الظاهر، رقيق الإحساس، لطيف المشاعر، وذلك من عظم خلقه، وحسن عشيرته، وأدبه مع أصناف الخلق، وذلك مما انتشرت به الأخبار الصحاح[٥].

ثالثاً- من صفات الداعية: الحياء:

إن هناك صفات بارزة يحتاجها الداعية دائماً، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه

---

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ٩٢، ١٠٣.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٧٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨٠٨/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٩٣، ومسلم ١٤٢٨

(٥) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٦.

النجاح في دعوة الناس، ومن أهمها الحياء الذي يمنع صاحبه من الميل عن الطريق المستقيم[1]. ولذا بين النبي ﷺ أن في الحياء إبعادًا عن كل شر، وإتيانًا بكل خير، فجاء في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير" ولا يراد بالحياء هنا الجبن والخور، وإنما يراد الحياء بمعانيه الفاضلة، فهو امتثال لأوامر الله، والكف عن زواجره، والكف عن أذى الناس وترك المجاهرة بالقبيح، والحياء من النفس، وذلك بالعفة وصيانة الخلوات[2]، فإذا لم يتجمل الداعية بالأخلاق الحميدة، ومنها الحياء، كان أصرف ما يكون للناس عن دعوته.

رابعاً- من آداب المدعو: التخلق بالحياء:

إن في بيان النبي ﷺ لفضل الحياء وأثره الإيجابي دعوة إلى التخلق والتحلي بهذا الأدب الرفيع، فقال ﷺ "الحياء لا يأتي إلا بخير" فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، قال ابن رجب الحنبلي: إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله، أو حقوق عباده، فليس هو من الحياء، إنما هو ضعف وخَوَر، وعجز ومهانة[3].

أما الحياء بمعناه المحمود فإنه أصل لكل خير، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها، وأعظمها وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يُوف بالوعد ولم تُؤَدَّ أمانة، ولم تُقْضَ لأحد حاجة، ولا تحرّى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المقترضة عليه ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا بر له

---

(١) المصفى من أخلاق الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٢٦، ١٠٤

(٢) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢، ٢١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٥٠٢/١.

والداً، فإن الباعث على هذه الأفعال، إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علويٌّ وهو حياء فاعلها من الخلق، فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، أومن الخلائق، لم يفعلها صاحبها[1].

وبالجملة فإن الاستحياء من الله ومن عباده، يؤدي إلى حياة القلب بنور الإيمان وابتعاده عن مزاولة المخالفة ومحاولة العصيان، وهو من الحياء لشدة علمه بمواقع الغيب، والحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة، ولا يطعن في كون الحياء كله خير امتناع بعض أصحاب الحياء من مواجهة من يستحي منه بالحق، أو الإخلال ببعض الحقوق، لأن ذلك ليس من الحياء الحقيقي، فالحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو ذلك، وما خرج عن ذلك حياء صوري ليس من الدين، فالحياء يقاس بنتائجه وموافقته للشرع، ويقاس أيضاً ببواعثه وأسبابه[2].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

جاء الإسلام وكثير من الناس لا يستحيون من أقوالهم وأفعالهم، بل تباروا في بعض أشعارهم بمستهجن الكلام، ولما كانت الأخلاق الفاضلة من غايات الإسلام، فقد حرص الإسلام على ضبط الأقوال والأفعال بكثير من النصوص الصادرة في القرآن والسنة، حتى أتت ثمارها بحق المسلمين. وكان الحياء من الله، كما أمر بحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى. وكان الحياء من الناس بأن لا يكشف الإنسان من جسده ما يسوء كشفه، وأن لا ينطق بما يؤذي سمعهم، وأن لا يتصرف بما يحرج مشاعرهم.

إن الحياء من النفس بأن لا ينظر الإنسان إلى ما لا فائدة من النظر إليه، كالتأمل في العورة أو مشاهدة مثيلاتها في المرائي، وبعض الناس لا يقبل هذا الخلق من ذويه، لاعتقاده أن الحياء قد يضيع الحقوق ويفقد الشخصية شيئاً من قوتها، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- غرس قيمة الحياء:

من أبرز القيم الأخلاقية التربوية قيمة الحياء لما يتركه من آثار إيجابية في نفس المتربي، ولما له من أثر في سلوكيات الإنسان وتصرفاته وأعماله، وعند النظر إلى عنوان الباب والأحاديث التي اندرجت تحته يتبين لنا مدى أهمية خلق الحياء، ولقد حرص الإسلام على اتصاف أتباعه به، وغرسه في نفوس الناشئة والمتربين، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذه المعاني قوله ﷺ: "....فإن الحياء من الإيمان"، وقوله ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وفي رواية: "الحياء خير كله"، وفي أخرى: "الحياء كله خير"، وقوله ﷺ: "....والحياء شعبة من الإيمان".

ونلمس في هذه النصوص النبوية التلاحم والتمازج بين الحياء والإيمان، والحياء والخير فهو من الإيمان، ومن شُعَبه، وهو جالب للخير، وهو خير كله، وكله خير.

"إن خلق الحياء إذا غرس في النفس، ونمت عروقه فيها ازداد رونقُها صفاءً ونفض على ظاهر صاحبه مآثر خيرات حسان، وإذا انتزع من شخص فَقَدْ فَقَدَ المروءة، وثُكِل

الديانة التي هي الجناح المُبَلِّغُ لكل كمال؛ ذلك أن الحياء خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح وهو عبارة عن انقباض النفس عما تُذَم عليه، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسان بالضرورة وبقي صاحبها سائمًا في مراتع البغي والفسوق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ولئن كان الحياء جِبِلِّيًا فإنه يزيد، ويتأتى بالأخذ بالأسباب، والتي منها مطالعة أخلاق الكمَّل، واستحضار مراقبة الله، فمن ذلك يتولد الحياء، فإذا اتصف المرء بالحياء قرب من الكمال، ونأى بنفسه عن النقائص" [(١)].

والحياء هو الخلق الحسن الذي يدعو صاحبه إلى الحسن من الفعل أو القول ويحثه على اجتناب كل قبيح.

"إن التحلي بالحياء من أهم أسباب الفلاح ومن أجلِّ وسائل السعادة والصلاح في الدين والدنيا، وما انفكت هذه الخليقة الفاضلة مبدأً سلوكيًا ساميًا، وقاعدة أخلاقية في تربية الإنسان وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق منذ بدء الحياة البشرية، وكذلك كان الحياء خلق الإسلام ومنطلق القيم التربوية للأفراد والجماعات التي تحفظ للفرد حياته وتصون عرضه، وتقيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على مبادئ الاحترام المتبادل وشيوع الأمن ونصب موازين العدالة وغير ذلك الكثير من مكارم السلوك والأخلاق، ولهذا سعدت بالخير كل الأقوام المؤمنة بالقيم الفاضلة والمثل العليا والتي على رأسها الحياء" [(٢)].

ثانيًا: التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، فالمربي الناجح لا يترك موقفًا ولا حدثًا إلا وبث من خلاله درسًا تربويًا، وقيمة خلقية، ومن أحاديث الباب التي تدلل على التربية بالمواقف والأحداث حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « إنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: دَعْهُ فإنَّ الْحَيَاءَ مِنَ

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٤٧٢.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٢٥/٧٥، ٧٦.

الإيمانِ». والرسول ﷺ جعل من هذا الموقف درسًا تربويًا، وإرشادًا نبويًا ببيان أن الحياء من الإيمان.

"وأسلوب الأحداث الجارية من الأساليب التربوية حيث يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم، وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدَىً بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها- باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة العملية:

تعتبر الممارسة العملية من أساليب التربية المهمة حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يريد أن يوصله ويغرسه في نفوس المتربين، وهذا أدعى لهم إلى الاستجابة، والتنفيذ الفعلي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

فمن خلال الممارسة العملية للحياء لاحظ الصحابة رضي الله عنهم خلق الحياء في وجه الرسول ﷺ مما يظهر على سبحات وجهه من تغيرات.

"إن نظريةً مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر، وإن تعليمًا مهمًا يكن رائعًا ويقع من الناس موقع الإعجاب، وإن هدايةً مهما تجمع من صنوف الخير كل أولئك لا يغني غناءً، ولا يثمر ثمرة ولا يبقى على الدهر إلا إذا كان له من يمثله بعمله، ويدعو إليه بأخلاقه وفضائله، ويعرفه إلى الناس بالقدوة والأسوة، فيقتدي الناس بدعاته عن طريق

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

العمل بعد العلم، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة، معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم، وزكاء نفوسهم ونظافة أخلاقهم ورجاحة عقولهم وحصافة آرائهم وسداد أفكارهم"[١].

رابعًا: من الأساليب التربوية: الإلقاء والحركات المعبِّرة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ- الإلقاء: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)).

والإلقاء يستخدم في عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان مناسبًا مع الطلاب الذين لديهم القدرة الكبيرة على الاستيعاب كطلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

ب- الحركات المعبِّرة: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً منَ العذراء في خِدرِها، فإذا رأى شيئًا يكرهُه عرفناه في وجهه)).

والمعلم الناجح الذي يمزج بين الأساليب التربوية المختلفة لينجح في تعليم الطلاب وتحقيقهم للمراد من تعليمهم.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٦٥.

٨٥- باب حفظ السر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[الإسراء: ٣٤].

الحديث رقم (٦٨٥)

٦٨٥- وعن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((إنَّ مِنْ أشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يفضي إلى المرأة: يجامعها[2].

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد دون توقع تكذيب تشير إلى خطر ما بعدها، وضرورة التنبه له، وتوفير العناية اللازمة عليه، ثم التعبير بأفعل التفضيل الدالة بصيغتها على بلوغ قمة أحد الطرفين ارتفاعا، أو انخفاضا في الوصف، ثم دلالة الفعل على الشر الذي يبث شعور القلق في النفس، والذي يجعل المخاطبين في ترقب لما تسفر عنه الصيغة، وإضافتها للناس تعطيها بعداً إيحائيا بالتضخم، والاتساع في حجم محتواها من هذا الشر مما يوقع الرهبة في النفوس زادها الظرف عند المضاف لله تهويلا لصعوبة لقاء الله بكل هذا الشر، كما أن تقييدها بيوم القيامة يمزج العذاب المعنوي بلقاء الله بهذه الشرور، بالعذاب الجسدي في مواقف القيامة، وقوله (يفضي إلى امرأته وتفضي إليه)

---

(١) برقم ١٤٣٧/١٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ض ي).

كناية عن الجماع بقضاء الرجل شهوته من امرأته، وقضاء المرأة شهوتها منه، وقوله (ثم ينشرها) وهذا موضع الخطأ، وكم هدم هذا الخطأ من بيوت، وتسبب في فساد حال الزوجين بإطلاع الناس على حالهم !!

فقه الحديث

تحريم إفشاء سر المرأة:

قال النووي: (في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قولٍ أو فعل ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيراً أو ليَصمُت))[1] وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره، كما قال ﷺ: ((إِنِّي لأَفْعَلُ ذَلِكَ، أَنَا وَهذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ))[2] وقال ﷺ لأبي طلحة: ((أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟))[3] وقال لجابر: ((إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ! الْكَيْسَ!))[4])[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية.

ثالثاً: من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم ٣٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٧٠، ومسلم ٢١٤٤، ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٤٦، ومسلم ٧١٥، ٥٧، بعد الحديث ١٤٦٦. قال النووي: قال ابن الأعرابي: الكيس الجماع والكيس العقل، والمراد حثه على ابتغاء الولد، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٨.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فقد أكد النبي ﷺ كلامه بأن الرجل الذي يفضي بسر زوجته، هو شر الناس منزلة. ومما لا شك فيه أن أسلوب التوكيد من أساليب الدعوة النافعة، حيث يبين للمدعو أهمية وخطورة الشيء والأمر المؤكد، ويدلل على مدى صدق الداعية فيما يقول بدليل تأكيده، مما يزيد من اقتناع المدعو، وهذا ما ظهر في تأكيد النبي ﷺ على كونه أشر الناس، ومن الشواهدعلى التوكيد ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فهذا ترهيب صدر من النبي ﷺ ظهر فيه خطورة إفشاء العلاقة الزوجية، لأنه بهذا يكون في شر المنازل عند الله يوم القيامة، وفي هذا ردع لمن يفعل ذلك. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تحذر المدعو وتخوفه من الوقوع في المخالفات الشرعية، "والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها، وانحرافها عن الصراط المستقيم لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب"[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[4]. وقوله جل شأنه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٢) سورة الدخان، آية: ٤٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ٥١٥.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٥) سورة عبس، الآيات: ٤٠-٤٢.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية:

إن الإسلام يحث على كتمان الأسرار، وأخص الأسرار التي يطلب حفظها أسرار العلاقة الزوجية، ولذا حذر الحديث من إفشائها، فقد جاء فيه «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». قال النووي: وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، وأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره"[1].

وقال الأبي الوشتاني: (وقد ورد في النهي عن إفشاء ما يحصل بينهما أحاديث كثيرة ووعيد شديد، لأنه يعد كشفاً للعورة، إذ لا فرق بين كشفها بالنظر أو الوصف. وأما مجرد ذكر المجامعة والخبر عنها على الجملة فليس بمنكر إذا دعت إلى ذكره ضرورة كقوله: "إني لأفعله أنا وهذه"، وكقوله "هل عرستم" وأما لغير ضرورة فالتحدث عنه ليس من مكارم الأخلاق، ولا حديث أهل المروءة)[2].

وقال ابن علان: (ومعنى ينشر سرها، أى بذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، والحديث يقتضي كون فعل ذلك كبيرة للوعيد المذكور فيه)[3].

وقال د. الحسيني هاشم: (أكثر الناس انحطاطاً في المنازل، وانحداراً في الدرجات يوم القيامة، من يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، وما يحدث من امرأته من قول أو فعل، فضلاً عن انحطاط منزلته في الدنيا وضياع كرامته. وفي الحديث: الحفاظ على أسرار البيوت، ووجوب التحفظ في الحديث، وحرمة نشر الأسرار الزوجية بدون داع شرعي)[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٩٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٩/٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤١٥، ٤١٦.

وقال ابن عثيمين: (وعندما ينشر سرها، أو تنشر سره، فالغائب كأنه يشاهد، وكل هذا حرام ولا يحل، فالواجب أن الأمور السرية في البيوت وفي الفرش وغيرها تحفظ، وألا يطلع عليها أحد أبداً، فإن من حفظ سر أخيه حفظ الله سره، فالجزاء من جنس العمل)[١]، وإفشاء السر من الخيانة، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقد جعل النبي ﷺ هذا الأمر من أعظم الأمانات التي ينبغي أن يحافظ عليها الزوج فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُر سِرَّهَا))[٣].

قال السفاريني: (إفشاء السر نشره وإذاعته بين الناس، والسر هو ما يكتم في النفس كالسريرة، ويحرم على كل مكلف إفشاء السر، قال: ولعله يحرم حيث أمر بكتمه دَلَّت قرينة على ضرورة كتمانه، أو كان مما يكتب عادة، وقيل الذي يحرم هو إفشاء السر المضر)[٤].

قال الغزالي: (وإفشاء السر منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار. قال الحسن رضي الله عنه إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروي أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال عتبة لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثاً وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سرَّه كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟ فقال: لا والله يابني ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال:

(١) المرجع السابق ٢/٩٨٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٤٣٧.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ١/١١٥، نقلاً عن موسوعة نظرة النعيم، ٩/٣٩٤٦.

فأتيت معاوية فأخبرته، فقال: ياوليد أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإفشاء السر خيانة)[١].

ثالثاً- من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة:

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش من أجل أن يظل المجتمع نظيفاً، ومن ثم كان من واجبات الداعية استخدام الألفاظ العفيفة، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث " الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ" حيث كنى ﷺ عن الجماع بالإفضاء، وهذا تعليم للدعاة أن يستخدموا الألفاظ العفيفة التي لا تجرح في الدعوة، وهذا أسلوب قرآني، حيث عبر القرآن عن حالة الجماع بقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٢].

قال القاسمي: (والرفث أصله: قول الفحش، وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه كما كنى عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ...﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ...﴾[٤]، فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. قال الراغب: وجعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس ستر يمنع أن يبدو منه السوأة، وعلى ذلك كنى عن المرأة بالإزار، وسمي النكاح حصناً لكونه حصناً لذويه عن تعاطي القبيح)[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٣٢/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١١١/٣، ١١٢.

(إن الداعية الناجح يراعي الألفاظ العفيفة في عرض دعوته حتى لا يخدش الحياء، ولا يجرح المشاعر، لقد عبر المولى جل وعلا عن المباشرة الجنسية التي تكون بين الزوجين بتعبير سام لطيف، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء، فقال سبحانه: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[1]، فالتعبير على طريقة الاستعارة، والمراد اشتمال بعضهم على بعض لما تشتمل الملابس على الأجسام)[2].

وقال النووي: (والمستحب في قبيح الأسماء الكناية، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض، ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن، ولا يستعمل صريح الاسم إلا لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس، أو الاشتراك، أو نفي المجاز أو نحو ذلك)[3].

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش وقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: ((لم يَكنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاحِشاً ولا مُتفحِّشاً، وكان يقول: ((إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقاً))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) تفسير آيات الأحكام، محمد على الصابوني، ١/١٩٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

الحديث رقم (٦٨٦)

٦٨٦- وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ رضي الله عنه حِينَ تأيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عفَّانَ رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأنْكَحْتُهَا إيَّاهُ. فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟ فقلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أنْ أرْجِعَ إلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إلاَّ أنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَهَا، فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاريُّ[1].

قوله: "تَأَيَّمتْ" أي: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي رضي الله عنه. "وَجَدْتَ": غضبت.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تأيَّمت: صارت بلا زوج وكان زوجها توفي رضي الله عنه[2].

أَوْجد: أغضب[3].

وَجَدْتَ: غضبت[4].

لأفشي: لأنشر[5].

---

(١) برقم ٤٠٠٥، والسياق للحميدي في جمعه ٨٨/١، رقم ٧.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش ي).

الشرح الأدبي

الحديث من باب بيان جواز عرض الرجل ابنته، أو أخته على أهل الخير، والصلاح، ولا نقص فيه، وقوله (حِينَ تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ) الأيم بتشديد الياء هي التي مات زوجها أو طلقها وقيل من لا زوج لها ولو كانت بكرا، فقوله) تأيمت حفصة) أي مات زوجها (فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ) كناية عن طلبه الزواج بها، والذي فسره بالجملة الشرطية بعده (إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ) أي إن شئت الزواج أنكحتك) ففيه إيجاز بالحذف، والتعبير بالجملة الشرطية لأنها تجعل المخاطب حر الاختيار، فكان رد عثمان ﷺ (سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا) وقوله (قد بدا لي) يشعرك بنور الله في قلوبهم الذي يضيء اختيارهم فيجري على وفق ما يرضي الله، ورسوله ﷺ وقوله في رد أبي بكر (فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً!) بعد قوله ((فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ) يفيد المبالغة في توكيد عدم الرد لا بقول، ولا بإشارة، ولا بدلالة حال مما يوحي بالإهمال، وعدم العناية، وقول عمر ﷺ (فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ) الموجدة الضيق، والغضب، وإنما كان أوجد على أبي بكر ﷺ أي أشد غضبا منه على عثمان، وذلك لأمرين أحدهما: ما كان بينهما من محبة أكيدة، والثاني: أن عثمان ﷺ أجابه أولا، ثم اعتذر له ثانيا، ولكون أبي بكر ﷺ لم يعد عليه جوابا، وقول أبي بكر ﷺ (: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟) استفهام بغرض التلطف، والاعتذار لعمر ﷺ بسبب طريقة الرد التي أشعرت بعدم العناية، وقول أبي بكر ﷺ (فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ) يكشف عن علة الرد، وعن طريقته التي أغضبت عمر ﷺ حتى يرضى، وقوله (وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا) أسلوب شرط أي لو حصل ترك من الرسول ﷺ لحدث قبول مني، وهذا يدلل على أنه لم يرفضها لشخصها، وإنما لعلمه بنية رسول ﷺ تجاهها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-عرض الرجل أخته أو ابنته على من يرجى صلاحه: ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يجوز للولي عرض ابنته أو أخته أو غيرهما من مولياته، على من يعتقد خيره، وصلاحه[١].

٢-حكم الزواج بمن عرَّض بخطبتها النبي ﷺ: يجوز التزوّج بمن عرض النبي ﷺ بخطبتها، أو أرد أن يتزوجها، لقول الصديق: لو تركها لقبلتها[٢].

٣-حكم كتمان السر: يستحب كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه، ارتفع الحرج عمن سمعه[٣].

٤-متى يحنث من حلف لا يفشي سراً؟ من حلف لا يفشي سر فلان، فأفشى فلان سر نفسه، ثم تحدث به الحالف، لا يحنث، لأن صاحب السر هو الذي أفشاه، فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف، بخلاف ما لو حدث رجل آخر بشيء، واستحلفه ليكتمه، فلقيه ثالث فذكر له أن صاحب الحديث حدثه بمثل ما حدثه به، فأظهر التعجب، وقال: ما ظننت أنه حدث بذلك غيري! فإنه يحنث، لأن تحليفه وقع على أنه يكتم أنه حدثه، وقد أفشاه[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج أو مصاهرة ذوي الإيمان والفضل.

ثالثاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

رابعاً: من آداب الداعية: تطييب النفوس.

---

(١) إعانة الطالبين ٣١٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

إن الصحابة الكرام لهم فضل عظيم ومنزلة رفيعة بما قدموا من تضحيات في سبيل الله ونشر الإسلام، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويتضح هذا من الحديث من قول عمر رضي الله عنه: لقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه: لقيت أبا بكر رضي الله عنه: ولا شك أن لهم المنزلة الرفيعة والمكانة السامية السامقة، فهم من العشرة المبشرين بالجنة، فأما أبو بكر رضي الله عنه فهو الذي نال شرف الصحبة، وفيه جاء قول الله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾[1].

قال الإمام الذهبي: (هو خليفة رسول الله ﷺ اسمه عبدالله ويقال: عتيق روى عنه خلق من الصحابة وقدماء التابعين، وكان أول من آمن من الرجال، وكان أعلم قريش بأنسابها، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه يا رسول الله أى الرجال أحب إليك؟ قال أبو بكر: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"[2]، وعن ابن عمر أن النبي قال لأبي بكر: أنت صاحبى على الحوض وصاحبي في الغار)[3]، وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ))[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إنَّ اللَّهَ بَعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكرٍ: صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تارِكو لي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذِيَ بعدَها»[5].

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو ثاني الخلفاء الراشدين، قال ابن حجر: هو

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٣٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٥٤، ومسلم ٢٣٨٢.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦١

أبو حفص أمير المؤمنين، كان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، قال عبدالله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر، ودعا رسول الله ﷺ فقال: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب"، وفي رواية عن عبدالله بن مسعود: أن الرسول ﷺ قال: "اللهم أيد المسلمين بعمر، وفي رواية: "اللهم اشدد الدين بعمر"[١].

وفي فضله رضي الله عنه جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيهاً يا ابنَ الخطّاب، والذي نفسي بيده، ما لقِيَكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً قطُّ إلاّ سَلَكَ فجّاً غيرَ فجِّك»[٢]. وجاء في الحديث أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسولِ الله ﷺ من حين قُبضَ كان أجدَّ وأجودَ - حتى انتهى - من عمر بن الخطّاب»[٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما قبلَكم منَ الأمم محدَّثون، فإن يكُن في أمتي أحدٌ فإنه عمر))[٤].

وأما عثمان رضي الله عنه، فهو ثالث الخلفاء الراشدين، قال ابن عبدالبر: (ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة بعد الفيل، وهاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وبايع رسولُ الله عن عثمانَ في صلح الحديبية، قال ابن عمر: يد رسول الله ﷺ لعثمان، خير من يد عثمان لنفسه، زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته رقية ثم أم كلثوم واحدة بعد واحدة، وقال لو كان عندي غيرهما لزوجتكها، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر إليَّ أو صاهرت إليه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض، وهو الذي جهز جيش العسرة بتسعمائة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٨٣، ومسلم ٢٣٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٨٧

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٩

وخمسين بعيراً))[١]. وجاء في الحديث عن عبدان أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وقال مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ))[٢].

وجاء في فضل الثلاثة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: ((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج او مصاهرة ذوي الإيمان والفضل:

إن معيار الشخصية السوية ليس المال أو الجاه، إنما هو الدين والخلق، ومن ثم رغب الإسلام في تزويج ومصاهرة أهل الإيمان والفضل، لما في ذلك من الخير لكلا الطرفين، ومما يدل على هذا ما جاء في سياق الحديث، حيث عرض عمر رضي الله عنه تزويج ابنته على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما وهما بلا شك من أهل الإيمان والفضل، قال ابن حجر: "وفي الحديث عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه، لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجا، لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجا"[٤]، وعن ثابت البناني، قال: «كنتُ عندَ أنسٍ وعندهُ ابنةٌ له، قال أنس: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ تعرضُ عليه نفسَها قالت: يا رسولَ الله ألَك بي حاجة؟ فقالت بنتُ أنسٍ: ما أقلَّ حياءها، واسَوْأتَاهُ. قال: هيَ خيرٌ منكِ، رَغِبت في النبيِّ ﷺ فعرَضت عليهِ نفسَها»[٥].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٤٤.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، مقدمة باب مناقب عثمان رضي الله عنه، قبل حديث رقم ٣٦٩٥، وانظر: حديث رقم ٢٧٧٨، قال ابن حجر: وقد وصله الدار قطنى والاسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بتمامة، ورواه عيسى بن يونس عن ابيه عن ابي إسحاق عن أبي سلمة عن عثمان، أخرجه النسائي أيضاً، وتابعه أبو قطن عن يونس أخرجه أحمد قلت: وتفرد عثمان والد عبدان لا يضره فإنه ثقة. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/٥..

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٢٠.

وزوَّج رسول الله رجلاً بما معه من القرآن، فعن سهل بن سعد: ((أنَّ امرأةً عرضت نفسها على النبيِّ ﷺ فقال له رجل: يارسولَ الله زوِّجنيها. فقال: ماعندكَ؟ فقال: ماعندي شيء قال: اذهب فالتمِس ولو خاتماً من حديد. فذهب، ثم رجعَ فقال: لا واللّهِ ماوَجدتُ شيئاً ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري ولها نِصفُهُ. قالَ سَهل: وماله رداء. فقال النبيُّ ﷺ: وماتَصنعُ بإزارك؟ إن لبستَهُ لم يَكن عليها منه شيء، وإن لبسَتْه لم يكن عليكَ منه شيء. فجَلَس الرجل حتى إذا طالَ مَجلسه قام، فرآهُ النبيُّ ﷺ فدَعاهُ - أو دُعِيَ له - فقال له: ماذا معكَ من القرآن؟ فقال معي سورة كذا وسورةُ كذا - لسُوَرٍ يُعدِّدُها - فقال النبيُّ ﷺ: أملكْناكها بما معكَ منَ القرآن))[(١)].

قال عبدالله ناصح علوان: (لقد أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة أن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق. ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق. وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل، أو زوج ملحد لا يرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً؟ وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، لا يقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار؟ إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت، واستقرارها المنشود)[(٢)].

إن اختيار الزوج الصالح وتزويجه يحقق السعادة والاستقرار للأسرة، ومن أجل هذا جاء في توجيهات النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذَا خَطَبَ إلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ. إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ عريضٌ))[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣١٠ - ٥١٢١، ومسلم ١٤٢٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام١/٣٥، ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٠٨٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨٦٥).

ثالثاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من الأخلاق العظيمة، والخلال الحميدة التي يرغب فيها الإسلام، حفظ السر وكتمانه، وعدم إذاعته ونشره، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ". ولا شك أن هذا يدل أن من آداب المدعو أن يحفظ السر، قال ابن حجر: (وفي الحديث فضل كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه)[1].

قال الجاحظ: (ومن الأخلاق المحمودة كتمان السر، وهذا الخلق مركب من الوقار، وأداء الأمانة، فإن إخراج السر من فضول الكلام، وليس بوقور من تكلم بالفضول، وكتمان السر محمود من جميع الناس، وخاصة ممن يصحب السلطان، فإن إخراجه أسراره مع أنه قبيح في نفسه، يؤدي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه)[2].

وقال الماوردي: (اعلم أن كتمان الأسرار، من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سرُّك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الحكماء لابنه: يابني كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر. وقال بعض الأدباء: من كتم سره، كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وقال بعض الشعراء:

لاَ تُفْشِ سِرَّكَ إلاَّ إِلَيْكَ ... فَإِنَّ لِكُلِ نَصِيحٍ نَصِيحَا

فَإِنِي رَأَيْتُ وُشَاةَ الرجَالِ ... لاَ يَدَعُونَ أَديماً صَحِيحا

وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمناً، وفي عواقبه سالماً، ولنجاح حوائجه راجياً)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) تهذيب الأخلاق، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٢٠٤/٨.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٩٥.

رابعاً- من آداب الداعية: تطييب النفوس:

حيث جاء في الحديث: "لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً".

قال ابن حجر: (وفي الحديث عتاب الرجل لأخيه، وعتبه عليه واعتذاره إليه، وقد جبلت الطبائع البشرية على ذلك)[1].

ومما لا شك فيه أن من أهم آداب الداعية تطييب النفوس، لكي يجمع إليه القلوب والأفئدة، ويقبل عليه الناس وعلى موعظته ودعوته.

"إن من أعظم معايير نجاح الداعية في دعوته أن تجتمع عليه القلوب بالحب والمودة، وهذا يستلزم أن يكون لديه فقه في التعامل مع النفوس، ومعرفة دوافعها ومؤثراتها، فعليه أن يتحرى في اتخاذ المواقف، وأن يتدارك الهواجس والوساوس قبل أن تكون حقائق مسلمة، وأن يعالج الظنون والأوهام قبل أن تتمكن من النفس، وتوغر الصدر، وينفث الشيطان فيها سمه، فتستعصى على التدارك"[2].

إن تطييب خاطر المدعو له، مفعول السحر في نفسه، والداعية الذي يهتم بهذا الجانب إنما يضمن لدعوته قدراً كبيراً من النجاح.

(إن الداعية الناجح شخصية متميزة، فهو كالمنارة الهادية من بعد لمن ضل أو حار، وهو كالظل الوارف لمن لفحه حر الشمس والمسير في الهجير، وبالتالي فهو نقطة تجمع بالنسبة للمدعوين. فإن الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم وفي حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم، ولا يعنتهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، والود والرضاء)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ، في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ١٣٢-١٣٣.

(٣) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٠٠.

الحديث رقم (٦٨٧)

٦٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ أزْوَاجُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، وقال: ((مَرْحَباً بابْنَتِي))، ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ، ثُمَّ أنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَألْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ؟ فقالتْ: أمَّا الآن فَنَعَمْ، أمَّا حِينَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأُولَى فَأخْبَرَنِي أنّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإنِّي لا أُرَى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: **((يَا فَاطِمَةُ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟))** فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأيْتِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سارَّها: ألقى إليها سرًّا[2].

جزعها: حزنها وخوفها[3].

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٥، ٦٥٨٦، ومسلم ٩٨/٢٤٥٠ واللفظ له.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ر).

(٣) المرجع السابق في (ج ز ع).

السرار: ما يُكتم من الأمور[١].

أفشي: أنشر[٢].

عزمت عليك: أقسمت عليك[٣].

يعارضه القرآن: يدارسه القرآن، من المعارضة بمعنى المقابلة[٤].

السلف: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته[٥].

الشرح الأدبي

محبة النبي ﷺ للناس عامة محبة لا تساويها محبة، ومحبته لآل بيته ذات خصوصية، ومحبته لفاطمة رضي الله عنها أكثر خصوصية عكستها ألفاظ، وعبارات الحديث التي تفيض بالمشاعر النبيلة (رحب بها - مَرْحَباً بابْنَتِي - ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ- ثُمَّ سَارَّهَا) وقول الراوي (مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً) كناية عن شدة الشبه بينهما، وقوله (ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَديداً، فَلَمَّا رَآى جَزَعَهَا) البكاء كناية عن الحزن لعلمها بقرب موت النبي ﷺ والتعبير بالجزع يشير إلى شدة الحزن الذي اعتراها من الخبر، والذي احتواه بقول (سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ) والطباق بين الضحك والبكاء، ولَّدت استفهامة أم المؤمنين رضي الله عنها التي ترى الموقف (مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟) وقوله (: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ) أسلوب نفي مؤكد يقطع أمل السائل في معرفة ما سأل عنه وقول الرسول ﷺ (وَإنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ) أكد الخبر بعدة مؤكدات وأمرها بالتقوى تصبيرا لها على فراقه لعلمه بشدة تعلقها به، ولذلك أمرها بالصبر

---

(١) انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (س ر ر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ز م).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

(٥) المرجع السابق في (س ل ف).

لتتخطى هذه المصيبة الشديدة، وقول الرسول ﷺ ((يَا فَاطِمَةُ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذهِ الأُمَّةِ؟) النداء تودد، ومحبة، والاستفهام تحضيض وحث على الرضا حمل أعظم بشارة يمكن أن تحلم بها امرأة في العالمين أن تصبح سيدة نساء المؤمنين أو سَيِّدَةَ نِساءِ هذه الأمة؟، وقولها (فَضَحِكتُ ضَحِكِي) جناس يؤكد الفعل ويقرر عمليا رضاها ببشارة النبي ﷺ.

فقه الحديث

١-مساررة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: مساررة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة، وليس من باب نهيه ﷺ عن مناجاة الاثنين دون الواحد[1]، لأن المعنى الذي يخاف من ترك الواحد، لا يخاف من ترك الجماعة)[2].

٢-جواز إفشاء السر إذا أمنت المضرة: قال ابن حجر: (فيه جواز إفشاء السرّ إذا زال ما يترتب على إفشائه من المضرة، لأن الأصل في السر الكتمان، وإلا فما فائدته؟)[3].

٣-جواز العزم بغير الله، قال ابن حجر: (قال ابن التين: يستفاد من قول عائشة: "عزمت عليك بما لي عليك من الحق" جواز العزم بغير الله، قال: وفي المدونة عن مالك: إذا قال أعزم عليك بالله فلم يفعل، لم يحنث، وهو كقوله: أسألك بالله، وإن قال أعزم بالله أن تفعل فلم يفعل حنث، لأن هذا يمين. انتهى، والذي عند الشافعية أن ذلك في الصورتين يرجع إلى قصد الحالف، فإن قصد يمين نفسه فيمين، وإن قصد يمين المخاطب أو الشفاعة أو أطلق فلا)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٨، ومسلم ٢١٨٣ عن ابن عمر ﵁ مرفوعًا: "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث".

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٨٠.

(٣) المرجع السابق ١١/٨٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٨٠، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧/٢٤٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها.

ثانياً: من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة.

ثالثاً: من واجبات الدعية: إيناس ومواساة المدعو.

رابعاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها:

إن فاطمة رضي الله عنها لها مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهي بنت رسول الله ﷺ وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما ولقد جاء في الحديث ما يدل على فضلها في قوله ﷺ: " يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة"، قال ابن علان: "ولكمال شرفها وطيب أصلها، لم يغير توقع فقدها لسيد الأحباب، استسلامها لربها، وإنما دمعت عيناها، وجزع قلبها مع الصبر على مراد مولاها سبحانه، ولا لحقها أشر ولا بطر، إذ بشرت بما بشرت به، لكمال يقينها ومزيد تمكينها"[1]، وعن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ: ((أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: فاطمةُ بضعةٌ مني، فمَن أغضَبَها أغضبَني))[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: حدثتني فاطمة قالت: أسر إلى رسول الله ﷺ فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه: إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي ونعم السلف أنا لك قالت: فبكيت، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين. فضحكت"[3].

وقال الذهبي: "فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين في زمانها مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة أو قبيله من سنة

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

اثنتين بعد وقعة بدر. وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويُسر إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرةً دينة خيرة، صينةً قانعةً شاكرةً لله. ولما تُوفي النبيُّ حزنتْ عليه، وبكته، وقالتْ: يا أبَتَاه إلى جبريل نَنْعاه، يا أبتاه أجابَ رَبّاً دعاه، يا أبتاه جنةُ الفردوس مأواه، وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقام إليها، وقال: مرحباً يا ابنتي. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها"[1].

وقال ابن حجر: (فاطمة الزهراء: بنت إمام المتقين رسول الله محمد ﷺ كانت تكنى أم أبيها وتلقب بالزهراء، وكانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة، وقال الشعبي عن جابر رضي الله عنه قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة وقد عاشت رضي الله عنها بعد النبي ﷺ ستة أشهر. وقال الواقدي: توفيت فاطمة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة:

إن الإنسان يتعرض في حياته لبعض المحن والشدائد، والواجب أن يلقاها بالصبر وعدم الجزع، وقد جاء في الحديث: "ثم سارها فبكت بكاءً شديداً" ومما لا شك فيه أن الصبر مأمور به في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[4]، وأخبر أن أهل الصبر هم أهل العزائم، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[5]، ووعد الصابرين بالأجر، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٠١١/٢

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥-١٥٦.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٦) سورة الزمر، آية: ١٠.

وفي الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ومَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْهُ اللّه))[١]، وأمر بالصبر عن المصيبة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّما الصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأولى))[٢].

قال ابن القيم: (الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته، فإن الله مع الصابرين، وقال الجريري: الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة، وحال المحنة، مع سكون الخاطر فيهما، وقال عمرو بن عثمان، هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة، وسئل الجنيد عن الصبر فقال: "تجرع المرارة من غير تعبُّس")[٣].

وجاء في الدر المنثور: (قال سليمان بن عبدالملك لعمر بن عبدالعزيز عندما مات ولد سليمان: أيصبر المؤمن حتى لا يجد لمصيبته ألماً؟ قال: يا أمير المؤمنين: لا يستوي عندك ما تحب وما تكره، ولكن الصبر مُعَوَّل المؤمن. وقيل لربيعة بن عبدالرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: يكون يوم تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه)[٤].

وقال القاسمي: (اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: ما يوافق هواه، وما لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن هذين النوعين، فإذاً لا يستغنى قط عن الصبر. فأما ما يوافق هواه، وهو الصحة والسلامة، والمال والجاه، وكثرة العشيرة، واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار، وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور. وأما ما لا يوافق الهوى والطبع، فمنه ما لا يرتبط باختيار العبد كالمصائب مثل موت الأعزة، وهلاك الأموال، وزوال الصحة وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٢/٤٢٩.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/٣٧٨.

أعلى مقامات الصبر، ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب، ولا فيضان العين بالدمع، لأن ذلك مقتضى البشرية)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: إيناس ومواساة المدعو:

إن الداعية يشارك المدعوين فيما يعرض لهم من شدائد، ويواسيهم، ويداوي جراحهم، ويحنو عليهم، ومن هنا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "إنه نعم السلف أنالك" وقوله: "فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين".

قال ابن علان: "وهذا مسلٍ لها عن عظيم ألم توقع فراقها لسيد الأحباب، فلما كان ذلك المصاب أعظم مصاب، ناسب أن يجازى الصابرون عليه بأعظم الثواب من فضل الوهاب، وهى أفضل الأمم فتكون أفضل نساء أهل الجنة"[٢]. ولهذا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ومشاركته فيما يعرض له من أمور.

قال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافى في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٣].

رابعاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن الإنسان الذي يفضي له صاحبه بسر فهو مؤتمن عليه وينبغي حفظه،ولذا كان من آداب المدعو حفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث في قول فاطمة رضي الله عنها: " ما

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢/٣٤٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٣) الفوائد ٢٢٤.

كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره"، ولا شك أن حفظ السر مأمور به.

قال د. الحسيني هاشم: "لم تفشِ فاطمة سر الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه وهى زوجته، فلما انتهى أمد السر، وتحقق ما أخبرها به بيَّنت ذلك، لما فيه من الحب الأبوي الكريم، والعلاقة الحميمة بينها وبين أبيها صلوات الله وسلامه عليه"[(١)].

ولقد كان ديدن الصحابة دائماً حفظ سر رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَتَىٰ عَلَيَّ رَسُولُ اللّهِ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَبَعَثَنِي إِلَىٰ حَاجَةٍ. فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لاَ تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللّهِ أَحَداً. قَالَ أَنَسٌ: وَاللّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَداً لَحَدَّثْتُكَ، يَا ثَابِتُ»[(٢)]. وفي رواية عن أنس أيضاً قال: «أسر إليَّ نبي الله ﷺ فما أخبرت به أحداً بعد، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به»[(٣)].

قال ابن مفلح: "قال أكثم بن صيفي: إن سِّرك من دمك فانظر أين تريقه، وقال الشاعر:

وَسِرُّك مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيُّ

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً منه حيث، استودعته إياه، وإلى هذا ذهب القائل:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ ... فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وكان يقال: لا تطلعوا النساء على سرِّكم، يصلح لكم أمركم. وكان يقال: كل شيء تكتمه عن عدوك، فلا تظهر عليه صديقك. وقال الشاعر:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُك عَنْ حَدِيثٍ ... فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي ... وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤١٧.

(٢) ثابت: راوي الحديث عن أنس.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢.

فَإِنِّي حِينَ أَسْأَمُ حَمْلَ سِرِّي ... وَقَدْ ضَمَّنْته صَدْرِي سَؤُومُ

وَلَسْت مُحَدِّثًا سِرِّي خَلِيلا ... وَلا عُرْسِي إذَا خَطَرَتْ هُمُومُ

وَأَطْوِي السِّرَّ دُونَ النَّاسِ إنِّي ... لِمَا اُسْتُوْدِعْت مِنْ سِرٍّ كَتُومُ"[1]

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٢/٢٥٨-٢٦٠ بتصرف.

الحديث رقم (٦٨٨)

٦٨٨- وعن ثابتٍ، عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهاَ سرٌّ. قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً.

قَالَ أنسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أحَداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم، وروى البخاري بعضه مختصراً[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

إلى حاجة: إلى أمر يطلبه[2].

الشرح الأدبي

قول أنس رضي الله عنه: (أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى النية، والقصد إليه، وقوله (وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ) يشير إلى أنه كان صغيرا رضي الله عنه وقوله (فَسَلَّمَ عَلَيْنَا) يصور مع التواضع النبوي عبقرية التربية النبوية في معاملة الصغار بما يشعرهم بكيانهم، وأنهم مقدرون من رأس الأمة ممثلة في النبي ﷺ وتأمل أثر هذه المعاملة في تربيتهم على تحمل المسئولية في قوله (فَبَعَثَنِي إِلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهاَ سرٌّ) صار الغلام رسول رسول الله ﷺ في حاجته ثم إنه حفظ السر فلم يخبر أحدا حتى أمه أقرب الناس إليه رحما عندما سألته (: مَا حَاجَتُهُ؟) فقَال: (إنَّهاَ سرٌّ) وأكد الكلام

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢/١٤٥ واللفظ له.

(٢) المعجم الوسيط ٢٠٤.

بعدة مؤكدات تقطع كل أمل في معرفتها، ونكر كلمة سر للتعظيم والتفخيم وقول أمه (لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً) نهي بغرض التأييد والنصح يشير إلى احترام الأم لعقلية الصغير وتشجيعه على الصواب، وتعزيزه في نفسه.

فقه الحديث

إباحة السرّ بعد الموت:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: الذي عليه أهل العلم أن السرّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول: إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، قلت [القائل ابن حجر]: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السرّ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك. وإلى ما يكره مطلقًا وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه، أن يفعل ذلك)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: التواضع.

ثانياً: من آداب المدعو: حفظ السر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهى والقسم.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع:

إن من طبيعة عمل الداعية أنه يخالط المدعوين، ولذا ينبغي عليه أن يتحلى بالتواضع لتقبل عليه القلوب، وتتفتح له النفوس، ومما يدل على ذلك من الحديث: "أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ"، وصفة التواضع من أهم صفات الداعية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٨٢.

لكى يجمع إليه القلوب ولا تنفر منه، وقد جاء التوجيه إليه في القرآن، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. وحذر لقمان الحكيم ابنه من الكبر، فمما جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3]. وبه وصف الله عباد الرحمن، بقوله جلّ شأنه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[4].

وإلى التواضع أرشد الرسول الكريم فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[5]، وعن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اللّهَ أَوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حتى لا يَبْغي أَحدٌ على أحدٍ ولا يَفْخر أَحدٌ على أَحدٍ))[6]، وفي التحذير من الكبر، جاء في الحديث عن حارثة بن وهب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[7]. ومن صور تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس ﷺ ((أنه مرَّ على صبيانٍ فسلم عليهم وقال: كان النبيُّ ﷺ يَفعله))[8]. ولا يخفى أن الدعاة إلى الله أحوج الناس إلى التواضع.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣، واللفظ له.

(٨) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨، واللفظ له.

"إن الله تعالى علم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه خلق التواضع في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، والتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية فإنه قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائماً أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة"[(٢)].

ثانياً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من أشد آفات اللسان إفشاء الأسرار ونشرها بين الناس، ومن هنا كانت وصية الإسلام بحفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث: "قلت إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً"، قال ابن عثيمين: "وفي الحديث أنه لا يجوز للإنسان أن يبدي سر شخص حتى لأمه وأبيه، فلو أن إنساناً أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك ما الذي أرسلك به؟ لا تخبره ولو كان أباك، ولو كانت أمك، لأن هذا من أسرار الناس، ولا يجوز إبداؤها لأحد"[(٣)]. وكتمان السر وحفظه نوع من الوفاء بالعهود، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[(٤)].

قال الماوردي: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره، وقال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق[(٥)]

ولا يتأتى حفظ السر وكتمانه إلا بحفظ اللسان، وتدريبه وتعويده الصمت.

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٨٨/٢.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص، ٢٩٥-٢٩٦.

"إن اللسان من نعم الله العظيمة، فهو صغير جرمه، عظيم نفعه، وعظيم جرمه، رحب الميدان له في الخير مجال رحب، وله في الشر مجال رحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار. ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة. فخطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع، الصمت وحث عليه. ومن أخطر آفات اللسان، الكلام فيما لا يعني، والخوض في الباطل وإفشاء السر وغير ذلك كثير"[1].

قال ابن قدامة: "إن آفات اللسان لها في القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت، فالصمت يجمع الهمة ويفرغ الفكر، قال بن مسعود رضي الله عنه: ماشئ أحوج إلى طول سجن من لساني. وقال أبو الدرداء: انصف أذنيك من فيك فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به. وقال مخلد بن الحسين: ما تكلمت منذ خمسين سنة بكلمة أريد أن أعتذر منها"[2].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهى والقسم:

١-السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو وتوصيل الحقائق إليه، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

والداعية الناجح هو الذي يتخذ من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً إلى إفهام المدعوين، قال الشيخ الميداني: "وعلى حامل الرسالة الدينية الدعويةن أو النصيحة الإرشادية، أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ٣١٤٢/٤، ٣١٤٣.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

الـزمن للسؤال والجـواب، وأن يستثمر هـذه الوسيلة المؤثرة النافعـة مـن وسـائل الأداء البياني، للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيماً كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن، يقظاً حسن التصرف، واسع الصدر محترماً لأسئلة السائلين، ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يُشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادراً على البيان المفهم بأسلوب حسن"[1].

٢- **النهي:** حيث جاء في الحديث: "لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ. أحداً" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وقد أمر الله بالابتعاد عما نهى عنه رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

٣- **القسم:** حيث جاء في الحديث: " والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به"، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور القسم في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[3].

(إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب على وفق أساليبهم، ليعجزهم بلفظه ومعناه، ويحدث تأثيره فيهم على نحو يجعلهم يؤمنون به وبدعوته، ومن هذه الأساليب التي أوردها العرب أسلوب القسم، الذي عرفه الناس قديماً، واستعملوه تأكيداً لخبر أو تعظيماً لشيء، أو لجمع الانتباه حول غاية، فأسلوب القسم موعظة حسنة، لأن القرآن دائماً يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، بما فيه من مزية في نظر المستمع، تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه، وهو الدعوة المرجوة)[4].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٦٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١-٢.

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٢، ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العاقل لا ينطق بما لا يتأتى النطق به بدعوى ائتمان الآخر على السر، ومن يعجز عن كتم سره كيف يطلب من الآخرين ذلك، فضلاً عن أن يعتب عليهم إذا كشفوا سره، وطبع الإنسان لا يمكنه من كتم كل شيء، وهو بحاجة إلى من يبوح له بشيء مما هو كامن في الصدر، وأحياناً يفتقر إلى من يستشيره، لهذا حرص الإسلام على جعل المجالس بأماناتها، ونهى النبي ﷺ أن يفشي الإنسان على جليسه سره، وخص الرسول ﷺ من السر العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، لأن أساس هذه العلاقة هو الستر والسرية، ومن يفعل ذلك يكشف ستر ربه، والشيطان يحقق مبتغاه، وقد ورد النهي بصورة تدعو إلى الإعراض عنه، ومن المضامين ما يلي:

أولاً: التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية التي تؤثر في المتربي وتغير في سلوكه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». فقد رهب النبي ﷺ من نشر سر الزوجة بأنَّ من يفعل ذلك من أَشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة.

وما من شك في أن الترهيب هو أحد جناحيْ العملية التربوية، والتي تعتمد على الترغيب والترهيب "فإن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه، وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، وقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب وتارة بالترهيب، والإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه مما يجعل للترغيب والترهيب أثره الواضح في سلوكه" [1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٤.

ثانيًا: التربية على حفظ السر:

من القيم الخلقية في الإسلام حفظ السر وعدم إفشائه للآخرين مهما كانت قرابتهم أو صداقتهم، فالأسرار أمانة يعهد بها الناس إلى مَنْ يثقون به ويوقنون في حفظه للسر، ومن أحاديث الباب التي جاءت تبرهن على هذه القيمة قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». وفي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "... ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ..."، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من قول فاطمة رضي الله عنها: "... ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره ..."، وحديث ثابت عن أنس رضي الله عنه من قول أمه "... لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال: أنس والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك به يا ثابت".

ففي جملة هذه الأحاديث الوصاية بحفظ السر، والاحتراز عن نشره وإذاعته، "ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام، منسوبًا إلى قائله أو غير منسوب، وحرمات المجالس تُصانُ ما دام الذي يجري فيها مضبوطًا بقوانين الأدب وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة، وللعلاقات الزوجية -في نظر الإسلام- قداسة، فما يضمه البيت من شؤون العِشْرة بين الرجل وأهله، يجب أن يُطوى في أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور، وهذه وقاحة حرمها الله تبارك وتعالى"[1].

إن واجب المربين تدريب وتعويد المتربين على حفظ السر وعدم إفشائه ونشره، وها هي أم أنس رضي الله عنها تقوم بهذه المهمة، وتؤدي واجب التربية الصحيحة، فلما قالت لابنها: وما حاجة رسول الله ﷺ؟ وقال لها: إنها سر، فقالت الأم: توصي ولدها في حزم. وقد نأت بنفسها عن الفضول: ((يابني لا تخبرنّ بسر رسول الله ﷺ أحدًا)).

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٠، ٥١.

ويستوقفنا في هذا الحوار بين أنس رضي الله عنه وأمه مَعْلَمًا من معالم التربية الإسلامية القويمة التي نشأت عليها أم أنس ودرج عليها ولدها أيضًا، فالأم تؤكد لولدها أن حفظ السر أمانة ومسؤولية "يابني: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا حتى أمك. وهنا يتراجع الفضول النفسي لدى الأم، فالأسرار أمانات، هكذا تعلمت من رسول الله ﷺ، ومن ثَمَّ فلا مسوغ مطلقًا للإلحاح على أنس بأن يكشف لها سر رسول الله ﷺ، فهذه دروس وآداب تربوية نسوقها إلى الأمهات المسلمات ليُنَشِّئْن أولادهن على كريم الخلق والرجولة الحقة التي من خصائصها الأمانة خاصة فيما يعهد إليهم من أسرار.

ثالثًا: التربية بالقصة:

من أساليب التربية التي تشوق المتربي: التربية بالقصة، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه «حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة...» الحديث. وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «كن أزواج النبي ﷺ عنده فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ...»، وكذلك حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه: "أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان...".

فكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم رواة الحديث ذكر قصة تشير إلى حفظ السر وعدم نشره وإفشائه.

"إن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي يقع لأشخاص غير قارئي القصة أو مستمعيها، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين في وقت واحد أحدهما هو المشاركة الوجدانية كالمستمع أو المشاهد أو القارئ يتابع حركة الأشخاص في القصة ويتفاعل معهم، وأما الطريق الآخر فربما كان يتم عن غير وعي كامل من الإنسان ذلك أن قارئ القصة أو سامعها يضع نفسه مع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، وبهذا التأثير المزدوج تثير القصة انفعالاتنا وتؤثر فينا تأثيرًا توجيهيًا" [1].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤١، ٤٤٢.

رابعًا: تنمية ثقة الطفل بنفسه:

إن من الأسس المهمة في تربية الطفل تنمية ثقة الطفل بنفسه، ففي حديث الباب الذي أورده النووي عن ثابت عن أنس ﷺ: "أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة ...". فأنس غلام صغير يلعب مع الغلمان ولكنه ﷺ يتمتع بذكاء حادٍ وعقل رزين يفوق الكثير من أقرانه، ولقد أدرك رسول الله ﷺ تلك الصفات التي يتمتع بها هذا الصحابي، فكان يعهد إليه بما يريد موقنًا أن هذا الصغير لن يخذل رسول الله ﷺ بأن يفشي سره أو يتحدث مع الناس بأمور لا يريدها ﷺ، يقول أنس ﷺ: "أتى عليّ رسول الله ﷺ ..."أي أقبل عليَّ وهو يلعب مع أقرانه من الصبية فأقبل عليه ﷺ بصفة شخصية اختصها ﷺ لأنس دون بقية الغلمان والمشهد يوحي بأن الرسول ﷺ أبصر أنساً ﷺ يلعب فجاء إليه وأخذه من بين الغلمان، ليكلفه بأمر من الأمور، قال أنس: "فبعثني في حاجة..."، هذا التكليف من الرسول ﷺ لأنس، وهو غلام يُعْطِي بعدًا تربويًا يتعلمه المربون والقائمون على التربية وهو ضرورة غرس الثقة وبثها في نفوس الأطفال حتى ينشئوا على تحمل المسؤولية والتكليف وهم صغار "ومن الأسس النفسية المؤثرة تنمية ثقة الطفل بنفسه، ولقد اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق منها تقوية إرادة الطفل، وذلك بتعويده حفظ الأسرار كما فعل مع أنس ﷺ إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ولا يفضحها فإن إرادته تنمو وتقوى وبالتالي تكبر ثقته بنفسه"[(١)].

خامسًا: التربية على تخير الألفاظ:

إن من أهداف التربية الخلقية والسلوكية التربية على تخير الألفاظ المناسبة البعيدة عن الفحش وخدش الحياء، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». ففي هذا الحديث التعبير عن حالة الجماع وما يكون فيه بالإفضاء، وفي هذا تربية على ضرورة الدقة في تخير وانتقاء الألفاظ.

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ١١٧، ١١٨.

"ومن الأدب الشرعي أن يُكنَّى عما يُستَحي منه، فجاءت التكنية في نصوص الكتاب والسنة عن الجماع، بإتيان الرجل زوجته: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾[1].

بل كنَّى العرب عما يخرج من الإنسان باسم موضعه الغالب، وهو المكان المنخفض، ثم جاءت الألفاظ الشرعية بالتكنية عنه بـ "قضاء الحاجة" ولا يأتي التصريح إلا حين الحاجة إليه لبيان حكم لا يبين إلا به أو لإقامة حدٍّ وحكم شرعي، وحفظ اللسان يحتاج إلى ترويض ومجاهدة للنفس وتعويد لها على المنطق الحسن واختيار الألفاظ والبعد عن الفحش، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة"[2].

إن واجب الآباء والمربين الاعتناء بتربية الأبناء على انتقاء الألفاظ وحفظ اللسان من الفحش والبذاء ومما يخدش الحياء.

"ومن أنواع الفحش اللفظي التصريح بأسماء الأعضاء التي يحتشم من ذكرها كالقبل والدبر،وما أشبه ذلك من ألفاظ الوقاع والجماع، وقد أدبنا الإسلام بأدب القرآن الذي لم يصرح بمثل هذه التسميات، وإنما كنى عنها واستعمل أرق التعابير في الإشارة إليها، والمتأمل في القرآن يجد ضربًا عجيبًا من تخير الألفاظ اللطيفة الرقيقة العذبة للتعبير عن أدق المعاني الجنسية، ولا غرو، فالبيان السماوي أجلُّ وأعلى وأسمى من أن يتدنَّى إلى أي أسلوب لا يليق قوله أو سماعه، وقد كان كرام الناس والعِلْية من القوم يوصفون بنبل منطقهم وتحفظهم في كلامهم، قال أبو عبيد: ما رأيت رجلاً قط أشد تحفظًا في منطقه من عمر بن عبدالعزيز"[3].

سادسًا: التربية الأسرية:

كما في حديث ((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))، فقد تضمن الحديث الترهيب من نشر سرّ المرأة، ويشمل كذلك الترهيب من نشر سر الرجل، أي الترهيب من نشر الأسرار

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١٧/٢١، ١٨.

الزوجية الخاصة، وفي ذلك تربية أسرية للمسلم.

سابعًا: من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة والوصية:

وردت بعض الأساليب التربوية في أحاديث الباب، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه في عرض عمر ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما. وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في وفاة النبي ﷺ وإخباره فاطمة رضي الله عنها عن قرب أجله.

ب-الوصية: كما في قول أم أنس بن مالك رضي الله عنهما لأنس: ((لا تخبرن بسرّ رسول الله ﷺ أحدًا)).



٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾[النحل: ٩١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[المائدة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢-٣].

الحديث رقم (٦٨٩)

٦٨٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ اخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

زَادَ في روايةٍ لمسلم[(٢)]: ((وإنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ انَّهُ مُسْلِمٌ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافق: الذي يكتم كفره ويُظهر إيمانه[(٣)].

الشرح الأدبي

الحديث يرصد خطرا عظيما قد يغفل الناس عنه ناتجاً عن مرض من أمراض النفوس في المجتمعات، وهو داء النفاق، وبيان الرسول ﷺ لهذه الصفات تشخيص من الطبيب الأكبر للمرض لكي يعرض كل إنسان نفسه عليه، ويتفرس علامات المرض، فإن وجد نفسه مصابا بعرض من أعرضه سارع بعلاجه، ومنع نفسه عما يزيد هذا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩/١٠٧ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٢) برقم ٥٩/١٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

المرض، وقوله (آية المنافق) أي علامته، وقوله (ثلاث) فيه إيجاز بالحذف المنشط لعقل المخاطب، والمنسق لجزالة النص، وتقدير ثلاث خصال، أو علامات، وأسلوب الشرط يربط التحديث بالكذب، ويربط الوعد بالإخلاف، ويربط الائتمان بالخيانة، ويقرر أنها عادته كلما حدث، وكلما وعد، وكلما اؤتمن، والحديث يوجه الإنسان بمنظار البيان النبوي لينظر في نفسه إن كان فيه شيء من هذه الخصال فيتوب، ويصلحها، وينظر فيمن حوله ليتجنب من تجمعت فيهم هذه الصفات، فلن يجد منهم إلا الأذى.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٩٩).

الحديث رقم (٦٩٠)

٦٩٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

خصلة: أي شعبة من شعبه وجزء منه أو حالة من حالاته[2].

فجر: الفجور: الميل عن الحق والاحتيال في رده[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب التشويق بالعدد النكرة (أربع) الموصوفة بالجملة (مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً) وهو لون من ألوان الإجمال يحتاج إلى تفصيل وهو ما يحدث تشويقا للمخاطب الذي يستشرف إلى معرفة التفصيل وأسلوب التشويق من الأساليب التي تكثر، وتتنوع في حديث الرسول ﷺ حيث كان شديد الحرص على أن يصل المعنى إلى المخاطبين، وهم في كامل وعيهم، وفاءً بحق تبليغ الرسالة، ثم إنه لم يكن يريد منهم الفهم المجرد، وإنما كان يريد الفهم، والاستيعاب، والاقتناع التام؛ لأنهم حملة رسالته إلى من سيأتي من أمته إلى يوم القيامة ثم بدأ بتعديد الصفات، وبيانها عن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤ واللفظ له، ومسلم ٥٨/١٠٦ ولفظه: (وإذا وعد أخلف) بدل: (إذا اؤتمن خان). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٢٥/٣، رقم ٢٩٢٥، وتبعه عليه المنذريُّ والمؤلفُ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٦. وسيكرره المؤلف برقم ١٥٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٢/١.

طريق المقابلة بين الصفات التي تتركها في ذهن المخاطب في أتم وضوح (إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) حيث قابل بين الائتمان، والخيانة، وبين العهد، والغدر، وصياغة الصفات الأربعة في أسلوب الشرط يقرر أن هذه الصفات صارت عادة له، وارتبطت بتصرفاته، وتحكمت في أفعاله حتى صارت كالطبع الغالب، والمتأمل لجملة الصفات التي تميز المنافق يجد أنها أخطر الصفات التي تضر الفرد، والمجتمع لاسيما إذا ولي شيئا من أمور الناس، فالخيانة، والغدر، والكذب، والفجور صفات ممقوتة حري بالأمة أن تطرح من تلطخ بها في أقصى مكان فيها كما سيطرحه ربه في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

فقه الحديث

فيما يلي بعض الأحكام الفقهية في هذين الحديثين:

١-الوفاء بالوعد:

قال النووي: (قد أجمع العلماء على أن من وعَدَ إنسانًا شيئًا ليس بمنهي عنه، فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بينهما:

ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنّه مستحبٌ، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم).

وذهب جماعة إلى أنه واجب، قال أبو بكر بن العربي المالكي: (أجلّ من ذهب إلى هذا المذهب عمر بن عبدالعزيز. قال: وذهبت المالكية مذهبًا ثالثًا: أنه إذا ارتبط الوعد بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعدًا مطلقًا لم يجب)[1][2]، واستدل من لم يوجبه بأنه في معنى

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٨٠٠/٤.

(٢) والمشهور عند المالكية أن الوعد إذا كان مرتبطًا بسبب ودخل الموعود في السبب، فإنه يجب الوفاء به كما يجب الوفاء بالعقد، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا شيء على الواعد. وذلك كما إذا وعده أن يسلفه ثمن دار يريد شراءها فاشتراها الموعود حقيقة، يلزم الواعد قضاءً بإيجاز وعده، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا يلزم الواعد بشيء وهذا هو القول المشهور والراجح.

الهبة. والهبة لا تلزم إلا بالقبض عند الجمهور، وعند المالكية: تلزم قبل القبض[(١)].

٢-تحريم الغدر: ذهب الفقهاء إلى تحريم الغدر، لأنه من علامات النفاق ومن كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان الغادر من أصحاب الولايات العامة، لأن ضرر غدره يتعدى إلى خلق كثير. وقيل: لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء. والغدر محرم بشتى صوره، سواء أكان مع فرد أم جماعة، وسواء أكان مع مسلم أم ذمي أم معاهد.

واستدل الفقهاء على تحريم الغدر بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[(٢)] وبحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو حديث الباب[(٣)].

٣-وجوب المحافظة على الأمانة بصفة عامة، وديعة كانت أو غيرها، لأن ذلك مما يوجب سعادة الدارين، والخيانة توجب الشقاء فيهما.

والحفظ يكون بحسب كل أمانة، فالوديعة مثلاً يكون حفظها بوضعها في حرز مثلها. والعارية والشيء المستأجر يكون حفظهما بعدم التعدي في الاستعمال المأذون فيه وبعدم التفريط. وفي مال المضاربة يكون بعدم مخالفة ما أذن فيه للمضارب من التصرفات وهكذا[(٤)].

٤-خيانة الأمانة:

خيانة الأمانة حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٥)] ولحديث الباب.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٣٥٤، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٠-٢٩١، وللمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٤/٧٤-٧٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/٢٢٤، وجواهر الإكليل ١/٢٥٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨/٤٦٥ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/١٤٣).

(٤) تكملة رد المحتار ٢/٢٣١، ٢٣٢ وما بعدها، والمهذب ١/٤١٥، ومنتهى الإرادات ٢/٣٢٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/٢٣٧).

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: (الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فِلْس ليس كمن خانك في أهلك)[(١)].

٥- ذم الفجور في الخصام، وإثم من فعل ذلك:

إن من تعدى في المخاصمة مال عن الحق، وقال الباطل والكذب، ورمي بالأشياء القبيحة.

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: ((إنّ أبغَضَ الرِّجالِ إلى اللهِ الألَدّ الخَصِمُ))[(٢)].

فإن قيل: لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه:

فالجواب ما أجاب به الغزالي وهو ما نقله النووي في الأذكار: أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم، كوكيل القاضي، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو، فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضًا من يطلب حقه، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والكذب للإيذاء والتسليط على خصمه، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة، من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعله هذا ليس حرامًا، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيه اشتغال القلب، حتى إنه يكون في صلاته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة، فلا يبقى حاله على الاستقامة.

---

(١) الزواجر ١/٢٤٨-٢٤٩، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/١٨٥-١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥٧، ومسلم ٢٦٦٨.

والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء، فينبغي أن لا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها، وعند ذلك يحفظ لسانه وقلبه عن آفات الخصومة"[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين.

ثالثاً: من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

إن أساليب الدعوة تتنوع وتتعدد، ومن هذه الأساليب أسلوب الإجمال والتفصيل، ومما يدل عليه ما جاء في الحديث: "أربع، من كن فيه كان منافقاً خالصاً" حيث أجمل النبي ﷺ خصال المنافق في أربع ثم فصلها وعددها، ذاكراً لها واحدة بعد الأخرى، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو، وتوصيل الحقائق إليه، ولفت انتباهه إلى أهمية ما أجمل، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين:

إن خصال النفاق من الخيانة والكذب والغدر والفجور تعتبر بمثابة السوس الذي ينخر في عظام الأمة، ولذا وجب التحذير منها، وهو ما أرشد إليه الحديث الشريف

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٤-٤١٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١، والزواجر ٣/٢٢٦. وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٨-٢٠.

حيث جاء في بيان هذه الخصال قوله ﷺ في الحديث: " إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" وكل هذه الصفات من صفات المنافقين التي يجب أن يحذر منها المسلم، قال النووي: (وهذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يُرِد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار)[1].

وقال ابن حجر: (والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه، والمراد في هذا الحديث أن صاحب هذه الخصال كالمنافق، والمراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال"[2].

ولقد جعل النبي ﷺ هذه الصفات من خصال المنافقين ليحذرها المسلم فأما خيانة الأمانة، فمما جاء من ذمها في القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[3]. وأمر سبحانه بأداء الأمانة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك))[5]، وأما الكذب فمما نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي ١٢٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠١٥).

مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[١]، وقال جل شأنه آمراً بالصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ كَذَّاباً))[٣].

وأما الغدر فلقد جاءت النصوص الشرعية تأمر بالوفاء بالوعد والعهد. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٤]. ومدح الله المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[٥]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٦]. وأما الفجور فمما نهى عنه الشرع، ووصف الله عباد الرحمن بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[٧]. وبقوله سبحانه: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٨].

ولقد كان في وصف النبي ﷺ، كما قال أنس رضي الله عنه: ((لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحِشاً ولا لَعّاناً ولا سَبّاباً))[٩].

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٩١.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٠.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٨) سورة الحج، آية: ٢٤.

(٩) أخرجه البخاري ٦٠٤٦.

ثالثاً- من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار:

إن الداعية حريص على قومه يدعوهم إلى الخير، ويحذرهم من الشر والخطر، ولقد كان النبي ﷺ قدوة ومثلاً في ذلك، ومما يدل على ذلك تحذير النبي ﷺ من خصال النفاق، حيث جاء في الحديث: "ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها"، ومما لا شك فيه، أن الداعي إلى الله يجب أن يحذر من الأخطار التي قد تلحق بأفراد المدعوين، إذا استمروا على أمر معين، وقد جعل الله من مهام الرسول ﷺ الإنذار والتحذير. قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] . والداعية حريص على قومه. قال تعالى في وصف رسولنا ﷺ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: "يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم، أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم"[3].

والنبي ﷺ كان دائماً يحذر أمته من الأخطار، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[4].

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان:

يظهر هذا من سياق الحديث إذ لا يكتمل إيمان المسلم إلا بترك هذه السلوكيات السلبية. قال ابن حجر: (أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، وخلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارنا للوعد)[١].

قال ابن رجب: وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، وقال الحسن: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج.

وقال طائفة من السلف: خشوع النفاق أن تري الجسد خاشعا، والقلب ليس بخاشع. وقالوا لعمر رضي الله عنه: كيف يكون المنافق عليماً؟ قال: يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور أو قال: المنكر.

وسئل حذيفة رضي الله عنه عن المنافق، قال: (الذي يصف الإيمان ولا يعمل به)[٢].

قال ابن القيم: (جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[٣].

وقال القرضاوي: (إن الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها إنه هو الذي يرسى قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يغري بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكيين نصب العين. إن الدين هو المصدر الفذ المعصوم، الذي يُعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٢/١

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٩٠/٢.

(٣) الفوائد ٨٤، ٨٥.

بمثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومثله، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق)[1].

---

(١) الإيمان والحياة ١٧٤، ١٧٥.

الحديث رقم (٦٩١)

٦٩١- وعن جابر ﷺ، قَالَ: قَالَ لي النبيُّ ﷺ: ((لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا)) فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَينِ حَتَّى قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أمَرَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأتِنَا، فَأَتَيْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البحرين: ساحل الخليج العربي بين عُمَان جنوباً حتى الكويت والبصرة شمالاً[٢].

قُبِض: توفي[٣].

عِدَة: وعده ومنّاه بشيء[٤].

فحثى لي حثية: أعطاه غرفة بيده[٥].

الشرح الأدبي

قول جابر ﷺ (قَالَ لي النبيُّ ﷺ) يشير إلى الاختصاص المفهوم من تقديم الجار، والمجرور وقول الرسول ﷺ (لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا) أسلوب شرط يربط عطاء الرسول ﷺ لجابر ﷺ بقدوم مال البحرين، وقوله (هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا) كناية عن تكثير العطية، فالهاء للتنبيه، والكاف

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩٦ واللفظ له، ومسلم ٦٠/٢٣١٤.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

(٤) المعجم الوسيط في (و ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث و).

للتشبيه، وذا للإشارة المتجهة نحو اليد أو اليدين، وتكرارها مبالغة في كثرة ما سيعطيه، وقوله (حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ) كناية عن موته ﷺ وقوله لأبي بكر (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا) كناية عن وعد الرسول بما سيعطيه من مال البحرين عندما يأتي، والجناس في قوله (فحثى لي حثية) يقرر انفاذ أبي بكر رضي الله عنه وعد رسول الله ﷺ، والجار، والمجرور (لي) يفيد الاختصاص أي لي خاصة، وقول أبي بكر له (خُذْ مِثْلَيْهَا.) يشير إلى دقة تنفيذه لوعد رسول الله ﷺ لجابر حيث كرر لفظ (هكذا) ثلاث مرات فحثا له ثلاث حثيات.

فقه الحديث

١- قضاء الإمام من ادّعى شيئًا في بيت المال:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: لما كان النبي ﷺ أولى الناس بمكارم الأخلاق أدى أبوبكر مواعيده عنده، ولم يسأل جابرًا البينة على ما ادعاه؛ لأنه لم يدع شيئًا في ذمة النبي ﷺ وإنما ادعى شيئًا في بيت المال، وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام)[١].

وقال ابن حجر: (وفيه قبول خبر الواحد العدل من الصحابة ولو جرّ ذلك نفعًا لنفسه؛ لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهدًا على صحة دعواه، ويحتمل أن يكون أبوبكر علم بذلك فقضى له بعلمه، فسيتدل به على جواز مثل ذلك للحاكم)[٢].

٢- من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع:

بوّب البخاري على هذا الحديث وحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى جنازة ليصلي عليها فقال: ((هل عليه من دين؟)) قالوا: لا. فصلّى عليه. ثم أتى بجنازة أخرى فقال: ((هل عليه دين؟)) قالوا: نعم. قال: فصلوا على صاحبكم" قال أبو قتادة: عليّ دَيْنُه يا رسول الله: فصلّى عليه" بوّب عليهما البخاري في كتاب الكفالة: باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع، وبه قال الحسن[٣]. قال ابن حجر: (يحتمل قوله:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٠.

(٢) السابق ٤/٤٧٥.

(٣) الحديثان ٢٢٩٥، ٢٢٩٦.

"فليس له أن يرجع" أي عن الكفالة بل هي لازمة له، وقد استقرّ الحق في ذمته، ويحتمل أن يريد فليس له أن يرجع في التركة بالقدر الذي تكفل به. والأول أليق بمقصوده ... ووجه دخوله [أي دخول حديث الباب] في الترجمة: أن أبا بكر لما قام مقام النبي ﷺ تكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه من دين أو عِدة، وكان ﷺ يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك. وقد عدّ بعض الشافعية أن من خصائصه ﷺ وجوب الوفاء بالوعد، أخذًا من هذا الحديث. ولا دلالة في سياقه على الخصوصية ولا على الوجوب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء.

ثانياً: من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء:

حيث جاء في الحديث: "قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، قال ابن حجر: "قال الإسماعيلي ليس ما قاله النبي ﷺ لجابر هبة، وإنما هي عدة على وصف، لكن لما كان وعد النبي ﷺ لا يجوز أن يخلف، نزَّلوا وعده منزلة الضمان في الصحة، فرقا بينه وبين غيره من الأمة، ممن يجوز أن يفي وأن لا يفي، هذا وقد أمر الله بإنجاز الوعد"[2]. ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ إذا وعد وعداً كان من هديه الوفاء به، وفي هذا الحديث: قُبض النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين. ومما هو معلوم أن الوفاء المطلق من صفة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم. قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٤٧٤-٤٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٣.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٧.

إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[١].

ولقد حرص أبو بكر رضي الله عنه على الوفاء بوعد النبي صلى الله عليه وسلم ويتضح هذا مما جاء في الحديث. "أمر أبو بكر فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا"، وقوله: "فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة". قال النووي: (وإنما حثى له أبو بكر بيده لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيده قائمة مقام يده، وكان له ثلاث حثيات بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه إنجاز العدة)[٢].

قال ابن عثيمين: (ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتنا، لأنه ربما يكون الرسول اشترى من أحد شيئاً فلزمه دين، أو وعد أحداً شيئاً، وهو صلى الله عليه وسلم ليس عنده مال، ولم يبعث جابياً للمال، ولا يبقى عنده المال إلا بمقدار ما يفرقه على المسلمين، ولما جاء جابر وأخبره بعدة النبي صلى الله عليه وسلم له، أعطاه أبو بكر العدة التي وعده إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الحديث فضيلة أبي بكر رضي الله عنه)[٣].

ثانياً- من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد:

إن الداعية لكي يكسب قلوب المدعوين، ويجعلهم يقبلون عليه، لابد وأن يحرص على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، حتى تكون له مصداقية في نفوس المدعوين، ويتضح هنا مما جاء في الحديث.. "من كان له عدة أو دين فليأتنا"، فهذا تكليف من أبي بكر لمنادي فنادى من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عدة أو دين، فأبو بكر قام مقام النبي وتكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه، فهذا وفاء بالوعد وتنفيذ له[٤]. ويعتبر من أهم آداب الداعية الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد،

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٩٢/٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٢٠/١٢.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٢]، وهو من سمات المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ﴾[٤]، والداعية عندما يلتزم بالوفاء بالعهد وينجز الوعد، يكون صورة طيبة وقدوة صالحة للناس، ويضرب مثالاً عملياً للالتزام بآداب الإسلام، مما يجعل الناس يثقون في قوله، ويطمئنون إلى صلاحه.

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، ولا شك أن الوفاء بالعهد مما أمر الله به. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾[٦]، وقال جلّ شأنه في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٧]، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[٨].

والوفاء من صفات الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بالعهود،

---

(١) سورة النحل، آية: ٩١.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٤) سورة الرعد، الآيتان: ١٩-٢٠.
(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.
(٦) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.
(٧) سورة المؤمنون، آية: ٨.
(٨) سورة المائدة، آية: ١.
(٩) سورة البقرة، آية: ٨٠.

فعن عقبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أحق ما وفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتهم به الفروج))[١]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم))[٢].

قال الراغب: (الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما، لأن فيه مع الكذب نَقْضًا للعهد. والوفاء: يختص بالإنسان، فمن فقد فيه الوفاء فقد انسلخ من الإنسانية، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان، وصيره قِواماً لأمور الناس، فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش؛ ولأن للوفاء قيمة عظيمة ضُرب به المثل في العزة، فقالت العرب: أعز من الوفاء)[٣]. وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: إن عدم الوفاء بالعهد من الكبائر. لأن الوفاء به إلزام على سبيل الإحكام والاستيثاق، ويجب على الخلق إظهار الانقياد لله تعالى في جميع التكاليف، التي أخذوا العهد بها على أنفسهم أن يوفوا بها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٥١، ومسلم ١٤١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥، رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات ٤١٧/٣٧.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩٢، ٢٩٣، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٦٣٩/٨.

(٤) الزواجر في اقتراف الكبائر ١٨١/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

كثيرة هي أوامر القرآن الموجبة الوفاء بالعهد والعقود، والسنة قد فصلت ذلك وبينت جوانب الإيجاب حال الوفاء، وجوانب السلب حال الغدر ونقض العهد ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من القيم الأخلاقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ذلك لأن الوفاء من صفات المؤمنين، والخلف والغدر من صفات المنافقين، ومن أحاديث الباب التي تبين قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف...".

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "... وإذا عاهد غدر...". وجاء التطبيق العملي لقيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: "...فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَة أو دين فليأتنا...".

ومن خلال هذه النصوص تتضح قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد. "والمسلم إذا أبرم عقدًا فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدًا فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه، فيُعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها. والعهد لابد من الوفاء به كما أن اليمين لابد من البر بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مأثم، ومن ثَمَّ فلا تعهد إلا بمعروف، فإذا وثق الإنسان عهدًا بمعروف فليصرف همته في إمضائه، ما دامت فيه عَينٌ تَطْرِف، وليعلم أن منطق الرجولة وهدى اليقين لا يتركان له مجالاً للتردد والانثناء"[1].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٤.

إن واجب المربين التربية على إنجاز الوعد ووفاء العهد وتحذير المتربين من الوعد الكاذب: "فإن اللسان سبَّاق إلى الوعد، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفًا، وذلك من أمارات النفاق، وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1]، ولما حضرت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش وقد كان إليه مني شِبْه الوعد فوالله لا ألقي الله بثلث النفاق! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي. وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا إلا ويقول: إن شاء الله، وهو الأولى، ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلابد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق"[2].

ثانيًا- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالتحذير حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من مغبة الوقوع في ضرر أو الاتصاف بوصف ينأى المسلم بنفسه عن الاتصاف به، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتحذير قوله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث...."، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها..."، ففي هذين الحديثين حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاتصاف بصفة من صفات المنافقين المشينة، وأبان عن شدة التحذير من خلال العدد بقوله في الحديث الأول "ثلاث" وفي الحديث الثاني "أربع" ليتنبه المسلم الكامل ويحذر من الوقوع في إحداها.

"والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وكما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم كأسلوب تربوي توجيهي، فإن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل"[3].

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩، ٢٥٠.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المهمة، حيث إن الموقف والحدث يكون شاخصًا دائمًا في ذاكرة المربي والمتربي على السواء، وتتجسد القيمة التربوية كأنها حاضرة شاهدة في ثنايا الحدث لا تنفك عنه، والمربي الناجح يستغل الموقف والحدث في تحقيق الأهداف التربوية المبتغاة، وتعميق القيم التربوية الأخلاقية في نفوس الناشئة، ومن أحاديث الباب التي تبرز لنا التربية بالمواقف والأحداث حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي النبي ﷺ لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا، فلم يجيء مال البحرين، حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنادى: مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ عِدَة أو دين فليأتنا فأتيته وقلت له: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمس مئةٍ فقال لي: خذ مثليها".

ففي هذا الموقف والحدث الذي ساقه جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تبدي قيمة إنجاز الوعد، والوفاء بالعهد ظاهرة جلية من خلال حرص أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الوفاء بعِدَة رسول الله ﷺ وإنجاز وعده، فإن أولى الناس بمكارم الأخلاق وأرعاهم لها هو رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

٨٧- باب المحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾[النحل: ٩٢].

وَ(الأنْكَاثُ): جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ المَنْقُوضُ.

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: ٢٧].

الحديث رقم (٦٩٢)

٦٩٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: **((يا عبْدَ الله، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث من باب (الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام الليل) جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله رضي الله عنه (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم بعد النداء الذي يشعره بالتكريم (يا عبد الله)، ويكفيه شرفا أن يجري اسمه على لسان رسول الله ﷺ، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩/١٨٥، وتقدم برقم ١٥٤. وسيكرره المؤلف برقم ١١٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٩٤٣.

فلان) كناية عن هذا العبد المقصر، وفائدة الكناية هي الستر بإبهامه، وعدم ذكر اسمه صراحة، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-فضل قيام الليل: اتفق الفقهاء على أن صلاة النافلة بالليل أفضل من مطلق النافلة في غيره[١].

٢-ذكر الشخص بما فيه من عيب: قال ابن حجر: (قال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه)[٢].

٣-المداومة على الطاعات: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للمرء الدوام على ما اعتاده من الخير، من غير تفريط، وكراهة قطع العبادة، وإن لم تكن واجبة[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) الجوهرة النيرة ٢٨٥/١، وحاشية الصاوي ١٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٢٢٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٢/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٤٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٦/٢، ١١٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النفس البشرية تميل إلى الحرية وترفض التكاليف في كثير من الأحيان، ولهذا ورد الحديث الشريف: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"، والإنسان يعيش فترة من الزمن تتقاذفه الأمواج، وتدفعه الريح إلى اليمين مرة وإلى اليسار مرة أخرى - إلا من رحم ربي - وفي كل يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي.

أولاً- التربية على المداومة على الخير:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية التربية على المداومة على الخير واستدامته، لأن ذلك يؤصل في نفس المتربي فعل الخيرات دائمًا، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يؤكد هذا المعنى فيروي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ويقول: قال لي رسول الله ﷺ: "ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، فالنبي ﷺ يرشد ويربي الصحابي الجليل على المواظبة والمداومة على أفعال العبادة والطاعة.

"ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت وأهميته أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً، ولكن لا يكفي أن ينهض إلى الخير في تثاقل وتكاسل، أو يؤدي بعضه ويؤجل بعضه، أو يؤخره كله من يوم إلى آخر عجزًا أو كسلاً، وقد قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل ... إلى غد إن يوم العاجزين غد

وينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته"[1].

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ١٦-١٨.

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة بحثه على فعل الخير باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل.

"وغاية المنهج الإسلامي هو تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام وبذور الخير، فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل ومدتها محدودة قليلة والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة ويداوم عليها"[١].

ثانيًا: التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال التوجيه المباشر للمتربي، وحديث الباب الذي معنا يدلل على ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ياعبدالله..." ففي هذا الحديث جاء التوجيه المباشر من الرسول ﷺ بالحرص على المداومة على قيام الليل وعدم تركه.

"والتربية بالتوجيه المباشر من أساليب التربية التي تعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى الشخص المستهدف بالتربية مباشرة بصيغة الأمر أو بصيغة النهي"[٢].

ثالثًا- التربية العبادية:

إن من جوانب التربية الإسلامية التربية العبادية وتتمثل في حديث الباب في قيام الليل، وهذا ما يتضح من قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، ففي هذا توجيه للمداومة على قيام الليل.

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. امين أبو لاوي ص ١٥٤.

"ومن الأمور التي حث الشرع عليها قيام الليل، ويقصد به صلاة النافلة وقت منام الخلق وخاصة في الهزيع الأخير من الليل، ويقال له التهجد، وما أكثر الفوائد التي يجنيها الفرد من قيام الليل لتربية ذاته وصلاح حاله، وفي قيام الليل يحقق الإنسان الإخلاص الذي هو أحد شرطي قبول العمل، وفي قيام الليل يربي الإنسان نفسه على تحقيق الشرط الثاني من شرطي قبول العمل وهو المتابعة حيث ثبت أن نبينا محمدًا ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ويعتبر قيام الليل مدرسة عظيمة تعلم تلاوة القرآن بخشوع وتدبر، وهي تربي في الفرد المداومة على ذكر الله والإخلاص في عبادته وتشد القلب إلى خالقه"[1].

ولا شك أن تربية النشء على قيام الليل يربطه بالله عز وجل ويشده إليه سبحانه، وواجب المشتغلين بالتربية تعميق معنى الصلة بالله عزَّ وجلَّ من خلال التربية العبادية بقيام الليل.

"والإنسان بطبعه ضعيف في حاجة إلى القوة المعينة واليد الحانية، فإذا أحس بأنه وحيد في ضيقه ومحنته وَهَى وتخاذل فلا يصبر على متاعب ولا يقوي على كفاح أو تحمل، وإذا أحس بأن الله معه، يأخذ بيده، إذا كبا ويسدده إذا زل ويمده إذا احتاج، ويجيبه إذا سأل، ويعينه إذا ضعف، وينصره إذا جاهد، آمن بأنه موصول بقوة الله التي لا تُغْلب، مُعَان بمدد الله الذي لا ينفد، فإذا هو قَويٌّ على نفسه، قوي على متاعبه، قوي على شهواته وأعدائه"[2].



(١) انظر: التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ٩٣-٩٥.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١٠٥.

٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[آل عمران: ١٥٩].

الحديث رقم (٦٩٣)

٦٩٣- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ))** متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

الشرح الأدبي

الأمر (اتقوا النار) أمر تحذير، وترهيب وفي اتصاله بواو الجماعة عموم لجميع المخاطبين بالحكم يجعلهم في قلب الإنذار، ويجعل الجميع تحت مظلة المُنذَرين وهو مما يرفع درجة التنبيه، والتشويق، والاستشراف؛ وتعلق الأمر بالنار أكّد الإحساس بالخطر، وزاد الشعور بالرهبة المنبعثة من لفظ (النار) التي تستصحب إحراقها، ولظاها، دون إنارتها، ودفئها لوقوعها مفعولاً للفعل (اتقوا) وهو علم على التحذير، والترهيب، ، وهو بذلك يغرس في وجدانهم الشعور بالخوف الذي يقف سدا منيعا بينهم، وبين ما يغضب الله، كما يدفعهم للتحرك ضد الاتجاه المؤدي إلى النار، وهو عمل الصالحات، وقد فتح لهم النبي ﷺ الباب بعبقرية لا تترك لمتعلل بقلة ذات اليد حجة (ولو بشق تمرة) أي ولو كان المتصدق به شق تمرة، والتعبير بالشق مبالغة في القدر المتصدق به الذي يمنع النار، لأن أقل ما يطعم الإنسان التمرة فلو تصدق بنصفها لأدت الغرض ومنعته النار ما دام مخلصا فيها، والمفارقة العجيبة التي أثارها الافتراض الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٦٣، ومسلم ١٠١٦/٦٨، وتقدم برقم ١٣٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٤.

جاء في ثوب الشرط بين هول عظيم مصدره أعظم نار، وبين شيء بسيط قدَّمه الإنسان فحجبه، ومنعه عن هذه النار، وقوله (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) أسلوب شرط يضع احتمالا بعيدا لا يترك لمتعلل حجة بضيق ذات اليد فلابد أن يجد كلمة طيبة يتقي بها النار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٩).

الحديث رقم (٦٩٤)

٦٩٤- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وَهُوَ بعض حديث تقدم بطوله.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول النبي ﷺ (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) الواو عاطفة على كلام سابق، والعبارة تربّت على قلوب الفقراء، والمساكين الذين لا يملكون ما يتصدقون، كما تفتح باب صدقة لا يغلق للجميع؛ لأن الغني لا يستطيع أن يبذل ماله طول الليل، والنهار، لكنه، ومعه الفقراء يستطيع أن يبذل الصدقة بالكلمة الطيبة على مدار الساعة سلاما على هؤلاء، وردا على سلام هؤلاء، وإصلاح بين هؤلاء، ودعوة صالحة لمكروب صدقة وابتسامة مع كلمة تشجيع لكادح صدقة، وكلمة حنونة للوالدين صدقة، وكلمة رقيقة لزوجة صدقة، ونصيحة لولد، أو صديق، أو جار صدقة، أو ذكر لله بأي شكل صدقة، وغيرها، وغيرها خير فتحته عبارة الرسول ﷺ لا حدود لها فالكلمة اسم جنس خصصه بالصفة (طيبة)، وأطلقها باب خير لا يغلق لا كلفة فيه، ولا عناء، ألا يجدر بك، وبكل عاقل أن تتخذ من هذا العمل الخالي من الكلفة بابا لكسب الحسنات يكون قربتك لربك.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩/٥٦ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٢٢).

الحديث رقم (٦٩٥)

٦٩٥- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلِيقٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[٢].

المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس[٣].

طَلْق: مستبشر[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل

---

(١) برقم ٢٦٢٦/١٤٤، وتقدم برقم ١٢١، وسيكرره المؤلف برقم ٨٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٧.

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ف).

(٤) المرجع السابق في (ط ل ق).

التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلقي الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقوية الروابط بين المسلمين مبدأ أصيل، وليست تقوية الروابط قاصرة على البعد المادي، بل هناك عوامل أدبية تبلغ حداً في الكثرة تدفع إلى تقوية الروابط الاجتماعية منها: إلقاء السلام ورده، زيارة المرضى وعيادة الجرحى، الابتسامة في وجه الآخر، المشاركة في الأفراح والأتراح، إلقاء الكلمة الطيبة إلى الآخرين.

كما كان رسول الله ﷺ يسمع سيئ الكلام من خصومه، فيرد عليهم بما ينبئ عن حسن خلقه، بل كان يكني خصومه ويلعب أعدائه بما يشعر بالمدح للحد من غلوائهم وائتلافا لقلوبهم.

إن الإنسان ليعجز عن إعطاء كل إنسان صدقة مادية، ولكنه لا يعجز عن إلقاء الكلام الطيب وإظهار الابتسامة.

إن إعطاء المال قد يصادم هوى النفس، وأما الابتسامة فهي محببة لقلب صاحبه وقلب المتلقي في نفس الوقت.

والإسلام راعى الفطرة حين رتب على هذا الأمر أجراً جزيلاً، وجعل الكلمة الطيبة من دوافع النار عن الإنسان في الآخرة كما جعلها من المعروف، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية النافعة التربية بالترغيب والترهيب، حيث إن النفس الإنسانية تتقلب ما بين الرغبة والرهبة، والرجاء والخوف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: "اتقوا النار ولو بشق تمرة..." ففي هذا الحديث ترهيب من النار، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "والكلمة الطيبة صدقة..."، وفيه الترغيب في الكلمة الطيبة باعتبارها صدقة يثاب عليها المرء.

"وفي تنوع الأسلوب مابين الترغيب والترهيب مدعاة للاستجابة، ومناسب للفطرة واختلاف الفِطَر، ثم اختلاف عوامل البيئة وعوامل الوراثة مما يؤكد على أن أسلوب

الترغيب والترهيب من أساليب التربية ليكون لكل حالة ما يناسبها فلا يضعف الترهيب ثقة المتعلم بنفسه فيصرفه عن التعليم أو يطمع الترغيب المتعلم فيهمل، إنه ترغيب في حال لا تصلح إلا به، وترهيب في حال لا تتم المعرفة بدونه"[1].

والإنسان مفطور على حب الخير وكره الشر، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي.

"إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، و الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بما أمر به مما يجعل للترغيب والترهيب أثراً في سلوكه، ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترغيب والترهيب أثر تربوي، والترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"[2].

ثانيًا- التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه:

إن من أهداف التربية الأخلاقية التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه لما يتركه ذلك من توطيد العلاقات بين الأفراد والجماعة، ويشيع جوًا من السرور والبِشْر بين الناس، وقد أورد الإمام النووي في أحاديث الباب ما يؤكد هذا المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة"، وقوله ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"، وقوله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق".

وواجب المشتغلين بالتربية الاهتمام بتعويد المتربين على طيب الكلام "وطلاقة الوجه ضد العبوس، وتعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال القائل:

---

(١) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، د. محمد أحمد جاد صبح، ١٥٨/١٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٤، ٣٩٥.

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق[(١)].

إن طيب الكلام وطلاقة الوجه سبب رئيس في إشاعة الحب، وقطع دابر التنازع والتخاصم.

"فالكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح، وسبب في تكوين مجتمع راقٍ، لهذا عُني به المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار الكلام الحسن يجعل الإنسان محبوبًا في بيئته وسببًا للترقي في مجال عمله، وللحصول على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيرًا من المعونة في مجالات هذه الحياة، والقول الحسن والمعاملة الكريمة من الضروريات عند الأنبياء وقادة الأمم لتجتمع القلوب حولهم فيكونوا مسموعي الكلمة في قومهم. وهذا الأدب في معاشرة الناس إنما لإقرار المودة فيما بينهم، وهو فيما نرى لا غنى عنه لكل جماعة تبتغي السلام والسعادة في هذه الحياة"[(٢)].

ولا شك أن صاحب الوجه البشوش المنبسط ينشر النور، ويترك الخير في كل مكان يرتاده فالبِشْر علامة كاشفة وواضحة يدل ظاهرها على مخبر الشخص، "ومن أهم سمات البشاشة وانعكاساتها على الجوارح بسط الوجه وطلاقته، وهي سمة تظهر على المحيا فتوحي بالرضا والحبور، وتبعث في نفوس الآخرين الاطمئنان والراحة فيقبلون نحوه بصدور منشرحة، وقلوب تنبض بالحب والمودة، ولبسط الوجه آثار نفسية رائعة تقرب النفوس بعضها من بعض، وتبعث على التآلف، وتثير كوامن الخير وتُمتِّن الروابط بين الأخلاء والمتحابين والأصدقاء.

والرسول ﷺ يدعو إلى البشاشة المتمثلة في بسط الوجه، ويحث الناس على البشر، فإن كانوا معدمين لا تملك أيديهم ما يتصدقون به فإن أيسر شيء يتصدقون به هو بسط الوجه، وهو عمل لا يكلف صاحبه غاليًا، بل هو من قبيل الرخيص الغالي، لا

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٢٢، ٢٢٣.

ينقص من المال، ولا يكلف بما هو فوق الطاقة، وهو غالٍ لأنه يحبب الناس فيهم، ولا ينقص من قدرهم، فإن بسطوا وجوههم للناس فكأنهم أعطوهم، وإن كان منعٌ وتطيبٌ أو ردٌّ وإحجام فهذا ما يبعث البغض والحقد والضغينة في النفوس وهو ما تأباه الأخلاق"[1].

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي مباشرة، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتوجيه المباشر حديث أبي ذر رضي الله عنه: "قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"، حيث وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه توجيهًا مباشرًا بألا يحتقر أي عمل ولو صغيرًا من أعمال المعروف، ولو أن يلقى أخاه المسلم ببشاشة ووجه طليق، "ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال إلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2].

أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴾[3].

وفي كلتا الحالتين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصيغة جلية واضحة على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[4].

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١١/٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤، ١٥٥.

رابعًا- التربية الاجتماعية:

وهذا واضح في أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ-التصدق ولو بالقليل كنصف تمرة، وفي ذلك سد لحاجات المحتاجين في المجتمع وقيام بمتطلباتهم المعيشية والحياتية.

ب-الكلمة الطيبة، وما لها من أثر فعّال في نشر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع ونزع لما في الصدور من إحنٍ ومشاعر سلبية وعدائية.

ج-التبسم وطلاقة الوجه عند اللقاء، وما لذلك من نشر التفاؤل والإيجابية والإقبال على العمل والاجتهاد فيه والاهتمام والتعلق بالأخبار السارة وعدم الالتفات إلى الأخبار والأفعال غير السارة أو على الأقل عدم إعطائها أكبر من حجمها.

خامسًا- التربية على تعدد طرق الخير:

وهذا واضح وضوحًا جليًا من أحاديث الباب أيضًا، فإذا كان الإنسان يملك ما يتصدق به تصدق ولو بالقليل، فإن لم يجد هذا القليل فإنه يستطيع أن يكون من فاعلي الخير والمتصفين به عن طريق الكلمة الطيبة التي تنفع ولا تضر والتي تبني ولا تهدم، فإن عجز عن ذلك - وهذا على فرض أسوأ الاحتمالات- فإن باب الخير ما زال مفتوحًا أمامه، وذلك بأن يبتسم عند لقاء أخيه ويبش في وجهه، ولا يلقاه بوجه عبوس يحزن أخاه أو ينفره أو يضايقه.

والخلاصة أن طرق الخير كثيرة ومتعددة إذا عجز الإنسان عن باب، فما زال أمامه أبواب مفتوحة على مصراعيها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة والكبار.



٨٩- باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إلا بذلك

الحديث رقم (٦٩٦)

٦٩٦- عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استجد كلام استجدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته؛ لذلك كان ﷺ كما وصفه هند بن هالة رضي الله عنه (متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح

---

(١) برقم ٩٥. وسيكرره المؤلف برقم ٨٥٣.

الكلام، ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول، ولا تقصير[1]

وقد أحسن الجاحظ في وصف كلامه ﷺ بأنه الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، ويسر بالتوفيق...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ[2].

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تكرير الكلام: يستحب للمتكلم بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب، وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك[3].

٢-السلام على الجماعة:

قال النووي: (إذا دخل على جماعة قليلة يعمهم سلام واحد، اقتصر على سلام واحد على جميعهم، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب، ويكفي أن يرد منهم واحد، فمن زاد فهو أدب، قال: فإن كانوا جمعًا لا ينتشر فيهم السلام الواحد كالجامع والمجالس الواسعة، فسنة السلام أن يبدأ به الداخل أول دخول إذا وصل القوم، ويكون مؤديًا سنة السلام في حق كل من سمعه، ويدخل في فرض كفاية الرد كل من سمعه، فإن أراد الجلوس فيهم سقط عنه سنة السلام على الباقين الذين لم يسمعوه، وإن أراد أن يتجاوزهم ويجلس فيمن لم يسمعوا سلامه المتقدم فوجهان أحدهما: أن سنة السلام حصلت بسلامه على أولهم لأنهم جمع واحد، فعلى هذا إن

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي ١٥٤/٢، حديث (١٤٣٠).

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ٢٢١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/١١.

أعاد السلام عليهم كان أدبًا. وعلى هذا يسقط متى رد عليه واحد من أهل المسجد، وإن لم يسمعه سقط الحرج عن جميع من فيه، والثاني: أنها باقية لم تحصل لأنهم لم يسمعوه، فعلى هذا لا يسقط فرض الرد عن الأولين برد واحد ممن لم يسمع، ولعل هذا الثاني أصح.

وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" وهذا الحديث محمول على ما إذا كان الجمع كثيرًا، وقيل محمول على السلام مع الاستئذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثاً.

خامساً: من آداب المدعو: إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

استعمل الراوي رضي الله عنه هذا الأسلوب في الحديث مخبراً عن صفة كلام وسلام النبي صلى الله عليه وسلم، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وإيصال ما يريد إلى أذهانهم.

ثانياً- من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع:

إن إعادة الكلام ووضوحه قدر الإمكان من أهم ركائز بلوغ الدعوة وبيانها لدى المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في إعادة النبي صلى الله عليه وسلم لما يقول ثلاثاً، فضلاً

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٤/٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٩٧).

عن كون كلامه فصلاً يفهمه كل من يسمعه، وقد بين ابن علان: (أن إعادة النبي ﷺ لما يقول ثلاثاً إذا كان المقام يقتضي الإعادة والتكرار، إما لمزيد الاعتناء بمدلول ذلك، أو لكثرة المخاطبين، أو لغير ذلك)[1]. والمعنى كما قال ابن عثيمين: (إنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيِّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلاً بيناً واضحاً، حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة)[2]. (فالعجلة في الحديث مظنة عدم فهم الكلام على وجهه من لدن المستمع، ولذا كان كلام النبي ﷺ لا عجلة فيه يفهمه من جلس إليه)[3].

وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ كان يُحدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاه))[4] (أي لو عد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه، لأطاق ذلك وبلغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم)[5]، وقالت رضي الله عنها: ((...إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يَسرُدُ الحديثَ كسَرْدِكم))[6] (أي: يكثره ويتابعه)[7]، وقال ابن حجر: (أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع)[8]، وفي ذلك بيان على أهمية التأني في الكلام، وعدم الإسراع فيه، بل وإعادته إن اقتضى المقام ذلك، وفي ذلك بيان على أن التمهل بالكلام أثناء الحديث من أهم مهام الداعية حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه؛ وهذا ما كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه تعليماً للدعاة، وإرشاداً

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٩٧/٢.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٦٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٦٦٩/٦.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥٦٨، ومسلم ٢٤٩٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٠٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٩/٦.

لمن يتصدون لتعليم الناس... (ولكن هناك فرق كبير بين تحدث رسول الله ﷺ وبين تحدث الداعية، والفرق ملحوظ في أمرين مهمين:

١- الرسول صلوات الله وسلامه عليه أوتي جوامع الكلم، وأكثر أحاديثه كلمات معدودات، والداعية مهما كان بليغاً على خلاف ذلك تماماً.

٢- النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل أقواله وأحاديثه تشريع لأمة الإسلام، والداعية مهما كان حكيماً ليس كذلك، وإذا كان هذا هو الفرق فبود الداعية أن يطنب في كلامه، وأن يتعجل في حديثه، ولا سيما في المواقف التي فيها تفاعل وإطناب - والإطناب كما عرفه علماء البلاغة: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة كالتكرار لداع، والإيضاح بعد الإجمال- كالحث على الجهاد، أو التحدث في مناسبات الشدائد والأزمات... ولكن على الداعية أن لا يسرع كثيراً في خطبته أو حديثه... حتى لا يأكل الكلام بعضه بعضاً، وحتى لا تختلط على المستمتعين الحقائق والأفهام)[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول الراوي: إنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وأيضاً من قول عائشة رضي الله عنها "كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه" وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢] وقال ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٣] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة، وفي ذلك يكون من الواجب على الداعية أن يراعي البيان والإيضاح في دعوته للمدعوين)[٤].

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ٣٤-٣٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦-٢٧.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثا:

(التسليم دعاءٌ بالسلامة من الشرور والآثام، وهي من أفضل ما يرام)[١]، (أما الاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[٢]، وقد ورد أهمية التسليم والاستئذان ثلاثاً في الحديث من قول أنس رضي الله عنه "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" قال ابن حجر نقلاً عن الإسماعيلي: (إن السلام إنما يشرع تكراره إذا اقترن بالاستئذان، والتعقب عليه، وأن السلام وحده قد يشرع تكراره إذا كان الجمع كثيراً، ولم يسمع بعضهم وقصد الاستيعاب، وبهذا جزم النووي ...، وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع، فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة)[٣]. وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (وكان ﷺ إذا سلم على قوم "سلم عليهم ثلاثاً" معناه: أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة فإذا لم يُجب سلم الثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه، وكذلك في الاستئذان، كان ﷺ يستأذن ثلاثاً يعني: إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته، يدق الباب ثلاث مرات فإذا لم يجب انصرف، فهذه سنته ﷺ أن يكرر الأمور ثلاثاً ثم ينتهي)[٤]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٥] قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً)[٦] كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثًا فَإِنْ أُذِنَ لَك وَإِلا فَارْجِعْ))[٧].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام، ٢٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٥/١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩/١١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٧/٢.

(٥) سورة النور، آية: ٢٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

خامساً- من آداب الدعوة: إفشاء السلام:

(لقد حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام كافة، حتى تتوثق عرى الأخوة، وتتوطد أركان الأمة الإسلامية، فعلاقة المسلم مع أخيه المسلم تعني تدعيم أواصر بنيان الأمة)[١]، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على إفشاء السلام بين الناس، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً"، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على أهمية السلام وإفشائه بين الناس فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فِي طُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمْ تَزَلِ الْخَلْقُ تَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ))[٣]. وقد رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام بأن جعل بذله سبباً في دخول الجنة فقال: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٤].

قال النووي: (وفيه الحث العظيم على إفشاء التآلف السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف...، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين...)[٥].

---

(١) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ٥٠٦/١.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٤١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

الحديث رقم (٦٩٧)

٦٩٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ كَلاَمُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فَصْلاً: مفصولاً بين أجزائه وواضحاً[2].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الله جمع لرسوله أسباب البيان، وطلاقة اللسان، وقوة الجنان، ثم أوحى إليه التكاليف، والأحكام في القرآن، وجعل سنته تفصيلاً له، وبياناً، وأمره بتبليغ كل ذلك للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، واختلافهم في درجات الفهم، والاستيعاب، مع علم الرسول ﷺ بأنه يخاطب في جيله كل أجيال الأمة، ومع إدراكه لتطور الزمان، واختلاف المكان؛ لذلك كان كلامه ﷺ كما وصفته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كلاماً فصلاً) أي فاصلا بين الحق، والباطل، وقد آثرت التعبير بـ (فصل) على (فاصل) ؛ لأنه أبلغ، أو على معنى أنه مفصول عن الباطل، أو مصون عنه فليس في كلامه باطل أصلاً، أو أنه مختص، أو متميز في الدلالة على معناه، وحاصله أنه بيِّنُ المعنى لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) من العرب، وغيرهم لظهوره تفاصيل حروفه، وكلماته، واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام، وتبيينه،

---

(١) برقم ٤٨٣٩، وأخرجه الترمذي ٣٦٣٩ وقال: حسنٌ صحيحٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء ٢٣٩١: إسناده حسن.

تنبيه: حديث عائشة أصله في الصحيحين بلفظ: (إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم) ذكره البخاري برقم ٣٥٦٨ معلقاً، ومسلم ٢٤٩٣/١٦٠ موصولا.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٢.

وقولها رضي الله عنها (يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ) هـذه خصيصة في البيـان النبـوي؛ لأن الله اختصه بمعارف بصرية، وقلبيـة، وجمـع لـه بـين علـم اليقـين، وعـين اليقين مـع الخشية القلبيـة، واستحـضار العظمـة الإلهيـة علـى وجـه لم يجتمـع لغـيره[1]. فكـان يخاطـب كـل قبيلـة بلغتها، ويراعي تفاوت الأفهام فيما بينهم لإحاطتـه ببـواطن مـن يخـاطبهم فيقـع كلامـه من سمع كل سامع، وقلبه في المكان اللائق به.

المضامين الدعوية[2]

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلانى ج ١١/ ٥٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن إيضاح الكلمة عند الإلقاء وتكرارها من أجل الاستماع والاستيعاب من القيم الإسلامية، إن سماع الإنسان لنصف الكلمة أو نصف الكلام لعدم الإيضاح من المتحدث مؤلم نفسياً، حيث يظل في حيرة من أمره، ماذا قيل له؟ وإذا كانت الكلمة غامضة حار المستمع في معناها وإن لم يكمل المتكلم كلامه معلقاً المستمع قائلاً له: نكمل الموضوع بعد جعله في قلق إذا كان الموضوع متعلقاً به، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعيد الكلام ثلاث مرات لشد الانتباه من ناحية، ولدخولها إلى لقلب من ناحية ثانية، ولثباتها في العقل من ناحية ثالثة.

كما أن إرسال الكلام بهدوء يتيح فرصة للمستمع أن يستقبل بأذنه ويستوعب ما يسمعه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتكرار والتأكيد:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتكرار والتأكيد، ومما من شك في أن هذا الأسلوب يساعد على الفهم والإدراك لدى المتربي، ومما يدل على ذلك في حديثي الباب قول أنس رضي الله عنه: «أن النبيَّ ﷺ: كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثًا حتى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم عليهم، ثلاثًا»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَامًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

والكلام الواضح من خلال تكراره وتأكيده يقع في نفس المتربي موقعًا حسنًا. "والتكرار من طرق التربية، ويمكن أن تبدو أهميته للأطفال في حفظ الكلمات، وفي ذكر الأشكال، والتكرار قد يقصد به التأثير في النفس، فهناك تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، وقد استخدم الرسول ﷺ المربي هذه الطريقة في التربية الإسلامية"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢١.

والتكرار هو إعادة الشيء مرارًا وهو من أهم الوسائل في تثبت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس.

"ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هُديَت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه، وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد. والتكرار وسيلة تربوية تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره"(١).

ثانيًا- من مهام المعلم: البيان والتوضيح:

إن من المهام الأساسية للمعلم: البيان والتوضيح ليستطيع أن يقوم بدوره في العملية التربوية من غرس القيم، وتوجيه وإرشاد المتربين، وقد أبان حديثا الباب عن هدْي النبي ﷺ في كلامه وقوله، وما اشتمل عليه من البيان والإيضاح ففي حديث أنس رضي الله عنه "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه ...". وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كَانَ كَلاَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلاَمًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

"ومن آداب المعلم أن يتكلم ببطء وروية ولا يسرع حتى يتمكن السامع من فهم كلامه وإدراك مرامه، ويملي على تلاميذه ما كان له داع أو مبرر من ضرورة أو أهمية أو نحو ذلك، وأن يخاطب التلاميذ على قدر عقولهم وأفهامهم"(٢).

إن العملية التربوية تقوم على المعلم في المقام الأول، ومن ثَمَّ فينبغي أن يحرص المعلمون على البيان والتوضيح لما يوجهونه من آداب وتوجيهات.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٣٠٧، ٣٠٨.

"إن التدريس عملية تعتمد على الأخذ والعطاء في الحديث وعلى بلاغة المعلم في الكلام وعليه فإنه يجب أن يخلو المعلم من الحبسة الكلامية، كما أن المعلم الذي يتحدث بسرعة كبيرة لا يستطيع طلبته فهم ما يقوله، ولا يستطيعون متابعة ما يسرده من أفكار ومعاني، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شر القراءة الهذرمة. أي القراءة السريعة بحيث لا تتبين أحرف الكلمات بيانًا واضحًا، وفي المقابل فإن البطء الشديد في الحديث مدعاة للملل والسأم وانصراف الطلبة عن الدرس، لذا فإنه من البدهيات أن يكون المعلم محدثًا لبقًا، وناطقًا فصيحًا ومتكلمًا بليغًا، يتحدث بعفوية وسلاسة، كأنما يغرف من بحر، وأن يكون كلامه ذا رونق وحلاوة وعذوبة وطلاوة، وأن يتميز أسلوبه بجودة الحَبْك، وإتقان السَبْك، وأن يكون كلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، فلا يسترسل فيه هذرًا، ولا يحجم عنه حصرًا"[1].



(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد صالح بن علي جان ص ٣٢.

٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه

الحديث رقم (٦٩٨)

٦٩٨- عن جرير بن عبدِ اللهِ ﵁، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)) ثُمَّ قَالَ: ((لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

حجة الوداع: هي الحجة التي حجَّها النبي ﷺ عام ١٠هـ قبل وفاته بعام؛ فكأنه ودَّع الناس قبل وفاته[2].

اسْتَنْصِتِ الناس: مُرْهم بالإنصات ليسمعوا الأمور المهمة والقواعد التي سأقررها وأُحمِّلُكُموها[3].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقرر، ويبيِّن خطر التقاتل بين المسلمين الذي يضعفهم، ويقوي أعداءهم حيث إن الخسارة في الجانبين تكون من المسلمين، فاستخدم بعبقرية، وبراعة الظرف المكانى في البيت الحرام، والظرف الزمانى في موسم الحج حيث تتعلق القلوب بربها متجردة من دنياها مما يجعلها في قمة الاستعداد لقبول أمر الله، واجتناب نهيه، لأن المعنى الذي أراد أن يقرره ﷺ من الأهمية بمكان لذلك هيَّأ له الأسماع

---

(١) أخرجه البخاري ١٢١، ومسلم ٦٥/١١٨ ولفظهما سواء.

(٢) انظر: أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

بالأمر الموجه للصحابي (اسْتَنْصِتْ النَّاسَ) والهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب أي: طلب سكوتهم، ثم وجّه نهيه لجموع الأمة الحاضرة تتناقله من جيل إلى جيل (لا ترجعوا بعدي كفاراً) وقد حملت العبارة تشويقاً، وإثارة، وترهيباً من عدة أوجه: منها طبيعة النهي التي تجعل النفس كلفة بمعرفة المنهي عنه، ثم الظرف المتوسط للجملة (بعدي) والذي يقرر غياب النبي يومئذ، وهو أمر ثقيل على نفوس الصحابة، ثم التشبيه بالكفار، وهو أمر يُفْزِع المؤمن لاسيما، وهو في لحظة يرجو فيها الخلاص من ذنوبه في الحج.

ثم وضَّح سر النهي، وقرَّر موضع الخطر بعد أن أصغت الأسماع، واستشرفت النفوس إليه (يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) وهو مجاز مرسل عن القتل، أطلق الجزء (الرقاب)، وأراد الكل (جميع البدن)، وعبَّر به عنه تصويراً له بأشنع صورة، لأن ضرب الرقبة فيه إطارة الرأس الذي هو أشرف أعضاء البدن، ومجمع حواسه، وبقاء البدن ملقى على هيئة منكرة، والفعل المضارع (يضرب) يصوِّر الحدث، وكأن الرقاب تطير، والدماء تسيل، ولا شك أن تطاير الأشلاء، وتناثر الدماء من الأمور التي تتقبض لها النفس، وتنفر منها، والتنفير من الفعل هو الغرض من التصوير بالمجاز، ونسبة الفعل للفظ (بعض) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى أن الضارب، والمضروب كيان واحد بعضه من بعض، وحاصل تركيب هذه العبارة النهي عن التشبه بما لا ينبغى من أفعال الجاهلية، وأخلاق أصحابها في كل ما يؤدى بالمسلمين إلى الشقاء، والاختلاف، والصراع لا سيَّما ما يؤول بصاحبه إلى الكفر من الكبائر، - والعياذ بالله -.

فقه الحديث

لزوم الإنصات للعلماء:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء)[1].

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٢/١ ط/ الريان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حجة الوداع.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار.

رابعاً: من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حجة الوداع:

قد ورد ذكر حجة الوداع في الحديث من قول الراوي: (قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع)، (وقد كانت حجة الوداع في سنة عشرة من الهجرة، ويقال لها: (حجة البلاغ) و(حجة الإسلام)، و(حجة الوداع)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها... وسميت حجة البلاغ، لأنه عليه الصلاة والسلام بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه عليه الصلاة والسلام، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه، وشرحه، أنزل اللهُ عز وجل عليه وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١][٢].

(وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة، بعد أن استعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي)[٣]، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أرى الناس مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم: من الموقف، ورمي الجمار، والطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحج الوداع[٤].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد ابو مسلم وآخرون ٤٠٤/٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٤٥/٤.

(٤) المرجع السابق ٢٥١/٤.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

قد ورد ذلك في الحديث من أمره ﷺ للراوي أن يستنصت الناس، ثم نهيه ﷺ عن الرجوع إلى الكفر في قوله: (لا ترجعوا بعدي كفاراً) والأمر والنهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على فعل المدعو إليه أو اجتنابه، فضلاً عن إظهار أهمية الأمر المدعو إلى فعله أو تركه، بما في ذلك عظيم الفائدة في تحقيق الاستجابة لدى المدعوين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار:

لقد ذم الإسلام ما كان من الكفار من قبيح أفعالهم وشؤم معاصيهم، وكان من ذلك تحريم دماء المسلمين، والعمل على حفظها بكل وسيلة ممكنة، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً" فقال القاضي: قال الصبري: معناه بعد فراقي من موقفي هذا، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع، أو يكون بعدي أي خلافي، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحقق ﷺ أن هذا لا يكون في حياته فنهاهم عنه بعد مماته، وقال في قوله ﷺ: "يضرب بعضكم رقاب بعض"، وفي معناه سبعة أقوال: أحدها : إن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق. والثاني: أن المراد كفر النعمة وحق الإسلام. والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه. والرابع: أنه فعل كفعل الكفار. والخامس: المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين. والسادس: حكاه الخطابي وغيره: أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح، يقال: تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه...، والسابع: قاله الخطابي معناه: لا يكفر بعضكم بعضاً فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً. وأظهر الأقوال الرابع وهو اختيار القاضي عياض"[1].

وقال ابن حجر: (والمعنى: لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً)[2]، ثم ذكر ابن حجر في شرح كتاب الفتن: (أن المراد بقوله ﷺ "كفاراً":

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٢/١

ستر الحق، والكفر لغة الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه)، وقال: (إن من الأقوال التي وردت في ذلك، أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها، فيخشى أن لا يختم له بخاتمة الإسلام، وقال الداودي: معناه: لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار، ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حراماً)[1].

وقال ابن عثيمين: (يعني: لا ترجعوا بعدي كفاراً حال كونكم يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي هذا دليل على أن قتال المؤمنين بعضهم بعضاً كفر، وقد أيد هذا الحديث قوله ﷺ: ((سِبابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[2]، لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على أنه لا يخرج من الملة قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3])[4].

وفي عموم ما سبق يظهر نهيه ﷺ عن الاتيان بأفعال الكفر والكفار من قتل وفسوق... إلخ".

فالمسلم له حرمة يجب أن تصان بكل الوسائل والطرق ويمنع من الاعتداء عليها بشتى الوسائل الممكنة، كما أن شعار المسلمين فيما بينهم يجب أن يكون الحفاظ على هذه الحرمات وتعظيم حقها.

رابعاً- من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم:

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، وهذا

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٤٤.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٩/٢.

ما أشار إليه نص الحديث من استنصاته للناس في حجة الوداع، وبيان ما يحذر عليهم بقوله: "لا ترجعوا بعد كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" والنبي ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى للدعاة إلى الله، وقد كان للداعية في قيامه بالدعوة إلى الله، والحرص على هداية الناس، لعظيم الأجر وجزيل الثواب، فهو أحسن الناس قولاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، "أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين العاملين، المسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد[2]".

وقد عظّم النبي ﷺ أجر الداعية إلى الله، والمبلغ كلامه إلى غيره فقال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا. فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ. وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[3]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: ((انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللّهِ لأنْ يَهدِيَ اللّهُ بكَ رجُلاً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[4]، وقال ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً))[5]، (ويجب أن يكون الحافز الحقيقي إلى الدعوة إلى الله وبذل النصح، فضلاً عن عظيم الأجر، هو الإيمان بالآخرة، وتمثل ما فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء، وللكفار العصاة من عقاب، فهذا هو الحافز الذي يقلق الدعاة إلى الله، ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم، ويجعلهم لا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطاناً على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام، واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٤، وصححه الألباني، سنن ابن ماجه ١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

الفساد، ويجعلون ذلك موجباً لدعوتهم وإنذارهم لقلقهم وإشفاقهم، فيقول القرآن عن نوح عليه السلام وهو أول رسول يذكره القرآن بتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويقول عن هود عليه السلام وهو من أقدم الأنبياء عليهم السلام وقد بعث في قوم تهيأت لهم أسباب العيش، وتوسعت لهم الدنيا، وطابت لهم الحياة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ويقول عن شعيب عليه السلام وقد بعث في قوم لان لهم العيش، وانتشر في أرضهم الخصب: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[3])[4].

---

(١) سورة هود، الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢ - ١٣٥.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤.

(٤) انظر: النبوة الأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥ - ٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم العملية التعليمية - في ضوء الهدي النبوي - على أسس عدة منها:

١/ حسن العلاقة بين المتعلم والمعلم.

٢/ تكلف المعلم في القول والفعل مع المتعلم.

٣/ اختيار الموضوع المناسب لقدرات المتعلم العقلية.

٤/ اختيار الزمان المناسب والجو النفسي المساعد على الطلب.

وهذا ما فعله الرسول ﷺ في حجة الوداع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من ميادين التربية: الحج:

إن الحج يعتبر من ميادين التربية المهمة، حيث يجتمع الحجيج في مكان واحد، ويوجه إليهم المربي التوجيهات والمواعظ، وفي الحج تكون حرارة الإيمان مرتفعة، واستحضار التقوى عظيمًا، مما يحض المتربي على الاستجابة والقبول، وتلقي التوجيه بلهفة وشوق ورغبة في الاستزادة من الخير.

وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يدلل دلالة واضحة جلية على أهمية الحج كميدان من ميادين التربية، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع..."، فالراوي يذكر أن وقت إلقاء النصح والتوجيه كان في حجة رسول الله ﷺ -حجة الوداع-والمربي الناجح يستغل الحدث المناسب، والمكان المناسب الذي يسوق فيه ما يريد من أمور التربية.

"إن في الحج تربية روحية حيث يتزود المسلم بهذه التربية، فتملأ جوانحه خشية وتُقىً لله وعزمًا على طاعته، والحج تربية للجانب الفكري إذ هو توسيع لخبرة الإنسان ففيه يلتقي بثقافات متعددة ولغات متعددة لأبناء الإسلام من مختلف بقاع الأرض فيتعلم ويكتسب الخبرات المختلفة، ويكون رصيد معرفي من هذه الثقافات، والحج كذلك تربية جسدية حيث يدرب الإنسان على تحمل المشاق والمكابدة، وهو أيضًا تربية اجتماعية حيث التقاء المسلمين الذين يأتون من مختلف بقاع العالم تحت راية واحدة،

ويتعارف البعض على البعض الآخر، ويشعرون بوحدة الهدف والانتماء لمجتمع واحد هو المجتمع الإسلامي، وفي الحج تربية انفعالية نفسية إذ يتجرد فيه المسلم عن شهوات الجسد وضبط النفس والتحكم في الانفعالات خلال تعامله مع الآخرين في الحياة"[(١)].

وفي حديث الباب استغل النبي ﷺ حجة الوداع كميدان من ميادين التربية في سَوْق القيم الإسلامية، وبيان الحقائق الدينية، وتعليم الشعائر العبادية.

"وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجة -حجة الوداع- كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل، وجاءت في وقتها المناسب، وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة، ومصلحة راجحة، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب، وكثر المسلمون، وقوى الإيمان، وشبّ الحب، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة، وهفت القلوب، ورَنَت العيون إلى المشاهدة والمراقبة، ودنت ساعة الفراق، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة ليحج البيت، ويلقى المسلمين ويعلمهم دينهم ومناسكهم، ويؤدي الشهادة، ويبلغ الأمانة، ويوصي الوصايا الأخيرة، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ويضعها تحت قدميه، فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة، وألف درس، وكانت مدرسة متنقلة، ومسجدًا سيّارًا، وثكنة جوّالة، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل وينشط فيها الكسلان، ويقوي فيها الضعيف، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال هي سحابة صحبة رسول الله ﷺ وحبه وعطفه وتربيته وإشرافه"[(٢)].

ثانيًا- من آداب المتعلم: الإنصات للمعلم:

إن من الأمور التي تحرص التربية الإسلامية على تأصيلها في نفوس المتربين آداب المتعلم، ومن هذه الآداب الإنصات للمعلم، والاستماع لما يقول وعدم رفع الصوت، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي فيه ما يدلل على هذا، وذلك في قوله ﷺ: «... استنصت الناس ...» ففي هذا الحديث طلب النبي ﷺ من راوي الحديث أن يطلب من

---

(١) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ٨٨.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٧٥، ٢٧٦.

الناس الإنصات للاستماع إلى خطبته وموعظته، والإمام النووي جعل عنوان الباب: "باب إصغاء الجليس لحديث جليسه ..."، مما يدلل على أن من آداب المتعلم الإنصات لما يقول المعلم: "ومن آداب المتعلم أن يتحرى رضى المعلم، ويتأدب مع رفقته وحاضري المجلس، ويقعد قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبث بيده ولا غيرها، ولا يلتفت بلا حاجة، بل يُقْبل على الشيخ مصغيًا إليه، وينبغي أن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع أوقاته"[1].

وقال الغزي: "ومن أهم آداب المتعلم أن يصغى إلى الشيخ ناظرًا إليه، ويقبل بكلّيته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله، أو فوقه، أو أمامه لغير حاجة، ولاسيما عند بحثه معه أو كلامه له فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يسارّ في مجلسه ولا يغمز أحدًا، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة، أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب بل ولا يتكلم ما لم يسأله، ولا يسأل ما لم يستأذنه أولاً"[2].

ولا شك أنه مما ينبغي الحرص عليه توقير مجلس العلم واحترامه وعدم رفع الصوت فيه والإنصات للمعلم.

ثالثًا- التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر لما في ذلك من دوام الألفة والمحبة، وترابط وتكاتف المجتمع، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يشير إلى هذا في قول النبي ﷺ: «... لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي هذا وعيد شديد في التفاؤل بين المسلمين، واجتناب الأسباب المؤدية

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، ٨٦/١.

(٢) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزي ص ١٤٦.

إلى ذلك من التقاطع والتحاسد والتباغض والتدابر والتظالم.

"إن مما يغرسه الإيمان في قلب المؤمن هو سلامته من الغلّ والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يمسي ويصبح سليم الصدر، نقيّ الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والمؤمن لا يحسد لأن الحسد داء نفسي يصنع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجسام، والمؤمن لا يحقد لأنه عفو كريم يكظم غيظه، وهو يستطيع أن يمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن.

وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. فأين من هذه المعاني الرفيعة ما تنادي به اليوم دعوات هدامة، كل همّها زرع الأحقاد، وبث البغضاء والكراهية والعداوة بين الطوائف والطبقات، حتى يعيش الناس في تنازع وصراع دائم"[2].

ومن أسباب التنازع بين الناس فتنة المال والغنى، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءته غنائم من بلاد فارس، وكانت تقدر بالملايين نظر إليها وبكى فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إن هذا لموطن شكر، فقال عمر: تالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلاّ ألقي بأسهم بينهم. يعني حارب بعضهم بعضًا[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٢-١٥٥.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٥٥، ٥٦.

رابعًا: توفير المناخ المساعد على التعليم:

ورد في حديث الباب بعض جوانب التربية التي يمكن للمعلّم الاستفادة منها في فصله في أثناء عرضه لدروسه، وهي ألا يتكلم إلا إذا كان الجميع في حال إنصات له: "استنصت الناس"؛ لكي يضمن أكبر استفادة من المعلومات التي سوف يعرضها وهو ما يعرف في التربية الحديثة بتوفير مناخ يساعد على التعلم.



٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥].

الحديث رقم (٦٩٩)

٦٩٩- عن أَبي وائلٍ شقيقِ بن سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا[١] فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، لَوَدِدْتُ أنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: أمَا إنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أنِّي أكْرَهُ أنْ أُمِلَّكُمْ، وَإنِّي أتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"يَتَخَوَّلُنَا": يتعهدنا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يتخولنا: يتعهدنا[٣].

السآمة: الملل أو المشقة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يكشف عن جانب نفسي في رعاية حال المخاطبين، في الموعظة فليست النفوس مهيأة في كل وقت لتقبلها، وهو ما أدركه الرسول ﷺ وطبّقه في تعهد أصحابه بالموعظة بين الحين والحين كلما وجد فرصة لذلك، وهو ما يؤكده بناء عبارة الصحابي (يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) فقد عبَّر بالتخول، وهو التعهد والإصلاح

---

(١) لفظ البخاري: (يذكر الناس).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢١/٨٣.

(٣) رياض الصالحين ٣٠٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦.

بالإضافة إلى صياغة الفعل في صورة المضارع التي توحي بالتجدد، والحدوث، والوزن الخاص بالفعل (التفعل) الذي يشير إلى التدرج في الأمر، ثم قوله (مخافة) والتي تؤكد حرص النبي ﷺ على سلامة صدور أصحابه ثم التعبير بلفظ (السآمة) وهي الضجر، والضيق، وهما كفيلان باستغلاق الفهم، وحجب الموعظة عن العقل مما قد يضيِّع الغرض، وهو أرحم الناس بهم، وإذا كان هذا حال الناس، والرسول ﷺ هو المتحدث، والصحابة المستمعون، وهو أحب إليهم من أنفسهم، فالناس في زماننا إلى مرعاة هذا أحوج.

فقه الحديث

استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح:

قال ابن حجر: (يستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح؛ خشية الملال وإن كانت المواظبة مطلوبة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التذكير.

ثانياً: من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس.

ثالثاً: من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التذكير:

"إن التذكير كأسلوب دعوي من أهم ما يزيل الغفلة عن المدعوين، فكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح، أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وقد أمر تعالى بذلك فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2][3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "كان

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦ ط/ الريان.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٣.

ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس".

ثانياً- من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس:

(إن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير... وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحاً كشعاع الشمس، شائعاً كأمواج الهواء)[1]، وهذا لا يكون إلا بحرص الدعاة على تذكير وموعظة المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: "... وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها... إلخ".

وقال ابن حجر نقلاً عن الخطابي: (إن الخائل بالمعجمة هو القائم المتعهد للمال، يقال خال المال يخوله تخولا إذا تعهده وأصلحه)[2]، (ومما لا شك فيه أن حاجة الناس إلى من يتخولهم بالموعظة والتذكير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل)[3]، وقد احتفى القرآن الكريم ببيان أهمية الموعظة والحرص على ذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6]، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله (بالحكمة)، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (والموعظة الحسنة)، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس يذكرهم بها، ليحذروا

---

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٢٠٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١.

(٣) مع الله، محمد الغزالي ص ٢٠٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٨.

(٥) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٦) سورة النحل، آية: ١٢٥.

بأس الله تعالى ...)[١].

وقد حرص النبي ﷺ -وهو القدوة والمثل الأعلى للدعاة- على موعظة الناس ودعوتهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى شدة حرصه ﷺ على ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٤]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه: "فلعلك باخع نفسك" أي: مهلك نفسك بحزنك عليهم...، وقوله تعالى: "أسفا"، أي: لا تهلك نفسك أسفاً)[٦]، (وقد استمر عليه الصلاة والسلام في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك، بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى)[٧].

ولا بد للداعية أن يتوخى بموعظته بلوغ هدفه بتغيير ما بنفوس الناس من فساد، فكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف، أو لا يرمي إلى هذه الغاية، فهو جهد ضائع، وعمل باطل.

وفي بيان الطريق إلى ذلك، قال البهي الخولي: "لا يكن كل همك أيها الداعية أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦١٣/٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٥.

(٧) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي ص ١٩.

تتظرف بالنكت اللبقة، والفكاهات البارعة، ليقول الناس إنك مجدد في الوعظ، وعند هذا تنتهي مهمتك، ولا يكن همك أن تسلي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدف... لا تكن كذلك الذي يقبل على الناس في حذر وخفة. فلا يمسهم إلا مساً رقيقاً كأنما يخشى عليهم أن يتكسروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ، وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعاً ذا غرض معين، وهدف مقصود... لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقت قضاه معهم في مؤانسة، ومتعة عاطفية بريئة... هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا. إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أبن لهم عن غرضك، وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله.

أيها الداعية: حذار الوعظ الجاف، الذي لا حياة فيه، وحذار الوعظ الركيك المفكك الذي لا غرض له، وحذار أن تقف موقفاً وأنت لا تنوي أن تخرج منه بصيد... أنت صياد ماهر فاطرح شبكتك، وانقل ما يخرج لك منها إلى محيط آخر، محيط دعوة الله ورسوله.

قد يكون الوعظ السلبي ضرورياً في وقت ما، ولكنه على كل حال ضار في أوقات النهضات، وإرادة التخلص من الفساد العام... فإذا استوت النهضة على أمر الله، وتخلصت الأمة من الفساد، جاء دور الوعظ السلبي الذي يحذر ويزجر، ويمنع، لا الذي يثير ويغير، وينقل... وتكون مهمة الواعظ حينئذ أشبه بالطبيب الذي يقوم على رعاية الجسم السليم بالوقاية، ويأخذ بالحكمة الطبية المعروفة: (الوقاية خير من العلاج).

أيها الداعية: هذه هي الدعوة، وهذا هو الداعية، وهكذا الفهم فافهم دعوتك به، والله يؤيدك بروح منه، ويهدينا وإياك سواء السبيل"[1].

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة ص ٣٩ - ٤٠ بتصرف يسير.

ثالثاً- من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة:

(إن من فقه الداعية في التحدث، أن يكون في حديثه مقتصداً معتدلاً، حتى لا يقع الناس في الملل، ولا تعتريهم السآمة، وهذا المنهج في تبليغ الدعوة هو أوقع في نفوس السامعين، وأشوق إلى قلوبهم، وأحب إلى أسماعهم، وهذه الطريقة في الاعتدال في التحدث، والاقتصاد في الموعظة، هي طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده)[(١)].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)، وفي ذلك قال ابن حجر: "قال الخطابي: والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل..."[(٢)]، وقال ابن عثيمين: "إنه ينبغي الاقتصاد في الموعظة، فلا تكثر على الناس فتملهم، وتكرّه إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، لأن النفوس إذا ملت كلّت وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقاً، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة، ما يكثر عليهم لئلا يملوا ويسأموا، ويكرهوا ما يُقال من الحق"[(٣)].

(فالداعية إذا ابتعد عن الثرثرة اللسانية، وتجنب الحشو في الكلام والتكرار في الأفكار، وتكلم بلبّ الموضوع بلا مقدمات طويلة مملة.. جاءت موعظته مقتصدة معتدلة مقبولة لدى مستمعيه، بل يعطي - في انجذاب الناس له، واستجابتهم إليه، وتأثرهم به، واستفادتهم منه - المثل الأعلى للدعاة جميعاً في وسطية أحاديثه، واقتصاد مواعظه... اللهم إلا في بعض حالات خاصة، وجد من المصلحة أن يطنب في الحديث، ويكرّر في الكلام، ويؤكد بالشواهد، كأن يكون مثلا في بيئة عامية جاهلية، يشرف على توجيهها، ويقوم على تعليمها، فلا بأس من الإطناب والتكرار، على أن لا يطيل كثيراً، حتى لا ينفر الناس منه، ويعرضوا عنه)[(٤)].

---

(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٠١.

(٤) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٣٩، ١٣٧.

الحديث رقم (٧٠٠)

٧٠٠- وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ، فَأطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ)) رواه مسلم[1].

"مَئِنَّةٌ" بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة، أي: علامة دالة على فقهه.

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنْسي حليف بني مخزوم كنيته: أبو اليقظان.

أحد السباقين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه، قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر[2]. وقال عبدالله بن مسعود: أول من أظهر الإسلام سبعة فذكر منهم عماراً[3].

وعذب الثلاثة واستشهدت أمه من العذاب، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولما اشتد المشركون في عذابهم وأذاهم تلفظ عمار بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالإيمان، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[4] وهاجر إلى المدينة فكان أول من بنى مسجداً في الإسلام، فبنى مسجد قباء يصلي فيه النبي والمسلمون. وشارك في حمل راية الجهاد والدفاع عن الإسلام، فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

---

(١) برقم ٨٦٩/٤٧ وزاد: (وإن من البيان لسحرًا).

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٥٠ وقال الألباني: قال محققو السير ٣٤٨/١: إسناده حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢).

(٤) سورة النحل، آية: ١٠٦.

وزكّى النبي ﷺ إيمانه، وشهد لصدقه فيه، فقال: ((مُلِئَ عمار إيماناً إلى مُشاشه))[(١)].

ولذلك أوصى أصحابه ومن بعدهم، بأن يهتدوا بهديه، فقال: ((اقْتَدُوا بالذين مِنْ بَعْدِي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما واهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ [عبدالله بن مسعود]))[(٢)].

وأثنى عليه النبي ﷺ الثناء العطر، فكان إذا استأذن عليه قال: ((ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب))[(٣)].

ومناقبه وفضائله كثيرة جداً.

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلّ قابضاً على راية الجهاد، فشارك في معركة اليمامة وأصيبت أذنه.

واستعمله عمر والياً على الكوفة، وأخبر أهلها بفضله فكتب إليهم: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بهما على نفسي.

فلما وقعت الفتنة بين المسلمين قاتل مع علي بن أبي طالب، وقد قال النبي ﷺ فيه: ((ما خُير عمار بن أمرين إلا اختار أرشدهما))[(٤)] فشهد معه الجمل وصفين، قال أبو عبدالرحمن السلمي - أحد كبار التابعين -: رأيت عمار بن ياسر في صفين لا يأخذ ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب النبي ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، وهو يقول: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هجر

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٧ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٠). ومُشاشه: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. النهاية ٨٧١ "مشش".

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

لعلمت أنّا على حق وأنهم على الباطل أهـ.

وظلّ يقاتل حتى قتل. قال ابن حجر: وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية. وأجمعوا على أنه قتل مع عليٍّ بصفين سنة ٣٧هـ في شهر ربيع وله ثلاث وتسعون سنة[1].

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بجملة كثيفة المؤكدات تنبىء بأهمية ما يليها مع اللفت، والتنبيه إلى عناية المتكلم بما يقول، ورغبته أن ينُزِّل في نفس المخاطب تلك المنزلة.. هذا إن لم يكن يتوقع معارضة، أو شكاً حقيقة، أو تنزيلاً، والتوكيد- مع هذا - تشويق لما بعده، وتمهيد للأمر المترتب عليه.

وقد أكّد الجملة بأكثر من مؤكد مع أنه لم يواجه بشك، أو إنكار إشارة إلى ضرورة تقصير الخطبة؛ لأن الإطالة تورث الملل لاسيما في عصر اتسم بالسرعة، وازداد الناس فيه عجلة كعصرنا، وإضافة الصلاة للرجل في قول (صلاة الرجل) لتضمُّنها لتعظيم شأن المضاف إليه، ثم إن الطباق بين الطول، والقصر مع توضيحه للمعنى أحدث توازناً في الزمان يخرج بالمخاطبين عن حد الملل، ولذلك عقّب بالأمر بمضاد الحالة الأولى (فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ) والطباق بين (أطيلوا، وأقصروا) يلح على هذا المعنى، ويقرره حتى تتم الفائدة دون تجاوز يخرج بها عن غرضها.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٤٦/٣) (١٤/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٨١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٢٢/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٣، والسير (٤٠٦/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣١٩/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٥/٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٣٦/٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٣٧٩/٢).

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

هيئة خطبة الجمعة، وآدابها: يستحب عند الفقهاء بلا خلاف، الاقتصاد في الخطبة، وترك التطويل، وأن تكون الصلاة أطول منها، ولكن بشرط عدم التطويل بما يشق على المأمومين، فتكون قصداً، أي معتدلة، والخطبة قصداً بالنسبة إلى وضعها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثالثاً: من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته علامة من فقهه، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يكون بها تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين، والتأكيد على أهمية العمل وتحري إقامته.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

(الخطبة: هي مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته نحو الهدف المرجو.. فهي سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، وفي ترقيته والبلوغ به إلى القيم المحمودة والمثل العُلا، فمن ثم كانت بلاغ النبيين إلى أممهم، والقوة التي قاد بها الدعاة والمصلحون الإجتماعيون أممهم إلى الحياة المثالية الكريمة)[٢]؛ (ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أية أمة، إما دعوة دينية أو سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من

---

(١) بدائع الصنائع ١٩٨/٢، والقوانين الفقهية ٧٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/٢.

(٢) خطب مختارة، الرسالة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ص ٧.

أهلها لتأييدها ونشرها، وألسنة من خصومها لإدحاضها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات، وذوي النجدات في المحافل والمنتديات، والحج والمواسم والأسواق ومواطن الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك، كان ظهور الإسلام وبعثة الرسول - بالأمر الجلل، والشأن الخطير، والدعوة العظمى، التي لم يعهد لها مثيل في العالم - من أهم الحوادث وأعظم البواعث التي أطلقت الألسنة من عقالها، وأثارت الخطابة من مكمنها وأغرت العقول بأحكامها، والتفنن فيها، واختلاب الألباب بسحر بيانها فوق ما كانت عليه في جاهليتها. وابتدأ طور الخطابة الإسلامي بظهور رسول الله ﷺ خطيباً غير شاعر)[1].

وأول موقف وقفه للخطابة كان يوم نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، فدعا قومه على الصفا ثم قال: ((أرأيتَم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلاَّ صِدقاً. قال: فإني نَذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ))[3].

(فكان العمل الأكبر لصاحب هذه الدعوة العظمى -صلوات الله وسلامه عليه- بادئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة، ثم ورثها من بعده ﷺ خلفاؤه الراشدون، وهم أركان البلاغة وسادات الفصاحة)[4].

(ولقد بلغت الخطابة على عهد الخلفاء الراشدين أوج أهميتها، ولم تعد قاصرة على وقت الجمعة، بل أصبحت تلقى كلما دعت إلى ذلك حاجة، وكان لها من الأهمية ما يجعل الخطبة البليغة تسكن فتنة، أو تنفي فرقة، أو تهديء ثائرة، أو تثير حرباً يقوم لها الناس ويقعدون)[5].

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، على محفوظ ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٤) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٤.

(٥) خطب مختارة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ص ٨.

(وقد تميزت الخطابة النبوية بآداب عظيمة، وأحكام جليلة، جعلتها تلامس القلوب وتقنع العقول: منها أنه ﷺ لم يلق قولاً بلا تدبر فيه، بل كان دائم الفكر، واسع التدبير، ولذلك لامس بخطبه عقول الناس وعواطفهم. وكثيراً ما روى صحابته رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا استمعوا خطبة من رسولهم ﷺ ذرفت الدموع وخشعت القلوب، ولانت الجوارح. وما كان ذلك إلا لما فيها من دقة شاملة لألفاظها ومعانيها وموضوعها، وبالجملة فلقد كان ﷺ يعد خطبه ويهيئها، ولذلك جاء قدرها الممتاز، وقد كان من جملة الآداب التي بينها النبي ﷺ في خطبه، أنه كان صادق الإخلاص لخطبته، (ولذلك كانت تحْمَرُّ عَيْنَاهُ، ويعلو صَوْتُهُ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ)[1]، وكان ﷺ يتمسك بأخلاقه العظيمة في أثناء خطبته، فلا يعيب ولا يشتم، ولا يجابه فرداً بأمر خاص، وإذا أراد مخاطبة فرد بأمر خاص يقول: ((مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا؟))[2]، وكان ﷺ يفخم لفظه، ويملأ به فمه ويخرج كل حرف من مخرجه، وبذلك ساعده النطق الصحيح على الإرشاد السليم، وهكذا جمع النبي ﷺ مزايا الخطيب الممتاز، مما جعل خطبته ذات أثر واضح في تبليغ الدعوة)[3].

ثالثاً- من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة:

إن من العلامات الدالّة على فقه الداعية طول صلاته، وقصر خطبته، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه)، قال النووي: (والمراد بالحديث الذي نحن فيه أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة، لا تطويلاً يشق على المأمومين، وهي حنيئذ قصد أي معتدلة والخطبة قصد بالنسبة إلى وضعها)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٠١، ٧٣٠١.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها" د. أحمد غلوش ص ٤٢٠ - ٤٢٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٨.

وليس أدلّ على ذلك من قول جابر بن سمرة ﵁ أنه قال: ((كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْداً. وَخُطْبَتُهُ قَصْداً))[1]، قال النووي: (أي: بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق)[2].

وعن الحَكَمِ بن حَزْنٍ الكُلَفِيّ ﵁ قال: وَفَدْتُ إِلَى رسولِ الله ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: يارسولَ الله زُرْنَاكَ فَادْعُ الله لَنَا بِخَيْرٍ. فأَمَرَ بِنَا، أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ، وَالشَّأْنُ إِذْ ذَاكَ دُونٌ، فأَقَمْنَا بِهَا أَيَّاماً شَهِدْنَا فيها الْجُمُعَةَ مع رسولِ الله ﷺ فَقَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصاً أَوْ قَوْسٍ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ... إلخ))[3]، وعن عمار بن ياسر ﵄ قال: ((أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بِإِقْصَارِ الْخُطَبِ))[4].

قال صاحب عون المعبود: (إنما إقصار الخطبة علامة من فقه الرجل، لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ، فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ المختصر عن المعاني الكثيرة)[5]، وعن جابر بن سمرة السوائي ﵁ قال: ((كَانَ رسولُ الله ﷺ لا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ))[6]، وفي الحديث أن الوعظ في الخطبة مشروع وأن إقصار الخطبة أولى من إطالتها[7].

(هذا وإن كان ظاهراً في خطبة الجمعة، فهو عام ايضاً حتى في الخطب العارضة، فلا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، وكلما قصرت كان أحسن لوجهين: الوجه الأول: ألا يمل الناس، والوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال، لأن الكلام إذا طال ضيع

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٥.

(٣) أخرجه ابو داود ١٠٩٦.

(٤) أخرجه ابو داود ١١٠٦، وصححه الألباني، صحيح سنن ابي داود ٩٧٨.

(٥) عون المعبود محمد أشرف الحق بن امير العظيم آبادي ص ٥٣٢.

(٦) أخرجه ابو داود ١١٠٧، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٩٧٩.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٣٢.

بعضه بعضاً، فإذا كان قصيراً مهضوماً مستوعباً انتفع الناس به، وكذلك لا يلحقهم الملل)[١].

وما يؤكد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لابن أبي السائب قاصّ أهل المدينة: (ثلاثاً، لتُتَابِعَنِّي عليهنَّ أَوْ لأُنَاجِزَنَّكَ، قال: وما هنَّ؟ بل أُتابِعُكِ أنا يا أُمَّ المؤمنينَ، قالَتْ: اجتنِبِ السَّجْعَ في الدعاءِ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ وأَصحابَهُ كانوا لا يفعلونَ ذلِكَ، وقُصَّ على النَّاسِ في كلِّ جمعةٍ مرةً، فإنْ أَبيتَ فثنتينِ، فإنْ أبيتَ فثلاثٌ، ولا تُحِلَّنَّ النَّاسَ هذا الكتابَ، ولا أَلفينَّكَ تأتي القومَ وهُمْ في حديثِهِم فتقطَعَ عليهِمْ حديثَهُمْ، ولكِنْ اتركْهُمْ فإذا حَدَّوْكَ عليهِ وأَمروكَ بهِ فحَدِّثْهم)[٢].

(فعلى الداعية أن يتفقه إلى مراعاة الناس في خطبته أو موعظته، بعدم الإطالة عليهم حتى لا ينفروا ويملوا، لكن بعض الأساليب العصرية التي طرأت حديثاً ولم تكن معروفة من ذي قبل، فيحتاج الداعية فيها إلى التطويل أو التفصيل في ذكر بعض القضايا، والإكثار من الشواهد، وتكرار الأفكار كما يحدث في المحاضرات العامة التي يدعى لها أصحاب الفكر، والمعلّمون، فلا بأس في ذلك لتعارف الناس على طولها، ولكن ينبغي مع ذلك محاولة جذب أنظار المستمعين، وإذهاب الملل عليهم بين فترة وأخرى ببعض المداخلات الأدبية والظريفة)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠٠٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٧/٦ رقم ٢٥٨٢٠، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٩/٤٣.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر ص ٦١٣ - ٦١٤.

الحديث رقم (٧٠١)

٧٠١- وعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه ، قَالَ: بَيْنَا أنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأنُكُمْ تَنْظُرُونَ إلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رسول الله ﷺ ، فَبِأبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْليماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((**إنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبيحُ وَالتَّكْبيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ**))، أوْ كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ. قلتُ: يَا رسول الله، إنِّي حَديثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بالإسْلاَمِ، وَإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأتُونَ الْكُهَّانَ؟ قَالَ: ((**فَلاَ تَأتِهِمْ**)) قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ((**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ**)) رواه مسلم[1].

"الثُّكْلُ" بضم الثاء المثلثة: المصيبة الفجيعة. "ما كَهَرَنِي" أي: ما نهرني.

ترجمة الراوي:

معاوية بن الحكم السُّلمي: هو معاوية بن الحكم السُّلمي الحجازي، صحابي مشهور كان يسكن بني سُليم وينزل المدينة.

كان رجلاً رجّاعاً إلى الحق، مكفراً عما قد يكون فعله من خطأ، كانت له جارية ترعى غنماً له، فأكل الذئب شاة منها، فغصب لذلك فضربها. وأتى النبي ﷺ فعظّم له ذلك الفعل، فقال للرسول ﷺ بعد أن أحس بذنبه: أفلا أعتقها؟ فقال له النبي ﷺ : "ائتني بها". فأتاه بها. فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله ﷺ فقال له: "أعتقها فإنها مؤمنة"[2].

وكان مشاركاً في الشعر يقول الشعر الجميل؛ كان أخوه علي بن الحكم على

---

(١) برقم (٥٣٧/٣٣).

(٢) انظر: الحديث في صحيح مسلم (٥٣٧).

فرسٍ له فأنزلها خندقاً، فأصاب رجله جدار الخندق فدقّها. فأتى النبي ﷺ، فمسحها وقال: بسم الله. فما آذاه منها شيء. وفي رواية: فما نزل عنها حتى برأ.

فاستجاش هذا الموقف عواطف معاوية ومشاعره، فقال في ذلك:

وأنزلها عليّ فَهْوَ يَهْوي	هُويّ الدلو مشرعة بحبل
فَعَصب رجلَه فَسَما عليها	سموّ الصقر صادف يوم ظِلّ
فقال محمدٌ صلّى عليه	مليكُ الناس قولاً غير فعل
لَعاً لك فاستمرّ بها سوياً	وكانت بعد ذاك أصحّ رجل[1]

له حديث واحد في صحيح مسلم طويل، وبعضهم يقطعه فيجعله أحاديث وهو الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

واثكل أمياه: الثكل: المصيبة والفجيعة، أمياه: أمي[3].

يصمتونني: يسكتونني[4].

فبأبي هو وأمي: فرسول الله ﷺ مفدى، أو أفديه بأبي وأمي[5].

---

(١) أخرج هذا الحديث البغوي والطبراني وابن السكن وابن منده وبعضهم ليس عنده الشعر وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٣٨: في الإسناد صفار بن حميد لا يعرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٩٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٨، ٩٣٨ ترجمة أخيه علي، والثقات لابن حبان (٢٧٣/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠٦/٤).

(٣) رياض الصالحين ٣٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص م ت).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٧٣.

ما كهرني: ما نَهَرَني[1].

الكهان: جمع كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار[2].

يتطيرون: يتشاءمون بالشيء[3].

يَصُدَّنَّهم: يصرفنَّهم ويمنعنَّهم[4].

الشرح الأدبي

الصلاة صلة بين العبد، وربه، ولا ينبغي أن يقطعها شيء مهما كان لذلك نجد الرسول ﷺ شديد الحرص على أن تؤدي في كامل هيئتها حتى تحقق كامل غرضها - نجد صدى ذلك في بناء عبارته المؤكدة بأكثر من مؤكد مع أنه - وحاشاه - لم يواجه بإنكار، ولا شك، ولكنه أكّدها تعظيماً لها فقد بدأها بحرف التوكيد المشعر بالتعظيم لما بعده ثم صعَّد هذا التعظيم باسم الإشارة (هذه) المؤذن بدرجة من القرب الروحي لصلاة حاضرة يلق فيها المؤمن ربَّه مع إفادة الإشارة للتقرير، واستحضار المسند إليه، وجعله ملأ السمع، والبصر قبل أن يقرر الحكم المميز لها وهو أنها (لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) وفي ذكر كلام الناس إيماء إلى أن المصلي منقطع مع الحوار الإلهي بين القرآن، والدعاء؛ ولذلك نجد العبارة التالية تقرر ذلك بأسلوب القصر (إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن) الذي يقصر الصلاة على تلك الأمور، وينفي أي شيء غيرها، ثم إن استخدام الرسول لـ (إنما) طريقاً للقصر فيه إشارة إلى أن هذا من المعلوم الذي لا يجهل، أو لا ينبغي أن يجهله أحد، وهو توكيد

---

(١) رياض الصالحين ٣٠١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك هـ ن).

(٣) المرجع السابق في (ط ي ر).

(٤) المرجع السابق في (ص د د).

معنوي للجملة الأولى، وهو سر فصلها عنها لكمال الاتصال، أضف إلى ذلك تنكيره لكلمة (شيء) والتي تفيد شمول القليل، والكثير من كلام الناس بحكم عدم صلاحيته في أثناء الصلاة، وتبقيها قاصرة بين العبد، وربه حالة إيمانية في حضرة إلهية لا يقطعها قاطع.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الكلام في الصلاة: أجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عامداً، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها، أن صلاته فاسدة[1].

واختلفوا في كلام الساهي والجاهل: فذهب الحنفية إلى بطلان الصلاة بالكلام، سواء أكان المصلي ناسياً أم نائماً أم جاهلاً، أم مُخطئاً أم مكرهاً؛ فتبطل الصلاة بكلام هؤلاء جميعاً، دون فرق.

وذهب المالكية إلى أن الكلام مبطل للصلاة؛ سواء أصدر من المصلي بالاختيار، أم بالإكراه، حتى لو وجب عليه، كإنقاذ أعمى، واستثنوا من ذلك الكلام لإصلاح الصلاة فلا تبطل به إلا إذا كان كثيراً، أو كان سهواً، فإن كان كثيراً فإنه تبطل به الصلاة أيضاً.

وذهب الشافعية إلى عدم بطلان الصلاة بكلام الناسي، والجاهل بالتحريم إن قرب عهده بالإسلام، أو نشأ بعيداً عن العلماء، ومن سبق لسانه، إن كان الكلام يسيراً عرفاً، فيعذر به، ومرجع القليل والكثير إلى العرف على الأصح. وأما المكره على الكلام فإنه تبطل صلاته على الأظهر، ولو كان كلامه يسيراً، ومقابل الأظهر لاتبطل كالناسي. وأما إن كان كلامه كثيراً فتبطل به جزماً.

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٠/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٦٧٣/٢.

وذهب الحنابلة إلى بطلان الصلاة بكلام الساهي والمكره، وبالكلام لمصلحة الصلاة، والكلام لتحذير نحو ضرير، ولا تبطل عندهم بكلام النائم إذا كان النوم يسيراً، فإذا نام المصلي قائماً أو جالساً، فتكلم فلا تبطل صلاته، وكذا إذا سبق الكلام على لسانه حال القراءة فلا تبطل صلاته؛ لأنه مغلوب عليه فأشبه ما لو غلط في القراءة فأتى بكلمة من غيره[1].

٢-حكم تشميت العاطس في الصلاة: من كان في الصلاة وسمع عاطساً حمد الله عقب عطاسه فشمته بطلت صلاته، عند الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والمشهور عند الشافعية؛ لأن تشميته له بقوله: يرحمك الله يجري في مخاطبات الناس، فكان من كلامهم الذي لا تصلح معه الصلاة، وقال أبو يوسف: لا تبطل صلاته؛ لأنه دعاء بالمغفرة والرحمة، فإن فعل ذلك جاهلاً لم تبطل صلاته[2].

٣-حكم الكهانة: وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٥٩٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

ثانياً: من صفات الداعية: الرفق واللين.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٥/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٦٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٥/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٠/٢ وما بعدها.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني ٢٣٨/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٩٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٧/١، والشرح الكبير ٥٨٧/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

الصلاة عماد الدين، وطريق المتقين، والفارق بين الكفار والمسلمين، وبها تكون الصلة بين العبد وربه الكريم، وقد ورد ذكرها في الحديث من قول الراوي: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ... إلخ).

وللصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها، وأحد أركان الإسلام، وحارسة الإيمان.

(وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2]، وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾[3]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[4]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[5]، وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[6].

وهي فريضة دائمة مطلقة على عبد وحر، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة،

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٣) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٢.

والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أُمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال، وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(١)، وقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾(٢)"(٣).

والصلاة وجبات روحية، وحقن صحية، عيّن أعدادها، وأوقاتها العليم الحكيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٤)، وأشار إلى أوقاتها في القرآن ولها ركعات معدودة تؤدى بها هذه الصلوات الخمس دائماً، وقد داوم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، حتى في الحروب، وتواترت أخبارها تواتراً لا يُعرف لأي عمل أو عبادة في ملة من الملل، وفي دور من أدوار التاريخ، وتوارثتها الأمة جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة من غير فترة يوم واحد، حتى في أدق ساعاتها وأعظم محنها وأزمانها، وهذه

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها، وجبات روحية... شرّعها الخلاق العظيم المبدع الحكيم، الذي ليس طبيب النفوس فحسب، بل هو خالقها العليم وصانعها الحكيم كذلك، فلا بد من الإيمان والخضوع لحكمتها وتشريعها، ولا بد من التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ...، وفي تكرّر هذه الصلوات وتعاقبها في يوم وليلة حكمة بالغة، وتغذية صالحة كاملة للنفوس، ووقاية لها عن الغفلة عن الله، واستحواذ المادية على القلب والروح[1]. وقد كان للناس في الصلاة أحوال بينها ابن القيم في قوله: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

الأولى: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالثة: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابعة: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، فقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

---

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٤ - ٢٥.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه؛ لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)[١].

(وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم للصلاة جواً من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، ما يجعل للصلاة أداة لتقوية حس النظام والتنظيم من أجل إظهار قوة الإيمان عند المسلمين، فالمقصود في الإسلام ليس الفرد وحده فحسب، بل وحدة الأمة وقوتها، فالفرد يعيش داخل هذه الأمة ليؤدي دوره فيها، ولكن إذا لم يكن الفرد قوياً بذاته ومنظماً ومتلائماً مع محيطه، لا يمكن أن يضيف قوته إلى قوة المجموع. بل سوف يعارضها، ومن هنا تظهر أهمية الصلاة وآثارها من الناحية الاجتماعية)[٢].

ثانياً- من صفات الداعية: الرفق واللين:

إن من دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، أن يتصف الداعية ويتحلى بخلق الرفق واللين، فبه تؤلف القلوب ويثمر إصلاح النفوس، ويقصد به "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف"[٣]، وهذا ما ورد في الحديث من قول معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: (... فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)، قال النووي: (وفي الحديث بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه)[٤].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢٧٦/٢ - ٢٧٧، مجموعة الحديث.

(٢) انظر: الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩.

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نصوص كثيرة تبين ضرورة اتصاف الداعية بالرفق واللين. فقد أمر الله تعالى نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام بإلانة القول مع عدوه فرعون أثناء دعوتهما له، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، قال القرطبي: (القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين ليناً...، فإذا كان موسى عليه السلام أُمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2])[3].

(فالرفق يصلح النفوس، ويؤثر فيها تأثيراً لطيفاً حسناً، ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية، بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديها صلابة التحدي والنفور من صاحبها، ولو عظم شأنه وكثرت فضائله)[4].

وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[5].

قال القاسمي: (في قوله تعالى: "ولو كنت فظاً" أي: سيء الخلق خشن الكلام "غليظ القلب" أي: قاسيه وشديده. تعاملهم بالعنف والجفاف "لانفضوا" أي: تفرقوا "من حولك" فلم يسكنوا إليك فلا تتم دعوتك. ولكن الله جعلك سهلاً سمحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رؤوفاً رحيماً...، وقال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٥/١٤.

(٤) انظر: أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ٨٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الأخلاق، وخصوصاً لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف)[(١)].

(فعلى الداعية أن يقف طويلاً عند هذه الآية الكريمة، إذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلوب، مما يجعل الناس يفرّون وينفرون من أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى وحبيب رب العالمين ﷺ - إن وجدتا فيه - فكيف بمن عداه إذا كان فظاً غليظ القلب؟)[(٢)].

وقد تجلّت الدعوة بالرفق واللين في سنة النبي ﷺ وهو القدوة الحسنة حتى يتخذ الدعاة إلى الله في ذلك منهجاً وطريقاً، وليس أدل على ذلك من رفقه ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد، وذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه في قوله: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[(٣)].

"فعلى الداعية أن يتصف باللين والرفق في دعوته، وأن تكون خالية من العنف، والخشونة، والقسوة، والشدة، والجفاء"[(٤)].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يعد التعليم من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم[(٥)]، وهذا ما ورد في الحديث من تعليم النبي ﷺ لمعاوية بن الحكم

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٦/٤/٢ - ٢٧٩.

(٢) انظر: من صفان الداعية "اللين والرفق"، د. فضل إلهي ص ١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) من صفات الداعية الين والرفق، د. فضل إلهي ص ٩.

(٥) وسائل الدعوة "مفهومها مشروعيتها، انواعها"، د. حمد ناصر العمار، بحث منشور ضمن مجلة دراسات إسلامية" وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص ٤٤.

السلمي رضي الله عنه ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة وذلك من قوله رضي الله عنه : "... ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... إلخ".

وعلى الداعية الناجح ألا يكتفي ببث تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه فحسب، بل لا بد أن يحمل من يعلمه على التمسك بهذه المبادئ الحية، وأن يصوغ سلوكه على نحوها حتى يتربى تربية إسلامية، فيتعلم ويعمل في نفس الوقت، كما فعل المربي والداعية الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم مع أصحابه رضي الله عنهم فكانوا مصابيح يستنار بنورهم ومعلمين يسمع لقولهم، وهداة يقتفى أثرهم.

وهذه الطريقة من أهم المبادئ التي يجب على الداعية المعلم أن يحتذيها، وأن يحاول أن يربط كل من يعلمه من تلاميذه أو سامعيه بشؤون الحياة التي يعيشها لكي يرى آثار ما علمه في الناس مباشرة أو بعد حين، حتى يكون التعليم نافعاً وأقوى رسوخاً في الأذهان، لأن التعليم والتعلم وسيلة وليس غاية، وإنما غاية التعليم هي الآثار الناتجة في المتعلم، وتأثيرها على سلوكه وأعماله.

فالمعلم النابه هو الذي لا يعتمد قياسه الآثار التعليمية في المتعلم، كالحفظ وقوة الذاكرة فقط، بل يجب أن ينظر إلى الآثار السلوكية، ومدى تطبيقه لما علمه، لأن الحفظ وقوة الذاكرة لا ينفعان بدون الآثار السلوكية، التي تطرأ عليه بعد معرفته الحقيقة واقتناعه بها، وإن كان الحفظ وقوة الذاكرة من الأهمية الكبرى في العمل، فإن العمل يحتاج إلى علم يرشده إلى ما فيه الخير، الموافق لما رسمته الشريعة والمرضي لله تبارك وتعالى في جميع العبادات، كما أن المؤمن مطالب بالدعوة، وهي كذلك تحتاج إلى علم[1].

وقد كان من أهم الركائز الأساسية في التعليم كوسيلة دعوية، أن يبنى على الرفق واللين بالجاهل، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول معاوية بن الحكم رضي الله عنه : ((مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ

---

(١) المرجع السابق ٤٤ – ٤٥.

ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي... إلخ)). قال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث، حسن تعليم النبي ﷺ، وأنه يعلم بالرفق واللين، وهذا هديه ﷺ وهو أسوة أمته، فالذي ينبغي للإنسان، أن ينزل الناس منازلهم، فالمعاند المكابر يخاطب بخطاب يليق به، والجاهل الملتمس للعلم يخاطب بخطاب يليق به)[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن عباد بن شرحبيل (رجل من بني غبر) رضي الله عنه قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ. فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ. فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِهَا. فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي. فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ. فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ: ((مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً. وَلاَ عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً)) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس... إلخ"، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين، وحيث أكد النبي ﷺ في أذهان المدعوين أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

خامساً- من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير:

قد ورد في الحديث النهي عن ذلك من قول معاوية بن الحكم رضي الله عنه: (يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٠٥/٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٢٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦١).

(والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، والعرّاف: المنجم. وقال الخطابي: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق والضالة ونحوهما)[١].

(والحاصل أن الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم: وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم، والذي يضرب الحصى، والذي يدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعاً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر)[٢].

لقوله ﷺ ((مَنْ أَتى حَائِضاً أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِها أَوْ كَاهِناً: فقدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضاً، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِيءَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))[٤].

ومن أجل ذلك (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة، بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله: كفر)[٥].

وقد بيّن ابن عابدين أن حاصله -أي التكهن والكهانة- أن دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها، إلا إذا أسند ذلك صريحاً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام[٦].

ويدخل في النهي عن إتيان الكهان، النهي عن أكل ما اكتسبه بالكهانة، لأنه

---

(١) التعريفات ٢٣٣، رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٥، وصححه الألباني (صحيح سن الترمذي ١١٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٠٤).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٦) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

سحت، جاء عن طريق غير مشروع، كأجرة البغي، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: ((نَهى عن ثمنِ الكلبِ، ومَهْرِ البَغيّ، وحُلوانِ الكاهنِ))[١] وهو ما يأخذه على كهانته"[٢].

وقال النووي: (وأما حلوان الكاهن فهو ما يعطاه على كهانته، يقال: منه حلوته حلواناً إذا أعطيته، قال الهروي وغيره: أصله من الحلاوة، شبه بالشيء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلاً بلا كلفة ولا في مقابلة مشقة... وقد أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن، لأنه عوض عن محرم، ولأنه أكل المال بالباطل)[٣].

قال صاحب عون المعبود نقلاً عن الأزهري: (وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث نبياً، وحرست السماء بالشهب، ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع، وإلقائه إلى الكهنة، بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهانة بالفرقان الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل، وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجز الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومِنَّتِه)[٤].

أما التطير: هو ما يُتشاءم به من الفأل الرديء[٥]، وقد كان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، فإذا طار يميناً فله حال، وإن طار يساراً فله حال، وإن اتجه أماماً فله حال...[٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: ((لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيرَةَ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ)). فقالَ أعْرَابيٌّ: مَا بَالُ الإبلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم ١٥٦٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٧.

(٤) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٦٨.

(٥) التعريفات، الجرجاني ص ١٨٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٠٠٦/٢.

قَالَ فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ[(١)]، وقال ﷺ: ((الطِّيَرَة شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلاَثاً وَمَا مِنَّا إلاَّ وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ))[(٢)].

(وقوله ﷺ: (الطيرة شرك) أي: لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفياً ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال، فقد أشرك شركاً جليا. قال القاضي: إنما سماها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثراً في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد (ثلاثا) مبالغة في الزجر عنها (وما منا) أي أحد (إلا) أي إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء ما لتعوّد النفوس بها، فحذف المستثنى كراهة أن يتلفظ به. قال التوربشتي: أي إلا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة، وكره أن يتم كلامه ذلك، لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام، يكتفي دون المكروه منه بالإشارة، فلا يضرب لنفسه مثل السوء.

قال الخطابي: معناه إلا من قد يعتريه الطيرة، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع ...، وقوله ﷺ: (ولكن الله يذهبه) من الإذهاب (بالتوكل) أي: بسبب الاعتماد عليه، والاستناد إليه سبحانه. وحاصله أن الخطرة ليس بها عبرة، فإن وقعت غفلة لا بد من رجعة. والله أعلم)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠٧، ومسلم ٢٢٢٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٠٩).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٧٢.

الحديث رقم (٧٠٢)

٧٠٢- وعن العِرْبَاض بن سارِيَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأمْر بالمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّة، وَذَكَرْنَا أنَّ التِّرْمِذِيَّ[1]، قَالَ: ((إنّه حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

العرباض بن سارية: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٧).

غريب الألفاظ:

وجلت: فزعت[2].

وذرفت: دمعت[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام في قوله (قام فينا) يوحي بأهمية الأمر، ويؤكده ضمير الجمع المتصل بحرف الجر (فينا) ووصف الموعظة بأنها بليغة فيه إشارة إلى خصوصية في هذه الموعظة أربَت على غيرها؛ لأن مواعظ الرسول ﷺ كلها بليغة كما أنه يشير إلى عمق تأثيرها في النفوس يدل على ذلك تعبيره بقوله: (وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون) الذي يدل على الأثر الباطني، والأثر الظاهري، وتقديم القلوب على العيون؛ لأنه مترتب عليه ترتب الأثر على المؤثر، والتعبير بالجمع في (القلوب، والعيون) فيه دلالة على

---

(١) تقدم برقم (١٥٧). أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥)، وقال الحاكم (٩٥/١): هذا حديث صحيحٌ ليس له علة. وقال الحافظ ابن كثير في تحفة الطالب (٤٦): وصحّحه أيضًا أبو نعيم الإصبهاني، وقال شيخ الإسلام الأنصاري في ذم الكلام (١٢٢/٣): هذا من أجود حديث في أهل الشام وأحسنه. ونقل أيضًا عن أبي العباس الداغولي أنه قال: حديث العرباض هذا صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٥٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ج ل).

(٣) اللسان والوسيط في (ذ ر ف).

عمق الموعظة، وعموم تأثيرها على جموع المخاطبين.

وقولهم (كأنها موعظة مودع) يكشف سر الخصوصية في هذه الموعظة؛ لأن وصية المودع يكون فيها من المعاني والعواطف ما لا يكون في غيرها.

ولذلك جعل فيها الرسول ﷺ جماع الخير في الآخرة في قوله: (أوصيكم بتقوى الله) وجماع الخير في الدنيا بطاعة أولي الأمر في غير معصية، وترك الاختلاف، والتمسك بسنته، وسنة خلفائه، وقد ورد تعبيره في قمة الوفاء بالمعنى (عضوا عليها بالنواجذ) وهو كناية عن شدة التمسك بهديه، ولزوم سنته مهما كلَّف ذلك.

ثم جاء أسلوب التحذير من المخالفة، والابتداع (وإياكم ومحدثات الأمور...) ليؤكد الأمر السابق بلزوم السنة، وإخباره ﷺ بما سيقع من الخلاف من أعلام نبوته، ولسان حال الزمان يقول صدق رسول الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٧) بكماله.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قدرات المستمعين العقلية في التركيز متفاوتة، ومثل ذلك الظروف الصحية، ولهذا كان الأمر بقصر الخطبة مع تجويدها وتحسينها وإطالة الصلاة، لأن قليل الكلام الجامع خير من كثيره المرسل، الخالي من الفكرة والمضمون.

كما أن التعليم لا يقوم على التلقين فقط، بل على الاستفهام وإجابة السؤال، حتى لا يكون الكبت الذي يولد الانفجار، أو يشوش على المعلومة، وحتى لا يساء الظن بالمعلم. ورفق المعلم ورأفته بالمتعلم من دواعي استيعابه وتجيبه في العلم والشدة والغلظة من دواعي كره المعلم والنفرة منه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتخول بالموعظة:

من الأساليب التربوية الناجعة التخول بالموعظة، وذلك حتى لا يمل المتربي من النصح والوعظ والتوجيه، وقد أورد النووي تحت هذا الباب -باب الوعظ والاقتصاد فيه- جملة أحاديث تبرز التخول بالموعظة. ومن ذلك حديث أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: «كان ابن مسعود رضي الله عنه يُذكِّرنا في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكَّرتنا كلَّ يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا»، وحديث أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ». وكذلك أيضًا حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون...".

"والتخول بالموعظة أسلوب من أساليب التربية التي ربى بها النبي ﷺ أصحابه والمراد بالتخول كما قال الخطابي: إنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل فينذرهم أيامًا ويتركهم أيامًا، والموعظة ليست مطلوبة لذاتها، إنما لما يحصل بها من تأثير على النفوس، وتغيير في السلوك، واستقامة على

الطريق الصحيح، واستجابة لما يريد المربي لأنها تملك مشاعر المتدربين، وتليين القلوب القاسية، بقوة تأثيرها للاستجابة إلى الحق والموعظة بالتخول الأوْلَى فيها مراعاة الوقت وعدم الإكثار حتى يكون ذلك مدعاة لاستعداد النفس للتقبل"[١].

ومن خلال الموعظة الحسنة يستطيع المربي أن يوجه المتربي بأدب ولطف "وهذا الأسلوب من أساليب التربية قوي التأثير في النفوس لأنه يدل على احترام الواعظ لمن يخاطبه فيجذبه ذلك إليه أكثر، ويجعله أكثر ميلاً لتصديقه واتباعه، وفي المواعظ القرآنية نلحظ أسلوبًا تربويًا رائعًا ينبغي أن يتمثله المربي والمتعلم؛ فالمعلم يجب أن يتفهم المتعلمين، وأن يقف على ظروفهم وتفكيرهم، وأن يعاملهم بالحسنى، بدلاً من العنف والسب الذي يتسبب في نفور المتعلم من التعلم، وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة... بعد أن نادى به الإسلام منذ ظهوره، فهذا الأسلوب من شأنه تكوين وتنشئة وإعداد المسلم العابد الصالح بحيث يكون سلوكه صائبًا في عقيدته وعقله وعمله، وهذا هو الهدف من القرآن الكريم"[٢].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي باستغلال الموقف أو الحدث في تنمية وغرس قيمة معينة أو التوجيه والإرشاد لأمر معين، ومن أحاديث الباب التي تشير إلى التربية بالمواقف والأحداث حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللّه فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ ... قَالَ ﷺ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ...».

ففي الحديث بيَّن النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٢) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد عطية ص ٢٢-٢٤.

"والتربية بالأحداث من طرق التربية الفعّالة أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين. وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"[1].

ثالثًا- من آداب المعلم: الرفق بالمتعلم:

إن من الصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم الرفق بالمتعلم، وذلك حتى يتقبل النصح والتوجيه والإرشاد، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا المعنى حديث معاوية بن الحكم السلمي ﵁ وجاء فيه: «... فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ ...».

ففي الحديث يظهر كيف تعامل النبي ﷺ برفق ولين مع الصحابي الجليل، وكيف وجهه وأرشده إلى الصواب بدون تعنيف، ولا تأنيب ولا زجر.

قال الماوردي: "ومن آداب المعلمين أن لا يعنفوا متعلمًا، ولا يحقروا ناشئًا ولا يستصغروا مبتدئًا، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم، ومن آدابهم ألا يمنعوا طالبًا، ولا ينفروا راغبًا، ولا يُؤْيِسُوا متعلمًا، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرارِ مُفْضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم، ومن آدابهم نصح مَنْ علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفْدهم ومعونتهم فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم"[2].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٣٣٦، ٤٤٧.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٩٣.

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية يستفاد منها في التعليم والتربية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكّرنا في كلّ خميس ..." الحديث، وكذلك في حديث معاوية ابن الحكم السُّلمي رضي الله عنه.

والحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة التي تنادي بها الاتجاهات المختلفة في التربية الحديثة، فإنها تتيح فرصة طيبة ليعبر المتعلم عن نفسه وعن أفكاره وآرائه في جوّ مشجع، فينتقل إلى الإسهام بدور إيجابي ويشعر بفائدة ما يتعلمه وما يتربى عليه.

ب-الموعظة: كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجِلَتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون..." الحديث. وتستخدم الموعظة في الكثير من الجوانب الحياتية المختلفة، فالآباء -على سبيل المثال- يستخدمونها في الكثير من الأمور التي يريدون تعليمها لأبنائهم، وتعد الموعظة من الأساليب التربوية التي تتميز بشدة بقاء أثر التعلم، فهي تكون نصب عين من وجهت إليه.

خامساً- التربية على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا واضح من قول ابن مسعود رضي الله عنه "أما إنه ما يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلّكم وإني أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا".

فقد بين ابن مسعود رضي الله عنه أنه يسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والوعظ، وأنه يلتزم به ويقتدي به صلى الله عليه وسلم، لأنه الأسوة والقدوة لكل مسلم، وعلى ذلك ينبغي أن يرى كل فرد مسلم، وأن يستحضر دائمًا وأبدًا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

٩٢- باب الوقار والسكينة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[الفرقان: ٦٣].

الحديث رقم (٧٠٣)

٧٠٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا رَأيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّى تُرَى[١] مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"اللَّهَوَاتُ": جمع لَهَاةٍ: وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مستجمعًا: مبالغًا في الضحك لم يترك منه شيئًا[٣].

لهواته: جمع لهاة: اللحمة التي في أقصى سقف الفم[٤].

الشرح الأدبي

حمل الرسول ﷺ همَّ هداية البشر جميعاً، وأطلعه الله على كثير من الغيبيات، وما ستتعرض له أمته من خير، وشر نضيف إلى ذلك ما رآه، وعلمه من الدين بالضرورة، فقد رأى الملكوت السفلي بجنِه وإنسه ودوابّه، فقد قال ﷺ إنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا...[٥] وقال أيضا (... مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إلاَّ قَدْ

---

(١) لفظ مسلم: (أرى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٥٦/٤، رقم ٢٢٧٤) وكذا لفظ البخاري برقم (٤٨٢٨).

(٢) اخرجه البخاري (٦٠٩٢)، ومسلم (٨٩٩/١٦) ولفظهما سواء.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٢.

(٥) صحيح مسلم كتاب: (الفتن) باب: (هلاك هذه الأمة بعضها ببعض) رقم (٢٨٨٩).

رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا......)[١] ورأى الملكوت العلوي، ورأى مشاهد من الآخرة ليلة الإسراء[٢] ورأى الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها؛ (قَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ)[٣] ورأى كل المواقف التي تمر بأمته في الحشر والنشر، والثواب والعقاب، قال ﷺ (إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ.....)[٤]

كل هذه المشاهد التي رآها عين يقين[٥] ﷺ تحولت إلى معانٍ جاشت في صدره وحملها قلبه، فصار يتقلب بين هموم الدعوة، وينشغل بحال الناس، وهو ما عبرت عنه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو أقرب المقربين إليه بقولها: (ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ) حيث نفت عنه هيئة الضاحك بملء فيه، وأكدتها بقولها (قط) لنفي توهم المبالغة، وتأكيد معنى النفي، وقد زادت المعنى توكيداً بأسلوب القصر (إنما كان يتبسم) حيث قصرته على التبسم لا يتعداه إلى الضحك، وقد كان أكثر الناس يبسماً وهو من أدبه العالي ﷺ.

فقه الحديث

المكروه من الضحك:

قال ابن حجر: (الذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)[٦].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح - ينظر عمدة القارى - بشرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين ٦٦/٣ رقم (٤٨) طبع ونشر علماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

(٢) ينظر حديث الإسراء في صحيح مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان رقم (٣٥٩).

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٣٢. كتاب: (الفضائل) رقم (١٣٦).

(٤) صحيح مسلم ٦٢٢/٢ كتاب الكسوف رقم (٩).

(٥) رؤية عين بأن كشف له دونها فرآها علي حقيقتها، وطويت المسافة بينهما....) شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك - (للإمام محمد الزرقاني) ٣٧٧/١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥/١٠، وانظر: شرح ابن بطال ٣٣٦/١٧، وتنبيه الغافلين للسمرقندي ٢١٦/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٤/٢٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والقصر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الوقار والسكينة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والقصر:

لقد نفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ المبالغة في الضحك، وقصرت ضحكه ﷺ على التبسم، وذلك إخبارًا عن وقار النبي ﷺ وسكينته. قال ابن حجر: (قوله: "مستجمعا قط ضاحكا" أي مبالغا في الضحك لم يترك منه شيئًا، يقال استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره: اجتمع له ما يحبه... أي ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك)[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ))[2].

قال ابن حجر: (والنواجذ جمع ناجذة، هي الأضراس، ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك، ولا منافاة بينه وبين حديث عائشة "ما رأيته ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا ..." لأن المثبت مقدم على النافي، قاله ابن بطال، وأقوى منه أن الذي نفته غير الذي أثبته أبو هريرة، ويحتمل أن يريد بالنواجذ الأنياب مجازًا أو تسامحًا، وبالأنياب مرة[3]، فقد تقدم في الصيام هذا الحديث بلفظ ((حتّى بَدَتْ أنيابهُ))[4]، والذي يظهر من مجموع الأحاديث، أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٨٧، ومسلم ١١١١.

(٣) جاء في حاشية فتح الباري: لعل هنا سقط تمامه "فعبر بالنواجذ مرة وبالأنياب مرة.. إلخ".

(٤) صحيح البخاري ١٩٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٠.

ثانيًا- من صفات الداعية: الوقار والسكينة:

إن الداعية له منزلة كبيرة في قلوب المدعوين، ومن الطرق الموصلة لهذه المنزلة التزام الداعية الوقار والسكينة، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما جاء في هذا الحديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى تُرى من لهواته، إنما كان يبتسم"، قال ابن عثيمين: إن النبي ﷺ لم يستجمع قط ضاحكًا تبدو منه لهواته، يعني ليس ضحكًا فاحشًا بقهقهة، يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه ﷺ كان يبتسم، أو يضحك حتى تبدو نواجذه، أو تبدو أنيابه؛ وهذا من وقار النبي ﷺ)[1].

والنبي ﷺ هو إمام الدعاة وقدوتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[2].

قال ابن كثير: (هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: بسكينة ووقار، من غير جبرية ولا استكبار. كما قال: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾[3]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له[4]، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابًا يمشي رويدًا فقال: مالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة. وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد ههنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ ((إذا أتيتم

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٠٨ – ١٠٠٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٧٧).

الصلاةَ فَلاَ تأتوهَا تسعَوْنَ، وأتوهَا وعليكُمْ السكينةِ، فَمَا أدركتم فصلّوا، وَمَا فاتكُمْ فأتمّوا))[(١)(٢)].

وقال النووي عن معنى السكينة والوقار: (قيل هما بمعنًى وجمع بينهما تأكيدًا، والظاهر أن بينهما فرقًا، وأن السكينة التأني في الحركات واجتناب العبث وغير ذلك، والوقار في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك)[(٣)].

وقال أبو العباس القرطبي مبينًا أثر الحياء في التحلي بالوقار والسكينة -قال: (إن منه [أي من الحياء] ما يحمل صاحبه على أن يوقر الناس ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير ما يتحرك الناس إليه، من الأمور التي لا تليق بذوي المروءات)[(٤)].

ويربط ابنُ القيم بين وقار الظاهر ووقار الباطن، وأن وقار الباطن هو الطريق للظاهر، وأن أساس ذلك توقير الله وتعظيمه، فيقول: (من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس، وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[(٥)]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[(٦)]، قال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرونه؟ وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/١٢١-١٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١/٢٢٠.

(٥) سورة نوح، آية: ١٣.

(٦) سورة الفتح، آية: ٩.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله، وعرفوا حق عظمته، وحَّدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه، واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يُستَحى من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله.

ومن وقاره أن لا تعدل به شيئًا من خلقه، لا في اللفظ، بحيث تقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره نهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء. وَيجعَلِه أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويُقدِّم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حدٍ وناحية، والناس في ناحية وحد، فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس، دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولُبَّه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدَّمًا على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب. ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم. وإن وقروه مخافة شرِّه فذاك وقارُ بغضٍ لا وقار حب وتعظيم. ومن وقار الله أن يستحيى من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره. ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحيى من أكابر الناس.

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه، وما آتاه من العلم والحكمة، كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟! القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلاتٌ من الحق وتنبيهات وروادع وزواجر واردةٌ إليك، والشيب زاجر ورادع وموقظ قائم بك، فلا ما ورد إليك وعظك! ولا ما قام بك نصحك! ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك! فأنت كمصاب لم تؤثر فيه مصيبته وعظًا وانزجارًا، وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر

بالنظر إلى مصابه. فالضَّربُ لم يؤثر فيه زجرًا، وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه)[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إنما بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وأولى الناس به هم المؤمنون به، الذين يقتدون به في دينهم ودنياهم وفي مختلف أحوالهم، لأن الله سبحانه وتعالى نصبه قدوة وأسوة للخلق يتأسون به، ولذلك ما أجمل أن يقتدي المدعوون به ﷺ في ضحكه وتبسمه فلا يخرج عن وقاره وسمته إن فعل ذلك. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك)[٢].

وقال ابن القيم: (وفي صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة "إني باعث نبيًا أميًا، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوّال للخنا[٣] أسدده لكل جميل، وأهب له كل خُلُق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه والبرّ شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه. والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه)[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((لاَ تُكثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ))[٥].

وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٦] قال: (إن المؤمنين قوم ذلت منهم - والله - الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، وإنهم والله لأصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف

---

(١) الفوائد ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٠.

(٣) الخنا: الفحش في القول. النهاية في غريب الحديث في (خنا).

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٢٩٣-٢٩٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨١).

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله نعمةً إلا في مطعم أو في مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه)[١].

وتأسي المدعو بالنبي ﷺ في سكينته ووقاره يعود عليه بفوائد جمّة في دينه ودنياه، فأهمها أن ذلك طاعة لله وامتثالٌ لأمره بالاقتداء بالنبي ﷺ، كما يبتعد المدعو عن الرذائل والأمور المستنكرة، فضلاً عن حب الناس له واحترامهم إياه، كما أن الوقار والسكينة من صفات أهل الرئاسة والقيادة والشرف والسؤدد[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٢/٦، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠٣/١١-٢٠٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٦٧٤/٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المسلمون ليسوا كغيرهم المسلمين في قيمهم وسلوكهم، فإن للمسلم من الهيبة والوقار ما ليس لغيره لأن هناك سمت مميز يجب الحفاظ عليه وعدم التخلي عنه في كل الأحوال، حتى في المزاح وفي الفرح وغير ذلك.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على الوقار والسكينة:

إن من أهم أهداف التربية الخلقية التربية على الوقار والسكينة، ذلك لأنهما يدلان على شخصية الفرد ومدى اتزانه، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى صفات التوازن والاعتدال، والسكينة والوقار في شخص رسول الله ﷺ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

والوقار من آثار الحياء والحشمة، "ومن فوائده أنه يبعد صاحبه عن الرذائل ويجافيه عنها، والناس يحبون الشخص الوقور، والوقور يدرك ما لا يدركه غيره من معاني العز والشرف والسؤدد والرياسة، والوقار عز لصاحبه في الدنيا والآخرة، ويكسبه المهابة بين الناس"[1].

إن المسلم الذي يتربى على الوقار والسكينة يبتعد عن كل ما يؤدي به إلى سقوط الهيبة، ومن ذلك المزاح والضحك، ولذا فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما وصفت ضحك رسول الله ﷺ بأنه لا يبالغ في الضحك حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم "وأما الإفراط في المزاح فإنه منهي عنه حيث إن كثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ كَثُرَ

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٣٦٧٤/٨.

ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مزَح اسْتُخِفَّ بِهِ»، ونظر وُهَيْب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر، فقال: "إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟"، وكان عبدالله بن أبي يعلي يقول: "أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار!"، وقال محمد بن واسع: "إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه، فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا والمحمود منها التبسم الذي ينكشف فيه السنّ ولا يسمع له صوت، وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ"[1].

وقال الماوردي: (وأما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة مُذْهل عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وُسِم به خطر ولا مقدار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلت هيبته»، وقال علي رضي الله عنه: «إذا ضحك العالم ضحكة مَجَّ من العلم مجة»، وقيل في منثور الحكم: ضحكة المؤمن غَفْلَة من قلبه. والقول في الضحك كالقول في المزاح: إن تجافاه الإنسان نفر عنه، وأوحش منه، وإن ألفه كانت حاله ما وصفناه، فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسما وبشْرًا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التبسم دعابة»، وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجبًا، وليس ينكر منه المرة النادرة، لطارئ استغفل النفس عن دفعه، فهذا رسول الله ﷺ وهو أملك الخلق لنفسه، قد تبسم حتى بدت نواجذه، وإنما كان ذلك منه ﷺ على الوجه الذي ذكرناه)[2].

ثانيًا- التربية بالقدوة:

إن من أساليب التربية النافعة التربية بالقدوة لما لها من أثر طيب في إقناع المتربي، وإظهار التطبيق العملي لما يدعو إليه المربي، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبين كيف كان رسول الله ﷺ قدوة في الوقار والسكينة، ولا أدل على ذلك من بيان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ يتبسم ولا يبالغ في الضحك

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٠٢.

حفاظًا على الوقار والهيبة والسكينة، «مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

"والقدوة هي متابعة من المقتدي للمقتدى به في فعله، ويراد فيها في المعنى الأسوة والتقليد والمحاكاة والتشبه، ولا يقتدي المرء إلا بمن أحبه، وأُعْجِبَ به وأَكْبَره في نفسه، وتكون القدوة في الأقوال والأفعال والمواقف، والمراد بالقدوة في إطار التربية الإسلامية: إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصًا أو أكثر تحقق فيهم الصلاح ليتشبه بهم ويأخذ عنهم سلوكه، ولذا فإن الله تبارك وتعالى بعث الرسل الكرام من أطهر البشر وأحسنهم سمعة وأسماهم خلقًا ممن عصمهم الله تعالى من الدنايا والرذائل وذميم السلوك والأفعال ليكون ذلك هو الجانب العملي للشرائع والأديان في حياة الناس بعامة، وأما نحن المسلمين فقدوتنا وأسوتنا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومما لاشك فيه أن الجانب السلوكي العملي أوقع في النفس وأكثر طمأنينة لها من القول في كثير من الأحيان"[1].

إن القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، إن من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن المنهج يظل حبرًا على ورق... يظل معلقًا في الفضاء... ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض... ما لم يتحول إلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعرِه وأفكارِه مبادئَ المنهج ومعانيه، عندئذٍ فقط: يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس، ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ"[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين ابو لاوي ص ١٧٣، ١٧٤.

(٢) مناهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ١٤٨/٢.

٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

الحديث رقم (٧٠٤)

٧٠٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَأتُوهَا وَأنْتُمْ تَسْعَونَ، وَأْتُوهَا وَأنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتكُمْ فَأَتِمُّوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلِمٌ[2] في روايةٍ لَهُ: ((فَإنَّ أحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ في صَلاَةٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تَسْعَون: تجرون وتعدون[3].

الشرح الأدبي

الخشوع هو الذي يحدث الأثر الأكبر في تهذيب نفس المصلى، وتنقيته داخلياً مع صفاء روحه، فالصلاة لها تأثير في النفس، لأنها تدعو إلى تفريج القلب، وتقويته وشرحه، وكشف همه، ولذلك شرعت صلاة الحاجة، والاستخارة، فهى تسكّن ظنون النفس، وتطرد شكوكها، وترددها، وتذهب بقلق صاحبها، وخوفه، وهمه وحزنه[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٦٠٢/١٥١)، وهذا لفظ الترمذي (٣٢٧).

(٢) برقم (٦٠٢/١٥٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د و).

(٤) روضة المحبين لابن القيم ص١٥١ والطب النبوي لابن القيم صد ١٩٣.

لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يهيأ المصلي نفسه قبل أن يدخل في الصلاة، ونهى عن كل ما يؤثر في سكينة نفسه، وخشوعه، لذلك بدأ حديثه بأسلوب الشرط الذي يربط فعلاً بجزائه (إذا أقيمت الصلاة..) وقد استخدم أداة الشرط (إذا) المؤذنة بتحقق الشرط، وقد جاءت جملة الجواب في صورة النهي (فلا تأتوها وأنتم تسعون) وعطف عليها الأمر المؤكد لها (واتوها وأنتم تمشون) فنهى عن الحركة السريعة التي تنفي الخشوع المتمثلة في السعي، وأمر بضدها، وهو السير الهادئ الذي يوفّر السكينة، وهو من طباق السلب، ثم إنه صعَّد الإحساس بأهمية هذا الأمر بقوله (وعليكم بالسكينة) أي الزموا، ثم عالج ما يترتب عل ذلك من فوت بعضها بقوله (فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا) ونلاحظ تتابع الفاءات المؤذنة بفورية الدخول مع الإمام حال الوصول.

لأن الغاية المتحققة أولى لأنها تحفظ خشوع من في المسجد، وتوفر السكينة على القادمين وهو ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين في المسجد.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يستحب لمن قصد الجماعة: يستحب للرجل، عند الحنفية، والحنابلة، والأصح عند الشافعية، إذا أقبل إلى الصلاة: أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع، وعليه السكينة والوقار، وإن سمع الإقامة لم يسع إليها في عجلة، وقال الإمام أحمد وأبو إسحاق: إن خاف فوات التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع، إذا طمع أن يدركها ما لم يكن عجلة تقبح، وقال المالكية: يجوز الإسراع في المشي للصلاة في جماعة لإدراك فضلها إسراعًا يسيرًا بلا جري يذهب الخشوع، وإلا يكره[1].

---

(١) الاختيار ٦٣/١، وبداية المجتهد ١٩٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٧/١.

٢- القدر الذي تدرك به الجماعة: اختلف الفقهاء في القدر الذي تدرك به فضيلة الجماعة: فذهب الحنفية والحنابلة، وهو الصحيح عند الشافعية، وهو قول ابن يونس وابن رشد من المالكية إلى أن فضيلة الجماعة تدرك باشتراك المأموم مع الإمام في جزء من صلاته، ولو في القعدة الأخيرة قبل السلام، وذهب الشافعية في مقابل الصحيح، وخليل، والدردير، وابن الحاجب من المالكية، إلى أنها لا تدرك إلا بإدراك ركعة كاملة[1].

٣- هل ما أدرك المأموم، هو آخر صلاته،أم أولها؟ ذهب المالكية والشافعية، إلى أن ما أدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته، وما يفعله بعد تسليم الإمام هو آخرها.

وذهب الحنابلة إلى أن ما أدركه المسبوق من صلاة مع إمامه هو آخرها،أي: آخر صلاته، وما يقضي، مما فاته، هو أولها[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة:

(الصلاة آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله)[3]. قال

---

(١) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٨١/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢٨/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣١/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٠/٢ وما بعدها.

(٢) حاشية الصاوي ٢٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٦٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٠/٢.

ابن قدامة: (وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقول الله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[١] وأما السنة فما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجِّ البيت من استطاع إليه سبيلاً))[٢] مع آي وأخبار كثيرة وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة)[٣].

قال النووي: فيه [أي في حديث الباب] فيه الندب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيًا، سواء في صلاة الجمعة وغيرها، وسواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا، والمراد بقول الله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[٤] الذهاب)[٥].

وقال صالح الفوزان: (أيها المسلم إنك بحاجة ماسة إلى معرفة الآداب المشروعة التي تسبق الصلاة استعدادًا لها، لأن الصلاة عبادة عظيمة ينبغي أن يسبقها استعداد وتهيؤ مناسب، ليدخل المسلم في هذه العبادة على أحسن الهيئات. فإذا مشيت إلى المسجد لتؤدي الصلاة مع جماعة المسلمين، فليكن ذلك بسكينة ووقار، والسكينة هي: الطمأنينة في المشي، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر، وخفض الصوت، وقلة الالتفات)[٦].

وقال النووي: (قال العلماء: والحكمة في إتيانها بسكينة، والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاةٍ عامدٌ في تحصيلها ومتوصِّلٌ إليها، فينبغي أن يكون متأدِّبًا بآدابها،

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٥-٦.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤١.

(٦) الملخص الفقهي ١/١٢٠.

وعلى أكمل الأحوال. وهذا معنى الرواية الثانية: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة، فهو في صلاة". وقوله ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة" إنما ذكر الإقامة للتنبيه بها على ما سواها؛ لأنه إذ نهى عن إتيانها سعيًا في حال الإقامة، مع خوفه فوت بعضها، فقبل الإقامة أولى، وأكد ذلك ببيان العلة فقال ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة"، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة، وأكد ذلك تأكيدًا آخر فقال: "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" فحصل فيه تنبيه وتأكيد؛ لئلا يتوهم متوهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة، فصرح بالنهي، وإن فات من الصلاة ما فات، وبيَّن ما يُفعل فيما فات)(١).

وقال ابن حجر: (وقد لحظ فيه بعضهم معنًى غير هذا فقال: الحكمة في التقييد بالإقامة، أن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد انبهر(٢) فيقرأ وهو في تلك الحالة فلا يحصل له تمام الخشوع في الترتيل وغيره، بخلاف من جاء قبل ذلك، فإن الصلاة قد لا تقام فيه حتى يستريح. انتهى. وقضية هذا أنه لا يكره الإسراع لمن جاء قبل الإقامة، وهو مخالف لصريح قوله "إذا أتيتم الصلاة"(٣) لأنه يتناول ما قبل الإقامة، وإنما قيد في الحديث الثاني بالإقامة، لأن ذلك هو الحامل في الغالب على الإسراع)(٤).

وقال النووي: (قوله ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو صلاة"، دليل على أنه يستحب للذاهب إلى الصلاة ألا يعبث بيده، ولا يتكلم بقبيح، ولا ينظر نظرًا قبيحًا، ويجتنب ما أمكنه مما يجتنبه المصلي، فإذا وصل المسجد، وقعد ينتظر الصلاة كان الاعتناء بما ذكرناه آكد)(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠١/٥/٣ - ١٠٢ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) يقال بُهِر: انقطع نفسه من الإعياء. فهو مبهور وبهير. المعجم الوسيط ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا: "إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة".

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٩/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٥/٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها:

أداء الصلاة في جماعة من شعائر الإسلام الكبرى، لذا رغب في المحافظة عليها، قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة لقوله "فما أدركتم فصلوا" ولم يفصل بين القليل والكثير، وهذا قول الجمهور... واستدل به أيضًا على استحباب الدخول مع الإمام في أي حالة وجد عليها"[1].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على صلاة الجماعة، فكانوا يسرعون إليها حتى تسمع لهم جلبة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: ((بينما نحن نُصَلِّي مع النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ سمعَ جلبةَ[2] رِجالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: مَا شَأْنكم. قالوا: اسْتَعجَلْنَا إلى الصَّلاةِ. قَالَ: فلا تفعلوا، إِذَا أَتَيْتُم الصَّلاةَ فعلَيْكُم بالسَّكِينة، فما أَدْرَكْتُم فصَلُّوا، ومَا فَاتكم فأَتِمُّوا))[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ولأهمية صلاة الجماعة يقول الفقهاء: الصلاة في الجماعة معنى الدين، وشعار الإسلام، ولو تركها أهل مِصْرٍ قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا)[4].

قال صالح الفوزان: (وليكن خروجك أيها المسلم إلى المسجد مبكرًا، لتدرك تكبيرة الإحرام، وتحضر الصلاة مع الجماعة من أولها)[5].

وقال النبي ﷺ ((من صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ يدرك التكبيرةَ الأُولى كُتِبَ لهُ براءَتَان: بَراءَةٌ مِنْ النَّارِ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ))[6].

(وصلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام. واتفق المسلمون على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠/٢.

(٢) أي أصواتًا لحركتهم وكلامهم واستعجالهم. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧.

(٥) الملخص الفقهي ١٢١/١.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠).

أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقُّد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[1])[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها:

وهذا واضح من نص الحديث، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

والله سبحانه وتعالى (قد عظم من خطر الصلاة في القرآن، وعظم أمرها وشرفها وشرف أهلها، وخصها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع من القرآن كثيرة، وأوصى بها خاصة... وإلى الصلاة خاصة ندبه الله عز وجل فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾[4]، فأمره أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها ثم أمر الله تعالى جميع المؤمنين بالاستعانة على طاعته كلها بالصبر، ثم خص الصلاة بالذكر بين الطاعة كلها فقرنها مع الصبر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5] فهذا ما أخبر الله به من آي القرآن من تعظيم الصلاة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ٧٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

(٤) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

وتقديمها بين يدي الأعمال كلها، وإفرادها بالذكر من جميع الطاعات، والوصية بها خاصة دون أعمال البر عامة، فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم... فالصلاة أول فريضة فرضت عليه، وهي آخر ما أوصى به أمته، وآخر ما يذهب من الإسلام، وهي أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة، وهي عمود الإسلام، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين[١].

وقال ابن القيم: (واعتناء ولاة الأمور بإلزام الرعية بإقامة الصلاة: أهم من كل شيء. فإنها عماد الدين، وأساسه وقاعدته. وكان عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى عماله "إن أهم أمركم عندي الصلاة. فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. ومن ضَيَّعها كان لما سواها أشد إضاعة". ويأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة وأداء الأمانة والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال)[٢]. (وإنما كان الحرص على إقامة الصلاة لأنها الغاية في العبودية، والتذلل والقرب من الله تعالى)[٣].

---

(١) رسالة الصلاة وعظم خطرها وما يلزم الناس من تمامها وإحكامها ضمن مجموعة الحديث المعروف "مجموعة الحديث النجدية" ص ١٥-١٨.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٤٠.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/٣٧١.

الحديث رقم (٧٠٥)

٧٠٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبْلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ)) رواه البخاريُّ[1]، وروى مسلم بعضه[2].

(الْبِرُّ): الطَّاعَةُ. وَ(الإِيضَاعُ) بضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ، وَهُوَ: الإِسْرَاعُ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

دفع: أفاض[3].

البر: الطاعة[4].

الإيضاع: الإسراع[5].

الشرح الأدبي

يقوِّم الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ الاضطراب، والعجلة المنافيين للسكينة، والوقار اللازمين لتمام مناسك الحج، وتحقيقه لأغراضه، ولبيان أهمية الطمأنينة، والسكون في مناسك الحج، وتقويم خطأ العجلة، والاضطراب المنافي للسكينة استخدم عدة أساليب بلاغية منها: الإشارة بالسوط، وللإشارة في البيان النبوي مواقع فريدة لا يؤدى فيه غيرها - المعنى المراد - وإشارة الرسول ﷺ كما حكاها

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١).

(٢) برقم (١٢٨٢/٢٦٨) وهو قوله: (في عشية عرفة، وغداة جمع للناس حين دفعوا: عليكم بالسكينة).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٦٥، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٦.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

الصحابى (فأشار بصوته) إلى موقع الخطأ، وموضع المخطئين تحديداً يجعلهم أكثر انتباهاً، ووعياً لما يقول مما يحقق تقويم الخطأ، ومعرفة مصدره، وهي أول خطوات تقويمه، ثم النداء في قوله (أيها الناس)، والنداء من وسائل التنبيه، وجذب الأسماع وغالباً ما يرد في البيان النبوى في عظائم الأمور، واستخدام الرسول ﷺ صيغة النداء (أيها) مع حذف أداة النداء عجلة بالمطلوب، وتوجه إلى المقصود حيث التنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلى التوضيح في (أى) والاسم المعرف بعدها، وكلها وسائل تعطى لهذه الصيغة قوة في التأثير، وتركيزاً لأدوات التنبيه، وإضافة (أى) إلى (الناس) تجعل النداء عاماً، ومن طبيعة النداء العام أن يتصدر الأمور العظيمة مما يوحي بعظمة ما نودى من أجله، ثم أسلوب الإغراء: وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ في تقويم خطأ العجلة، والاضطراب عند الإفاضة مما ينافى جلال الموقف ويُضيِّع ثمرة الحج بضياع السكينة التي تُعدُّ علامة الاتصال بالله، وطبيعة الأثر الذي يتركه على الحاج من طمأنينة، وسكينة، ووقار ؛فجاء أسلوب الإغراء في قوله (عليكم بالسكينة) أى: لازموا السكينة في السير يعني الرفق، وعدم المزاحمة [1]، ولما في السكينة من رعاية حال الغير، فإن في الناس الكبير، والضعيف، والمريض، وأخيراً أسلوب التوكيد المرتبط بما قبله بالفاء بياناً للعلة، وتأكيداً للخبر لتنزيله للمخاطبين منزلة المنكرين لما رأى من عجلتهم، واضطرابهم، وتدافعهم، وذلك في قوله ﷺ (فإن البر ليس بالإيضاع) حيث أكد الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه ﷺ رأى من حالهم ما يشبه الإنكار، والاعتقاد بأن البر يقتضى الإسراع فأكد الكلام تقويماً لخطئهم، وبياناً لأهمية السكينة، ونفياً لاعتقادهم أن يكون الإسراع طريقاً للبر [2].

---

(١) عمدة القارى ٧/ ٣٦٦.

(٢) ينظر بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري، ٣١١.

فقه الحديث

استحباب الدفع من عرفة بالسكينة:

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[١]. وقال النووي: (ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات.

خامسًا: من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

(إن النبي ﷺ دفع من عرفة متجهًا إلى مزدلفة فسمع وراءه جلبة وضربًا وزجرًا للإبل وأصواتًا للإبل، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعًا عظيمًا، يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضربًا شديدًا، فأومأ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة، يعني الطمأنينة والهدوء، فإن البر ليس بالإيضاع)، اي ليس بالإسراع، والإيضاع نوع من السير سريع)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ))

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٩/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥/٩/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٢/٢ - ١٠١٣.

قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ. فَقَالَ: ((يَا عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ قَيْسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟)) فَقُلْتُ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّٰهِ قَالَ: ((قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ))[1]. وإن تفقد الداعية للمدعوين، يمكنه من توجيههم إلى ما فيه الصواب والنفع لهم، وتحذيرهم ممّا يضرهم ويؤذيهم، كما أن تفقده إياهم، يجعله قريبًا منهم، محببًا إلى نفوسهم، مما يجعلهم يتقبلون دعوته، ويزدادون إقبالاً على إقبال.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

وهذا واضح من قول ابن عباس رضي الله عنهما: (فأشار بسوطه إليهم)، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط[2]، ولا شكّ أن الإشارة هنا بالسوط جاءت مناسبة لأنه ﷺ يخاطب جمعًا كثيرًا من الصحابة، فكانت هذه الإشارة لفتًا لهم جميعًا أن ينتبهوا لما يقوله ﷺ لهم بعد هذه الإشارة التي يراها القريب والبعيد، المسرع وغيره، الطويل وغيره.

ثالثًا – من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد:

أما النداء فقوله ﷺ: (أيها الناس) وهذا النداء تنبيه لهم، لما يأمرهم به بعد ذلك وهو قوله ﷺ: (عليكم بالسكينة)، أي: الزموا السكينة، وتحلوا بها. أما التوكيد فقوله ﷺ: (فإن البر ليس بالإيضاع)، فقد بيّن ﷺ وأكد "أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي: مما يتقرب به"[3]، ويصحّ كذلك أن تكون جملة: (فإن البر ليس بالإيضاع) أن تكون أسلوب تعليل لما أمرهم به ﷺ من التزام السكينة والوقار في الدفع من عرفة.

رابعًا – من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات:

(في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[4]، وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٠٥، ومسلم ٢٧٠٤.

(٢) الباب رقم ٩٤ من كتاب: الحج، الحديث رقم ١٦٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٩/٣.

على أن الإنسان لا ينبغي أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة، لأن الذين يدفعون من عرفة يتجهون إلى مزدلفة إلى عبادة. وبهذا يُتم المؤلف [أي النووي] ما ترجم به من الندب إلى إتيان الصلاة، ومجالس العلم وغيرها من العبادة بسكينة ووقار. فإذا أتيت إلى مجالس العلم والخير، فكن ساكنًا وقورًا مهيبًا، حتى لا يستهان بك أمام الناس، ويكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله عز وجل"[(١)].

قال ابن القيم: "أصل السكينة هي الطمأنينة والوقار"[(٢)]، وقال الهروي في منازل السائرين: "وأما سكينة الوقار التي نزلها نعتًا لأربابها، فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها، لوهي السكينة التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين/، وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية وتعظيمًا وحضورا.

وقال ابن القيم في شرح ذلك في كتابه (مدارج السالكين): "سكينة الوقار هي نوع من السكينة، ولكن لما كانت موجبة للوقار، سماها الشيخ (سكينة الوقار)، وقوله: (نزلها نعتًا)، يعني: نزلها الله تعالى في قلوب أهلها ونعتهم بها، وقوله: (فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها)، أي: نتيجتها وثمرتها وعنها نشأت، كما أن الضياء عن الشمس حصل. ولما كان النور والحياة والقوة مما يثمر الوقار، جعل سكينة الوقار كالضياء لتلك السكينة، إذ هو علامة حصولها، ودليل عليها كدلالة الضياء على حامله.

قوله: الدرجة الأولى: (سكينة الخشوع عند القيام للخدمة)، يريد به الوقار والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان، ولما كان الإيمان موجبًا للخشوع وداعيًا إليه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[(٣)]، دعاهم في مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يصلوا إلى الإحسان

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠١٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٩٢.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم

قوله: (رعاية وتعظيمًا وحضورًا)، هذه ثلاثة أمور تحقق الخشوع في الخدمة وهي [الأول]: رعاية حقوقها الظاهرة والبطانة، فليس يضيعها خشوع ولا وقار.

الثاني: تعظيم الخدمة وإجلالها، وذلك تبع لتعظيم المعبود وإجلاله ووقاره، فعلى قدر تعظيمه في قلب العبد وإجلاله ووقاره، يكون تعظيمه لخدمته وإجلاله ورعايته لها.

والثالث: الحضور وهو إحضار القلب فيها مشاهدة المعبود كأنه يراه. فهذه الثلاثة تثمر له (سكينة الوقار)[1].

خامسًا - من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالسكينة وعدم الإسراع، لما ينتج عن الإسراع من المزاحمة والتدافع، ولهذا قال عمر بن عبدالعزيز لما خطب بعرفة: (ليس السابق من سبق بعيره وفرسه ولكن السابق من غفر له)[2]، ومن مواضع الزحام استلام الحجر الأسود في الطواف، جاء في الموسوعة الفقهية: "قال الفقهاء: إذا تعذر استلام الحجر لزحام الناس نُظر، إن صبر يسيرًا وخفّ الزحام وأمكنه الاستلام صبر، وإن علم أن الزحام لا يخف ترك الاستلام ولم يزاحم النّاس، بل أشار إليه بيده رافعًا يده ثم يقبلها"[3].

وقد قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((يا عمرُ إنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ لا تُزاحِمْ على الحَجَرِ فتُؤْذِيَ الضَّعيفَ، إنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فاستَلِمْهُ، وإلاَّ فاستَقْبِلْهُ، وهَلِّلْ وكَبِّرْ))[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذَا وَجَدْتَ عَلَى الرُّكْنِ زِحَامًا ، فَانْصَرِفْ وَلاَ تَقِفْ)[5].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٠٢/٣ - ٤٠٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٩/٣٧.

(٤) أخرجه أحمد ٢٨/١، رقم ١٩٠، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٢١/١.

(٥) أخرجه الشافعي في الأم ص ٣٦٣، رقم ٩٥٧، ومن طريقه البيهقي في السنن ٨٠/٥-٨١.

واستصحاب عدم المزاحمة في أعمال الحج يزداد طلبًا وحتًّا هذه الأيام، وذلك مع الازدياد الكبير في عدد الحجاج، فتؤدي المزاحمة إلى كثير من الأضرار، فضلاً عن إزهاق عدد غير قليل من الأرواح كما هو واقع ومشاهد.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن مما يجلب الأذى ويسبب الضرر في بعض الأحيان: السرعة الزائدة، أو التدافع اللا محسوب سواء تعلق ذلك بالعادات أم بالعبادات، فكم من أناس انكسرت أرجلهم وهشمت رؤوسهم ولحق بهم الضرر بسبب التأخر في الذهاب إلى موعد لم يخرجوا إليه مبكرين، وحاولوا استدرك ما فاتهم بالسرعة، وكم من أناس قد أزهقت أرواحهم بسبب السرعة الجنونية، لأنهم تأخروا عن وقت الخروج، أو خرجوا متأخرين عامدين بدعوى استدراك التأخير في السرعة، فلا هم وصلوا راغبين ولا قعدوا سالمين، بل انتهى الأمر ببعضهم إلى رحيل من دنيا الأحياء، ولذا أوجب الإسلام آداباً بشأن السير ولو إلى الصلاة وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على السكينة في العبادات:

إن من الأهداف الخلقية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على السكينة عند الذهاب لأداء العبادات كالصلاة والحج ونحوهما، ومما جاء في حديثي الباب قوله ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم بالسكينة..." وقوله ﷺ "... أيها الناس عليكم بالسكينة...".

فالحديث الأول يشير إلى استحباب السكينة عند أداء الصلاة وأن ما أدركه المسلم يصليه وما فاته يتمه، والحديث الثاني يشير إلى السكينة في الحج وقال ﷺ ذلك عندما كان يدفع من عرفة وسمع زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، وما من شك أن مثل هذه المواطن التي يكثر فيها الزحام تشتد الحاجة فيها إلى السكينة والهدوء والوقار حتى لا يحدث ضرر للآخرين، قال النووي: (وهذا إرشاد إلى الأدب والسنة في السير تلك الليلة ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[1].

وأما الصلاة فالحكمة في (إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠٦.

عامداً في تحصيلها ومتوصلاً إليها فينبغي أن يكون متأدبًا بآدابها وعلى أكمل الأحوال)[١].

والمسلم عند أدائه للعبادات يحرص على الهدوء والسكينة والوقار ليؤدي شعائر الله تعالى على أكمل وجه، وأتم حال (والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام والدعاء والمناجاة، وغريزة الحب والحنان وغريزة الخضوع والتواضع والعبودية والتذلل، والصلاة هي معقل المسلم ومفزعه، وكل من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا لا روح فيه ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا عادلاً فللجسم قيام وركوع وسجود وانتصاب وانحناء وللسان تلاوة وتسبيح وللعقل تفكر وتدبر وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ)[٢].

وما من شك أن المسلم الذي تربى على السكينة والوقار والطمأنينة والهدوء في أداء العبادات ينال الأجر كاملاً عليها، ويكون قد تأدب بآداب العبادات.

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن من أساليب التربية التي تؤثر في نفس المتربي، وتعمل على تغيير سلوكه التربية بالمواقف والأحداث ومن حديثي الباب الذي معنا يبرز هذا الأسلوب من أساليب التربية حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع (ففي الحديث بين النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن السكينة مطلب هام في هذا الموطن، و المربي الناجح يستغل المواقف والأحداث في تصحيح السلوكيات الخاطئة والعادات المخالفة، ويجتهد في غرس القيم

---

(١) المرجع السابق نفسه ٤٤١.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩-٣١.

الخلقية النبيلة حيث إن تصويب الخطأ في الموقف والحدث مباشرة من شأنه أن يعلق بذهن المتربي.

(والتربية بالأحداث منهج أصيل في التربية الإسلامية حيث يُستغل الحدث في ترسيخ القيم المطلوبة، حيث يكون هناك توافق بينها وبين الحدث الواقع، فيحدث من جراء ذلك فهم عميق وتأثر كبير، وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم جاءت عقب أحداث ما، تعد نموذجًا للتربية بالأحداث، والأمثلة من سنته ﷺ كثيرة فعلى المربي أن يستغل الأحداث التي تجري أمامه -وما أكثرها- ليتخذها منطلقًا للتربية المطلوبة)[1].

إن واجب المربين أن يهتموا بالتربية بالحدث والمشاهد وهي تعني (استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ أو مشهد في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة أو الحديث الطارئ أو المشهد المثير مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات وأعمال يقوم بها الإنسان وواجب المربي الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المُعْوَجّ منها وتصويبه ولاشك في أن الأحداث من أبلغ وسائل التربية وأعظمها أثرًا)[2].

ثالثًا- من الأساليب التربوية:

وردت في حديثي الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا".

ويمكن للمعلم أن يستخدم أسلوب الإلقاء ولكن مع المراحل التعليمية العليا. وهي في أحسن صورها عرض شفهي للمعلومات، ويمكن للمعلم استخدامها في حجرة الدراسة، كما يمكن للمعلم الاكتفاء بالكلمة المنطوقة، أما الطلاب فهم يستمعون ويسجلون ما يستمعون من معلومات. ويلجأ المعلم إلى هذا الأسلوب لميزته لكونه

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٨٣، ٣٨٤.

يمكن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، ولكن هذا الطريقة قد تؤدي إلى ملل الطلاب وسلبيتهم ويمكن للمعلم المزج بين أسلوب الإلقاء وبين غيره من الأساليب الأخرى، لدفع الملل عن المتعلمين وبث الحيوية في نفوسهم.

ب-الإشارة: كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم" والإشارة يراها العدد الكثير وتكون في بعض الأحيان أبلغ من الكلام والنطق؛ فضلاً عن أنها قد توضح المنطوق وتزيده وضوحًا وبيانًا.

رابعًا- التربية على تقديم اهم المصلحتين:

ويتضح ذلك جليًا في حديث "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وآتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ..." قال القرافي: (الخشوع في الصلاة مندوب إليه لا يأثم تاركه فهو غير واجب مع أنه قد ورد في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتموا" ... قال بعض العلماء: إنما أمر بعدم الإفراط في السعي، لأنه إذا قَدِم على الصلاة عقيب شدة السعي يكون عنده انبهارٌ وقلق يمنع من الخشوع اللائق بالصلاة، فأمره عليه السلام بالسكينة والوقار، واجتناب ما يؤدي إلى فوات الخشوع، وإن فاتته الجُمُعات والجماعات، وذلك يدل على أن مصلحة الخشوع أعظم من مصلحة وصف الجمعة والجماعات، مع أن الجمعة واجبة، فقد فَضَل المندوبُ الواجب في هذه الصورة، وظهر [من ذلك] أن بعض المندوبات قد تفضل الواجبات في المصلحة، فنقول: إنا حيث قلنا: إن الواجب يقدم على المندوب، والمندوب لا يقدم على الواجب، حيث كانت مصلحة الواجب أعظم من مصلحة المندوب، أما إذا كانت مصلحة المندوب أعظم ثوابًا، فإننا تقدم المندوب على الواجب كما تقدم في الخشوع وغيره)[1].



(١) الفروق ٢/٢٤٥-٢٤٧، الفرق: ٨٥.

٩٤- باب إكرام الضيف

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[هود: ٧٨].

الحديث رقم (٧٠٦)

٧٠٦- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))** متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بنى النبي صلى الله عليه وسلم حديثه على أسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) واللفظ له، ومسلم (٤٧/٧٤)، وتقدم برقم (٣١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٥١).

وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها؛ لأنه جعل فعل الشرط هو الإيمان (يؤمن) وعلّقه علي هذه الأعمال كما أن صياغة الفعل في صورة المضارع يشير إلى التجدد، والاستمرار المرتبط بتجدد الإكرام للضيف، والصلة للرحم، وقول الخير، أو الصمت.

ثم إن الفاء التي ربطت جواب الشرط في الأفعال الثلاثة، ولام الأمر التي اتصلت بالأفعال الأربعة (فليكرم - فليصل - فليقل - ليصمت) تقتضي المسارعة، وترغّب فيها؛ لأن من شأن هذه الخصال أن تحقق المحبة، والتكافل، وتنزع الأحقاد، وتمنع الفتن، وهو من الأهداف السامية التي قررها الإسلام.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٤).

الحديث رقم (٧٠٧)

٧٠٧- وعن أَبي شُرَيْح خُوَيْلِد بن عَمرو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ)) قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ يَا رسول الله، قَالَ: ((يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لِمسلمٍ[2]: ((لاَ يَحِلُّ[3] لِمُسْلِمٍ أنْ يُقِيمَ عِنْدَ أخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ)) قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: ((يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلاَ شَيْءَ لَهُ يَقْرِيه بِهِ)).

ترجمة الراوي:

أبو شُرَيْح الخُزاعيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٠).

غريب الألفاظ:

جائزته: عطيتُه ومنحته[4].

يَقْرِيه به: يُضيِّفُه ويُكرمُه[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث البداية بأسلوب الشرط، والموضوع، وهو الوصية بالضيف والحث على البذل والعطاء.ثم إنه زاد على سابقه نوعاً من التشويق بالخبر الطريف الذي يحرك علامات الاستفهام في نفوس المخاطبين، وهو نوع من التواصل مع المخاطبين في الحديث النبوي، وهذا الخبر الطريف هو الإخبار بأن للضيف جائزة في قوله: (فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ) وقد ترتب عليها استفهامة أرصد لها بدايةً، وهي قولهم

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨/١٤، كتاب اللقطة، باب ٣) واللفظ له.

(٢) برقم (٤٨/١٥، كتاب اللقطة، باب ٣).

(٣) عند مسلم زيادة: (لرجل).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ي).

(وما جائزته؟) وقد جاءت إجابته مبنية على الايجاز بالحذف (يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ) أي: حقه الاهْتِمَام بِهِ فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة وَإِتْحَافه بِمَا يُمْكِن مِنْ بِرّ وَإِلْطَاف، وَأَمَّا فِي الْيَوْم الثَّانِي وَالثَّالِث فَيُطْعِمهُ مَا تَيَسَّرَ، وَلا يَزِيد عَلَى عَادَته، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْد الثَّلاثَة فَهُوَ صَدَقَة وَمَعْرُوف إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وإن شاء ترك، وبين اليوم، والليلة طباق يقرر العناية بالضيف على مدارهما، وإضافة الضمير المتصل بهما إليه يؤكد هذا الحق.

فقه الحديث

مقام الضيف عند المضيف: من نزل ضيفًا فلا يزيد مقامه على ثلاثة أيام، لقوله ﷺ: "الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه" لئلا يتبرم به ويضطر لإخراجه، إلا إن ألحّ عليه رب المنزل بالمقام عنده عن خلوص قلب، فله المقام[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب.

ثالثًا: من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف:

حثّ النبي ﷺ على إكرام الضيف، بأن جعل ذلك من الإيمان، وهذا واضح من الحديث، كما جعله ﷺ حقًا، فقال: ((إنَّ لـزَورِكَ عليكَ حَقًّا))[2]، (وزورك، أي: زائرك)[3]. وجاء في الموسوعة الفقهية: "تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق وسنة الخليل

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٨/٢٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٤/١٢/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٣/١٠-٥٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٤، ومسلم ١١٥٩.

(٣) في غريب الحديث ٤٠٤.

عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده، وقد رغب فيها الإسلام وعدها من أمارات صدق الإيمان، وهي حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام، وهو رواية عن أحمد، والرواية الأخرى عن أحمد - وهي المذهب - أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام، وبهذا قال الليث بن سعد، ويرى المالكية وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك"[١].

وقال القاضي عياض: "والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين"[٢].

وقال أبو العباس القرطبي: "والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن محاسن الدين، ومن خلق النبيين"[٣]، (وقد أفاد هذا الحديث أنها من أخلاق المؤمنين مما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنها، لما يحصل عليها من الثواب في الآخرة، ولما يترتب عليها في الدنيا من إظهار العمل بمكارم الأخلاق، وحسن الأحدوثة الطيبة، وطيب الثناء، وحصول الراحة للضيف المتعوب بمشقات السفر المحتاج إلى ما يخفف عليه ما هو فيه من المشقة والحاجة. ولم تزل الضيافة معمولاً بها في العرب من لدن إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من ضيّف الضيف، وعادة مستمرة فيهم، حتى أن من تركها يذم عرفًا، ويبخل ويقبح عليه عادة، فنحن وإن لم نقل إنها واجبة شرعًا، فهي متعينة لما يحصل منها من المصالح، ويندفع بها من المضار عادة وعرفًا"[٤].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب:

أما الترغيب والحث فقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته)، فهذا حث وترغيب لإكرام الضيف بأن جعل ذلك من فعل المؤمنين

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٦/٢٨ - ٢١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٨٥/١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٣٠/١.

(٤) المرجع السابق ١٩٧/٥ - ١٩٨.

وخصالهم، قال ابن حجر: "قال الطوفي: ظاهر الحديث انتفاء الإيمان عمن لم يفعل ذلك، وليس مرادًا بل أريد به المبالغة كما يقول القائل: إن كنت ابني فأطعني، تهييجًا له على الطاعة، لا أنه بانتفاء طاعته ينتفي أنه ابنه"(١).

أما النفي فقوله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، أي: لا يجوز له، وهو نفي بمعنى النهي، أي: لا يفعل المسلم ذلك. أما السؤال والجواب فسؤال الصحابة رضي الله عنهم: وما جائزته يا رسول الله؟ وسؤالهم كذلك: (يا رسول الله وكيف يؤثمه؟) فأجاب النبي ﷺ على هذين السؤالين بما أفاد المدعوين في أدب الضيافة سواء أكانوا مضيفين أم ضيوفًا.

ثالثًا- من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج:

المسلم أخو المسلم فمن حقه عليه ألا يدفعه في الوقوع في الحرج والإثم، فإذا استضافه فلا يجوز للضيف أن يطيل في الإقامة عنده حتى يدفعه إلى ما يكرهه، ولذا قال النبي ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، قال القرطبي: "وقوله بعد ذلك: (والضيافة ثلاثة أيام) يعني بها الكاملة التي إذا فعلها المضيف فقد وصل إلى غاية الكمال، وإذا أقام الضيف إليها لم يلحقه ذمٌّ بالمقام فيها؛ فإنّ العادة الجميلة جارية بذلك. وأما ما بعد ذلك فخارجٌ عن هذا كله، وداخلٌ في باب: إدخال المشقات والكلف على المضيف، فإنه يتأذى بذلك من أوجه متعددة. وهو المعني بقوله ﷺ: (ولا يحل له أن يقيم حتى يؤثمه)، أي: حتى يشق عليه، ويُثقل، لا سيما مع رقة الحال وكثرة الكلف. وقيل: معنى: يؤثمه: يحرجه فيقع في الإثم. وقد جاء ذلك مفسَّرًا في بعض الروايات: (حتى يُحرجه). فإن تحمّل المضيف شيئًا من ذلك؛ هو صدقةٌ منه على الضيف، فحقُّه أن يأنف منها، ولا يقبلها، لا سيما إن لم يكن أهلاً لها، فإنها تحرمُ عليه"(٢).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٩/١٠، بتصرف يسير.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٩٨/٥ - ١٩٩.

وقال النووي: "معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم لأنه قد يغتابه لطول مقامه، أو يعرض له بما يؤذيه، أو يظن به ما لا يجوز، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ﴾[1]، وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المضيف، أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته، أو علم أو ظن أنه لا يكره إقامته فلا بأس بالزيادة، لأن النهي إنما كان لكونه يؤثمه وقد زال هذا المعنى والحالة هذه، فلو شك في حال المضيف هل يكره الزيادة ويلحقه بها حرج أم لا؟، [لا][2] تحل إلا بإذنه؛ لظاهر الحديث"[3].

وجاء فيها كذلك: "من آداب الضيف أن يجلس حيث يُجلس، وأن يرضى بما يقدم إليه، وألا يقوم إلا بإذن المضيف"[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك:

لقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان وبعض الأفعال، فقد ربط بين الإيمان وإكرام الضيف كما في هذا الحديث، وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[5]، قال النووي: "قال القاضي عياض: معنى الحديث: إن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما"[6]، وقال القرطبي: "يعني: من كان آمن بالله الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله، الموصل إلى رضوان الله، لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، ومن آمن باليوم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) غير موجودة فيما اطلعنا عليه من طبعات لشرح مسلم للنووي، لكن لا بد من إضافتها ليستقيم المعنى. والله أعلم.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٢.

(٤) المرجع السابق ٣١٨/٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٣، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

الآخر استعد له واجتهد في فعل ما يدفع به أهواله ومكارهه، فيأتمر بما أُمر به وينتهي عما نهي عنه، ويتقرب إلى الله تعالى بفعل ما يقرب إليه، ويعلم أن من أهم ما عليه، ضبط جوارحه التي هي رعاياه، وهو مسؤول عنها جارحة جارحة"[١].

وقال القرضاوي: "إن الإيمان ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي غير متبوع بأثر عملي في الحياة، كلا إنه اعتقاد وعمل وإخلاص، ومهما اختلف علماء الكلام والجدل في العقائد حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به: أهو جزء من مفهومه أم شرط له أم ثمرة من ثمراته، فإنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل، وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونًا بالعمل في أكثر من سبعين آية من آياته، ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل الصالحات، وهي كلمة جامعة من جوامع القرآن تشكل كل ما تصلح به الدنيا والدين، وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معًا، والمؤمن بالدين عامة، وبعقيدة الإسلام خاصة، لا يساق إلى العمل الدنيوي سوق القطعان، ولا يدفعه إليه قهر حكومي أو ضغط خارجي، أو رقابة من سلطة تنفيذية تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان، أو عذاب الهون كما يعرف في الأنظمة الاشتراكية، وإنما يندفع المؤمن إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته وبإيحاء ينبعث من داخله، لا سوطًا يسوقه من الخارج. ذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله، وبرسالة السماء، وبمهمته في عمارة الأرض، والسيادة على الكون"[٢].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٢٩.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم القيم الإسلامية والعلاقات الاجتماعية على أساس من التوازن بين الأطراف ويحرص الإسلام على توظيفها في تقوية العلاقة بين الناس عامة والمسلمين بخاصة، دون أن يجعلها سبيلاً للقطيعة. ومن الآداب الإسلامية تنظيم العلاقة بين الضيف والمضيف، فقد أوجب الإسلام للضيف حقاً هو الإكرام بحسب اليسار والإعسار، وأوجب على الضيف أن لا يحمل المضيف فوق الطاقة حين لا يدفعه إلى الإعسار. ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من التربية الاجتماعية: إكرام الضيف وصلة الرحم:

إن من أهم الجوانب التي تهتم بها التربية الإسلامية التربية الاجتماعية بتعميق الجانب الاجتماعي في نفوس المتربين، والدعوة إلى كل ما يعمل على التماسك الاجتماعي، وفي حديثي الباب جاء ما يرشد إلى بعض الأمور التي تساعد على تحقيق الجانب الاجتماعي ومنها إكرام الضيف وصلة الرحم، ففي حديث أبي هريرة ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه..." وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته...".

(إن الحياة الاجتماعية إطار يدخل فيه جملة من الدوائر التي تمثل كل واحدة منها عددًا من العلاقات الحميمية، وتتسع الدائرة لتشمل الأقارب والجيران والحي والشعب والأمة ومن ثَمَّ تتجه التربية الإسلامية إلى زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن والوحدة في نفوس الناشئين من أجل تحقيق اتجاه العمل الجماعي والشعور بالمسؤولية عن الجماعة، وذلك عن طريق إبراز أهمية العمل المنظم والهادف إلى رَصِّ الصف وتنسيق الجهود الفردية لخدمة الأهداف العليا في المجتمع الإسلامي وعنوان ذلك كله ربط الناشئ بالمسجد وصلوات الجماعة، وتقوية الروابط الأسرية وتنمية التحابب والمودة في النفوس وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة

وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حسن التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن)[١].

إن التأكيد على إكرام الضيف وصلة الرحم يهدف إلى بناء الوحدات الاجتماعية الصغيرة على أساس من التكافل والتعاطف والحب مما يجعل الأسرة والعشيرة والمجتمع مترابط مرصوص، (إن الأسر والعشائر المتكافلة تكوّن مجتمعًا متراحمًا متكافلاً حيث يسعى سائر أفراده إلى سد الثغرات والخلل، بإغاثة اللهفان وإطعام الجوعان وإكساء العريان لذلك اهتم الإسلام بإبراز حقوق وواجبات أفراد الأسرة تجاه بعضهم كما اهتم بتوضيح واجبات وحقوق الجيران بعضهم على بعض، وأبناء القرية الواحدة فيما بينهم فإن توثيق عرى التعاون والأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي داخل الوحدات الاجتماعية الصغيرة يدعم التكافل العام على صعيد المجتمع الإسلامي)[٢].

وما من شك في أن إكرام الضيف وصلة الرحم مما يوطد العلاقات الاجتماعية ويقوي أواصر الأخوة فإن من إكرام الضيف تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قِرَاه وإكرام الضيف وصلة الرحم وقول الخير والصَمْت عن الشر من الإيمان.

ثانيًا- من التربية العقدية: الإيمان باليوم الآخر:

إن من الأمور المهمة في التربية العقدية الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وفي حديثي الباب اللذين أوردهما الإمام النووي ربط النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين فعل المكرمات الأخلاقية من إكرام الضيف وصلة الرحم والصمت عن الشر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته..." ولا شك (أن الإيمان بالحياة الآخرة والمسؤولية العظمى أمام الله تبارك وتعالى وجزاء الأعمال يكوّن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. امين أبولاوي ص ٦١، ٦٢.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٤٢.

في أعماق النفس دافعًا قويًا إلى عمل الخير ومكافحة الشر ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامنًا تنفيذ قواعد الأخلاق والسلوك والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي ومن قواعد الزجر والعقاب ومن آثار هذا الإيمان أيضًا أنه يسبب الإخلاص في العمل فلا يكون عمل المؤمن ترقبًا لمكافأة أو شكر ينتظرهما من الناس ومن المجتمع، وسواء عليه أشكر الناس أم لم يشكروا أقابلوه بالإحسان أم العقوق فإنه يعمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وانتظارًا لحسن العاقبة في الحياة الأبدية)[1].

إن الإيمان باليوم الآخر يبنى على عقيدة التوحيد فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى وقدرته ووحدانيته وأنه هو خالق هذا الكون وهو خالق الحياة الآخرة (إن تذكر الإنسان لليوم الآخر بشكل دائم له العديد من الآثار التربوية ومنها تحقيق الأخلاق الفاضلة فالإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من خشية المؤمن من الجزاء يوم الحساب يحقق في الإنسان الأخلاقيات الفاضلة في السلوكيات الحياتية بحيث تأتي هذه الأخلاقيات مراعية لشرع الله تعالى وباستمرار وتكون ثابتة لا يزعزعها شيء من مغريات الحياة الدنيوية والإيمان باليوم الآخر يحقق الانضباط للدوافع والغرائز وهذا الانضباط يرتبط بالخوف من الله والجزاء يوم الحساب ولهذا فإنه يجعل الإنسان المؤمن منضبطًا في غرائزه ودوافعه فهو يستغل هذه الدوافع كطاقات موجهة وجهة معتدلة ليس فيها ما يتعارض مع تعاليم الإسلام وأن تكون له إرادة قوية)[2].

ثالثًا-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الرئيسة التربية بالحوار والمناقشة حيث يتدرب المتربي على السؤال والاستفسار عما يجهل، ومما جاء في حديث الباب يبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام...".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة حول إكرام الضيف وبيان جائزة الضيف

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك ص ١٥٦.

(٢) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٧٣، ٧٤.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف؛ لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

وواجب المربين استخدام هذا الأسلوب في غرس القيم الخلقية مع المتربين (ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة حيث إن له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة وكذلك السنة النبوية، وعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة ليشحذ أذهانهم، ويقوي الحجة لديهم ويعودهم على الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يفيدهم بذلك)[2].

ويمكن للمعلم استخدام طريقة المناقشة في حجرة الدراسة، فيعتمد على معارف الطلاب وخبراتهم السابقة، كما أنه يمكن أن يدفع المتعلمين إلى توجيه الأسئلة له عن المعلومات المختلفة في الدرس، وتتميز تلك الطريقة بأنها تعمل على إثارة المعارف السابقة وتثبيت المعارف الجديدة، والتأكد من فهم هذا وذاك، كما أن فيها استثارة للنشاط العقلي عند الطلاب وتنمية انتباههم.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٠-١٨٢.

٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، وقال تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥] الآية، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جدًّا وهي مشهورة في الصحيح، مِنْهَا:

الحديث رقم (٧٠٨)

٧٠٨- عن أَبي إبراهيم، ويقال: أَبُو محمد، ويقال: أَبُو معاوية عبد اللهِ بن أَبي أوفى رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ بَشَّرَ خديجَةَ رضي الله عنها ببَيْتٍ في الجنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فيهِ، وَلاَ نَصَبَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"القَصَبُ" هنا: اللؤلؤ المجوف. "والصَّخَبُ": الصياح واللغط. "والنَّصَبُ": التعب.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٧٢/٢٤٣٣).

الشرح الأدبي

هـذا الحـديث في فـضل أم المؤمنين خديجـة رضي الله عنها وأرضـاها قـدوة الـصالحات في البـذل، والعطـاء، والوفـاء، والوقـوف خلـف الـزوج بكـل إخـلاص لآداء أعظـم مهمـة في تاريخ البشر حتى لقيت ربَّها راضية مرضية.

لـذلك كرَّمهـا الله أيمـا تكـريم، وكرَّمهـا رسـوله ﷺ وهـو شـاهد علـى عظمـة الإسلام في تقدير المرأة الصالحة التقية وتكريمها على مستوى ليس فوقه مطمح لمكرَّم لأن تكريمها جاء من الله على لسان رسوله.

وقـد جـاء الحـديث بأسـلوب خبري بـدأ بلفـظ مـشوق يحقـق اليقظـة والانتبـاه (بَشَّرَ) صَعَّد هـذا التشويق، وأزكـى جـذوة اليقظـة الجـار والمجـرور: (ببيـت في الجنـة) وتنكـير كلمة (بيت) للتعظيم والتعبير ببيت يوحي بالسكينة، والراحة.

ثم انظر إلى جمال المعنى في جمال المبنى في وصف هـذا البيـت (ببيـت في الجنـة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) حيث جاءت العبـارة مـسجوعة تأخـذ الـسمع كمـا يأخـذ معناهـا القلـب مـع جنـاس نـاقص يحقـق سيطرة الأسـلوب، وترصيـع يُعِين علـى الحفـظ، ويساعد علـى الانتشار، وكأنه ﷺ يريد أن تكون هذه الجائزة بين سمع كل النسـاء المسلمات، وبصرهن تحثُّهن علـى اتبـاع سيرة أمِّهنَّ خديجـة سـيدة التقيـات المجاهـدات العابدات قدوة لهنَّ عبر الزمـان، والمكـان حتـى لا يفقـدن القـدوة الـصالحة فيـصرن وراء نماذج هدَّامة من تافهات العصور المتأخرة.

فقه الحديث

استحباب البشارة: إخبار الناس بما يسرهم أمر مستحب لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] وما ورد كذلك من أحاديث، منها

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

أحاديث الباب وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه المخرج في الصحيحين في قصة توبته قال: (سمعتُ صوتَ صارخٍ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فذهب الناس يبشروننا، وانطلقت أتأمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فلما سلَّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال وهو يبرقُ وجهه من السرور: ((أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ))[1].

وفي قصة كعب: (أنه لما جاءه البشير بالتوبة، نزع له ثوبيه وكساهما إياه نظير بشارته) قال القاضي عياض: (دليل على جواز البشارة والتهنئة بين الناس فيما يسر من أمر الدنيا والآخرة، وجواز إعطاء البشير جعلاً على بشارته ومكافأته)[2].

وقد بوّب النووي في كتاب الأذكار: باب، استحباب التبشير والتهنئة، ساق تحته آيات من القرآن الكريم في البشارة، ثم قال: (وأما الأحاديث الواردة في البشارة فكثيرة جدًّا في الصحيح [3] مشهورة فمنها...) فذكر منها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها.

أولاً – من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي أن النبي صلى الله عليه وسلم بشّر خديجة ببيت في الجنة، ولا شك أن هذا الإخبار تنويه بمكانة خديجة رضي الله عنها، وبيان لفضلها، وعظيم بلائها مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن الإخبار هنا دعوة للمدعوين إلى الاقتداء بها والتأسي بأفعالها.

ثانيًا – من صفات الداعية: التبشير:

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبشر أصحابه الطائعين بالجنة والفلاح،وعلى الداعية أن

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٢) إكمال المعلم ٢٨١/٨، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٤/٨.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٣٦٥ – ٣٦٦، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٣٨/٥ – ٣٣٩.

يقتدي به ﷺ في ذلك، فيذكر الآيات والأحاديث التي فيها تبشير عندما يقتضي المقام ذلك، وفي الحديث هنا قد بشّر ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة، قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1]، قال في التَّوْراة: يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأميِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتك المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئةَ بالسَّيئة، ولكن يعفُو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به المِلةَ العَوْجاءَ بأَنْ يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتَحَ بها أَعْيُنًا عمْيًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلْفًا"[2].

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه رضي الله عنهم بأن يبشروا ولا ينفروا، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[3]. قال العز بن عبدالسلام: "بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة، فإنهم يعملون ليصلوا إلى ما بشروا به من الأجر العظيم والنعيم المقيم"[4].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها:

إن خديجة رضي الله عنها لها منزلة كبيرة ودرجة عالية في الإسلام، وقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أَتَىٰ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هٰذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ. مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ. فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ. وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٤) شجرة المعارف والأحوال ٢٣٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٨٢٠، ومسلم ٢٤٣٢.

قال القرطبي: "وإبلاغ الملك لها: أن الله يقرأ عليها السلام فضيلة عظيمة وخصوصية شريفة، لم يسمع بمثلها لمن ليس بنبي إلا لعائشة رضي الله عنها"[١].

قال ابن القيم عنها: "تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوجْ عليها حتى ماتت، وأولاده كلُّهم منها إلاَّ إبراهيمَ، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلامَ مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين"[٢].

قال ابن حجر: "روى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ)[٣]، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت ((أن مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً))[٤]، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل"[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٢١٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٠٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٣٦.

(٤) الحديث في صحيح مسلم ١٠١٧ من حديث جرير رضي الله عنه وفيه: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٧٠ - ١٧١، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٢١٨ - ٢١٩.

وقال الذهبي: "خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها... القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه، قبل كل أحد، وثبّتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديّنة، مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: (ما غِرتُ على امرأةٍ ما غِرتُ على خَديجة من كثرةِ ذكرِ رسولِ الله ﷺ إياها)[(١)]، ومن كرامتها عليه أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها"[(٢)].

(١) أخرجه البخاري ٣٨١٧، ومسلم ٢٤٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٠٩ - ١١٠.

الحديث رقم (٧٠٩)

٧٠٩- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رسول الله ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: [1] وجَّهَ هاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أريسٍ، فَجَلَسْتُ عِندَ البَابِ[2] حتَّى قضى رسول الله ﷺ حاجتهُ وتوضأ، فقمتُ إليهِ، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أريسٍ وتوسَّطَ قُفَّهَا، وكشفَ عنْ ساقيهِ ودلاَّهُما فِي البئرِ، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ، فجلستُ عِندَ البابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَدَفَعَ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فقُلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فقلتُ: يَا رسول الله، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: **((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))** فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرسول الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بالجنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبيِّ ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رسول الله ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فقلتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلانٍ - يُرِيدُ أخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَإِذَا إنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بن الخَطَّابِ، فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رسول الله ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: **((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ))** فَجِئْتُ عُمَرَ، فقلتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رسول الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رسول الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا - يَعْنِي أخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ. فَقُلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بن عَفَّانَ. فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وجِئْتُ النَّبيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ، فقال: **((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ))** فَجِئْتُ، فقلتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فجلس وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخرِ.

---

(١) عندهما زيادة: (خرج).

(٢) عندهما زيادة: (وبابها من جريد).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وزاد في رواية[٢]: وأمرني رسولُ اللهِ ﷺ بحفظِ الباب. وَفيها: أنَّ عُثْمانَ حِيْنَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللهُ المُسْتَعانُ.

قوله: "وَجَّهَ" بفتح الواو وتشديد الجيم، أي: توجه.

وقوله: "بئر أريسٍ": هو بفتح الهمزة وكسر الراء، وبعدها ياء مثناة تحت ساكنة، ثم سين مهملة، وهو مصروف ومنهم من منع صرفه. "والقُفُّ" بضم القاف وتشديد الفاء: هو المبنى حول البئر. قوله: "عَلَى رِسلك" بكسر الراء على المشهور، وقيل بفتحها، أي: ارفُق.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

وجَّه: توجه[٣].

بئر أريس: بئر كان غربي مسجد قباء، والأريس في لغة أهل الشام: الفلاح وهو الأذكار[٤].

قُفّها: القف: المبنيُّ حول البئر[٥][٦].

علي رِسْلِك: الرِّسل: الهينة والتأني، وعلى رسلك معناها: اتئد وتمهل[٧].

الشّقّ الآخر: الجانب الآخر[٨].

أولتها: فسرتها[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٨/٢٤٠٣) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٣)، ومسلم (٢٨/٢٤٠٣).

(٣) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٤) معجم البلاد في (أ ر س).

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤.

(٦) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٧) ل في (ر س ل).

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٨٩.

(٩) المرجع السابق في (أ و ل)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/٧.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ لأنه أخبر فيه بأمور مستقبلية وقعت كما أخبر وهو ما حدَّث به عن عثمان رضي الله عنه، وأرضاه كما أنه صورة عملية لنموذج من محبة الصحابة لرسول الله ﷺ تمثّلت في موقف أبي موسى الأشعري مع ما فيه من توقير، وأدب الصحابة في معاملة الرسول ﷺ وحبه لهم، ورغبته في إدخال السرور عليهم، والذي جسَّده في عبارته مع كل واحد منهم (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ) لم ينتظر حتى يدخل عليه فيبشره بنفسه بل بادر بها تعجيلاً بالمسرة فأصدر أمره بالإذن بالدخول، وعطف عليه الأمر بالبشارة حتى يدخل عليه مسروراً سعيداً وهو بذلك يعطينا مثلاً حياً لتعبد الله بإدخال السرور على قلوب الناس كل بما يستطيع.

فقه الحديث

١- جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه[١].

٢- استحباب قول "والله المستعان" عند مثل هذا الحال[٢] [أي حال مَنْ يُخْبَر ببلوى تصيبه ونحو ذلك].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات النبي: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

خامسًا: من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥/٨/١٣٩.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

سابعًا: من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت:

الوضوء سلاح المؤمن، وله فضل في إطالة غرة المؤمنين يوم القيامة؛ لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الوضوء وعلى إسباغه، وقد أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: (إنه توضأ في بيته ثم خرج)، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً))[1].

قال ابن عثيمين عن حديث أبي موسى: "وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا، لأجل أن يكون مستعدًا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكان لا يوجد فيه ماء كان على طهارة، وصلى، وإذا حضرت جنازة صلّى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر، لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر، وربما أيضًا يحصل له الموت في هذا الوقت، فيكون على طهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر، لا سيما إذا خرج عن بيته"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على مصاحبة النبي ﷺ وملازمته، ويوضح هذا قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٦٢.

قال ابن كثير: "وهذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين"[1].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (وإنَّ أبا هُرَيرةَ كانَ يَلْزَمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشِبَعِ بَطنِه)[2].

قال ابن حجر: "كان أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ الصحابة رضي الله عنهم للحديث. قال الشافعي رضي الله عنه: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد كان ابن عمر يترحم عليه في جنازته، ويقول: كان يحفظ على المسلمين حديث النبي ﷺ رواه ابن سعد"[3].

وملازمة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ هي التي حفظت لنا سنة النبي ﷺ وأفعاله وأقواله وأحواله، فكان في ذلك حفظ لدين الله تعالى نقيًا خالصًا واضحًا بعيدًا عن التحريف والتضليل الذي أصاب الأديان السابقة، كما حفظ لسيرة النبي ﷺ الشمول والوضوح والتفصيل، بحيث أصبحت سيرته ﷺ معلومة تفاصيلها ومراحلها المختلفة من المولد إلى الوفاة، فضلاً عن الوثوق بها.

ثالثًا- من صفات النبي: التبشير:

لقد بشر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[4]، وقال الله عز وجل: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[5]، وقال الله جلّ شأنه مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٨/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١١٨، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[١]. وقال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢].

قال القاسمي: "(إنا أرسلناك شاهدًا)، أي: على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، (ومبشرًا): أي: لمن استجاب لك بالجنة (ونذيرًا): أي لمن خالفك بالنار"[٣].

وكان النبي ﷺ يبعث أصحابه رضي الله عنهم ليبشروا الناس، من ذلك قوله لأبي هريرة رضي الله عنه: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٤]. ولا شكّ أن التبشير في موضعه يؤتي بثماره الطيبة من حث على الطاعات، ونشر للفضائل، وزيادة إقبال على الطاعة، ودعوة للاقتداء والتأسي.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام الصحابة رضي الله عنهم، وأفضل الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، وأفضلهم الأربعة الخلفاء الراشدون، وفي هذا الحديث بشّر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، قال النووي: "وفيه فضيلة هؤلاء الثلاثة وأنهم من أهل الجنة، وفضيلة لأبي موسى رضي الله عنه، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه"[٥].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبيَّ ﷺ صعِدَ أُحُدًا وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرَجَفَ بهم، فقال: ((اثبُتْ أُحُدُ، فإن عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدان))[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦٨/١٥/٩.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦٧٥.

قال ابن عثيمين: "ارتج بهم الجبل،وهذا من آيات الله، ليس هو ارتجاج نقمة وخسف، لكنه ارتجاج فرح، فلما ارتج بهم الجبل قال له النبي ﷺ: (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان). فالنبي ﷺ والصديق أبو بكر، والشهيدان عمر وعثمان، وكلاهما قتل شهيدًا. أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قتل في المحراب، أما عثمان فقتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما"[١].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (كنّا في زَمن النبيِّ ﷺ لا نَعدلُ بأبي بكر أحدًا)[٢].

قال ابن أبي العز: "فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد روي عن أبي حنيفة تقديم عليّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة، وقال أيوب السختيابي: من لم يقدم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[٣].

خامسًا – من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم:

وهذا واضح من قول أبي موسى رضي الله عنه: (إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ) وفي رواية للبخاري: (ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً - يريدُ أخاهُ - يأتِ بهِ)[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

قال د. عبدالكريم زيدان: "إن الداعي [ومثله المدعو] لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم برضوان الله تعالى، إنه يحب

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٩٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ٧٢٧/٢ – ٧٢٨.

(٤) صحيح البخاري ٣٦٧٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك إليهم أيضًا"(١).

ومن هذا القبيل ما وقع من أبي ذر رضي الله عنه عندما أسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ)). فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي"(٢).

سادسًا - من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمان رضي الله عنه:

لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى رضي الله عنه: (ائذن له [أي لعثمان] وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه)، قال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى"(٣).

وقال القرطبي: "هذا من النبي صلى الله عليه وسلم إعلام لعثمان رضي الله عنه بما يصيبه من البلاء والمحنة في حال خلافته، وقد جاء من الأخبار ما يدل على تفصيل ما يجري عليه من القتل وغيره"(٤).

وقد عنون ابن كثير في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم آخر السيرة النبوية عنوانًا هو: "ذكر إخباره صلى الله عليه وسلم عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان بن عفان وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما"(٥).

---

(١) أصول الدعوة ص ٣٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٢٦٥.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/١٧٧ - ١٩٧.

قال ابن عثيمين: "وهذه البلوى هي ما حصل له رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته رضي الله عنه، حيث دخلوا عليه في بيته وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه، ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، والله أعلم. لكن على كل حال كان رضي الله عنه معروفًا بكثرة القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه شهيدًا"[2].

سابعًا – من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره:

وذلك واضح في قول عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بشره أبو موسى رضي الله عنه بالجنة مع بلوى تصيبه – حمد الله تعالى ثم قال: (الله المستعان)، وفي رواية لمسلم: ((اللَّهُمَّ صَبْرًا. أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ))[3]، وفي رواية لأحمد: (فجعل يقول: اللهم صبرًا حتى جلس)[4].

قال القرطبي: "أي: اللهم صبرني صبرًا، وأعني على ما قدّرت عليّ، فيه استسلام لأمر الله تعالى، ورضا بما قدره الله تعالى"[5].

فعلى المدعو أن يستعين بالله ويصبر عند مواجهة الشدائد، وليكن قدوته نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6].

وهذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها عندما رميت بما برأها الله منه في قرآنه الكريم، فقد قالت: (إني واللهِ لقد علمتُ: لقد سَمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢، وانظر: تفصيل ذلك في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٧٠/١٠ – ٤٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٠٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢٩٣/٤، رقم ١٩٥٠٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٦٧/٦ – ٢٦٨.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٨.

وصدَّقتم به، فَلَئن قلتُ لكم إني بريئة - واللهُ يعلمُ أني بريئة - لا تُصدِّقوني، ولَئن اعترَفتُ لكم بأَمر، والله يعلم أني منه برئية، لتصدِّقنِّي. فواللهِ ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا قولَ أبا يوسف حين قال: ﴿فصبرٌ جميل، والله المستَعانُ على ماتُصِفون﴾[١].

وقال ابن القيم: "الصبر على البلوى ينشأ من أسباب عديدة: الأول: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات.

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أمّ الكتاب قبل أن يخلق فلا بُدّ منها، فجزعُه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حقّ الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خوف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمورٌ بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[٢]، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء قطّ إلاّ بذنب ولا رفع بلاء إلاّ بتوبة).

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له، واختارها، وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٤١، ومسلم ٢٧٧٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٠.

لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2].

وفي مثل هذا قول القائل:

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرد، وصُفع قفاه، وأُقصي، وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدة. وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة. والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، ولكن تقلع عن هذا وعن الآخر بالحرمان والخذلان، لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال. فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة النساء آية: ١٩.

لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكادُ يصحبُ العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبتُ على البلاء والعافية. فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه: فإما أن يخرج تبرًا أحمر، وإما أن يخرج زغلاً[1] محضًا، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا، فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية، لشغل قلبه بشكره ولسانه ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[2].

وكيف لا يشكر من قيّض له ما يستخرج خبثه ونحاسه، وصيّره تبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر. فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه"[3].

---

(١) الزغل: الغش، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) طريق الهجرتين ص ٤٩٨ - ٥٠١.

الحديث رقم (٧١٠)

٧١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ الله ﷺ ، وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نفرٍ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ ، حَتَّى أتَيْتُ حَائِطًا للأنصَارِ لِبَنِي النَّجَارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أجِدْ ! فَإذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ (وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ) فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رسول الله ﷺ ، فَقَالَ: ((**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**)) فقلتُ: نَعَمْ، يَا رسول اللهِ، قَالَ: ((**مَا شَأنُكَ؟**)) قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأتَ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا ، ففزعنا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائِي. فَقَالَ: ((**يَا أَبَا هُرَيرَةَ**)) وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: ((**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ...**)) وَذَكَرَ الحديثَ بطوله، رواه مسلم[1].

"الرَّبِيعُ": النهر الصغير، وهو الجدول - بفتح الجيم - كما فسره في الحديث. وقوله: "احتَفَزْتُ" روي بالراء والزاي ومعناه بالزاي: تَضَاممتُ وتَصَاغَرْتُ حتى أمكنني الدخول.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يقتطع دوننا : أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره[2].

حائطًا : أي بستانًا وسمى بذلك لأنه حائط لا سقف له[3].

---

(١) برقم (٣١/٥٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ص ١١٢.

الرَّبيع: النهر الصغير[١].

احتفرت: روى بالراء وبالزاي ومعناه بالزاي: تضاممت وتصاغرت حتى أمكنني الدخول[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يحكي جانباً من الحياة اليومية لرسول الله وصحبه، وطبيعة هذه النوعية من الأحاديث أنها تحمل دروساً متعددة، وموضوعات مختلفة تكون مصدر تعليم لأجيال الأمة في كثير من الأمور وهذا الحديث يصوِّر عملياً شدة حرصهم على الرسول ﷺ وسلامته يدلك على ذلك عدة أمور في بناء الصحابي لعبارته منها: كثرة الألفاظ التي تدل على الفزع (خشينا - فزعنا - فزع) ومنها العبارت التي تدل على القلق (أبطأ علينا - أن يقتطع دوننا - فاحتفرت) ومنها كثرة استخدام الفاء في الربط بين الأحداث، والتي تدل على سرعة الاستجابة (فقام - فأبطأ - فقمنا- فكنت - فخرجت - فدرت - فاحتفرت - فدخلت) ومنها عموم الأثر والذي يدل عليه استخدام الصحابي (نا) الفاعلين بكثرة، لذلك جاءت بشارة الرسول ﷺ لهم بالجنة جزاءً من جنس العمل، فتأمل كيف تحولت نصرتهم للرسول ﷺ نصرة لأنفسهم، وكذلك كل من ينصر رسول الله، وسنته، فإنه في الحقيقة يحي قلبه، وينصر نفس.

فما أحوج الشباب المسلم إلى نموذج كأبي هريرة يكون قدوة لشباب الأمة في الحرص على نبيهم، والدفاع عنه والذبِّ عن سنته بالتمسك بها والدفاع عنها ضد من يحاول إقصائها عن ميدان الحياة، وهذه نصرة للمسلمين جميعاً لأنه ﷺ أجلُّ من أن ينقص من قدره جاهل بفعل أو قول وقد نصره الله فلا غالب له، وإنما إلتفافنا حوله نصرة لنا.

---

(١) رياض الصالحين ٣٠٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٠٧.

فقه الحديث

جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه:

قال النووي: (فيه [أي في هذا الحديث] جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه، إذا علم أنه يرضى ذلك لمودة بينهما أو غير ذلك، فإن أبا هريرة رضي الله عنه دخل الحائط وأقرّه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولم ينقل أنه أنكر عليه. وهذا غير مختص بدخول الأرض، بل يجوز له الانتفاع بأدواته وأكل طعامه، والحمل من طعامه إلى بيته، وركوب دابته، ونحو ذلك من التصرف الذي يعلم أنّه لا يشق على صاحبه، هذا هو المذهب الصحيح الذي عليه جماهير السلف والخلف من العلماء رحمة الله عليهم، وصرح به أصحابنا. قال أبو عمر بن عبدالبر: وأجمعوا على أنه لا يتجاوز الطعام وأشباهه إلى الدراهم والدنانير وأشباههما. وفي ثبوت الإجماع في حق من يقطع بطيب قلب صاحبه بذلك، نظر، ولعلّ هذا يكون في الدراهم الكثيرة التي يشكّ أو قد يشك في رضاه بها، فإنهم اتفقوا على أنه إذا تشكك لا يجوز التصرف مطلقاً فيما تشكك في رضاه به، ثم دليل الجواز في الباب الكتاب والسنة، وفعل وقول أعيان الأمة، فالكتاب قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ﴾[1] والسنة هذا الحديث وأحاديث كثيرة معروفة بنحوه، وأفعال السلف وأقوالهم في هذا أكثر من أن تحصى. والله تعالى أعلم)[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١١/١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثًا: من صفات النبي صلى الله عليه وسلم: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم على النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه صلى الله عليه وسلم:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفدون النبي بالغالي والنفيس، وقد كثر على ألسنتهم قولهم له صلى الله عليه وسلم: "فداك أبي وأمي"، وحديث الباب يوضح بعض هذا، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: "كنا قعودًا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما في نفر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم...".

قال النووي: (قوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره. قوله "وفزعنا وقمنا فكنت أول من فزع" قال القاضي عياض[1]: الفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به، وبمعنى الإغاثة، قال: فتصح هذه المعاني الثلاثة، أي ذعرنا لاحتباس النبي صلى الله عليه وسلم عنا، ألا تراه كيف قال: وخشينا ان يقتطع دوننا، ويدل على الوجهين الآخرين قوله: فكنت أول من فزع)[2].

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرسونه خوفًا من أن يصيبه صلى الله عليه وسلم أدنى أذى، قال ابن سيد الناس: (حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ، ويوم أحد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٢٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٠٤.

محمد بن مسلمة، ويوم الخندق الزبير بن العوام، وحرسه ليلة بنى بصفية أبو أيوب الأنصاري بخيبر أو ببعض طريقها، وحرسه بوادي القرى بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس، وكان على حرسه عباد بن بشر، فلما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[1] ترك الحرس)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة ﷺ:

أبو هريرة ﷺ هو راوية الإسلام، ولقد لازم النبي ﷺ منذ أسلم حتى وفاته ﷺ، فحفظ عنه علمًا جمًا، استفاد منه الصحابة والمسلمون كلهم - وما يزالون - استفادة كبيرة، وكان ﷺ يحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، ويفديه بالروح وبكل ما يملك كما في هذا الحديث (فكان أول من فزع أبو هريرة ﷺ حتى أتى حائطًا لبني النجار، فجعل يطوف به لعله يجد بابا فلم يجد ... ولكنه وجد فتحة صغيرة في الجدار فضم جسمه حتى دخل فوجد النبي ﷺ)[3]. وقال ابن هبيرة: (فيه جواز أن يحمل الشفيق إشفاقه على مصحوبه إلى أن يلج عليه في المكان الذي هو فيه من غير بابه، كما فعل أبو هريرة، وإنما يرخص في مثل هذا، إذا جرى مثل تلك الحال من الخوف على رسول الله ﷺ وإلا فلا تؤتى البيوت إلا من أبوابها)[4].

ومما يدل على منزلة أبي هريرة قوله ﷺ: ((إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرةَ يُكثرُ الحديثَ على رسولِ اللَّه ﷺ، واللَّهُ الموعد، إني كنتُ امرأً مسكينًا ألزَمُ رسولَ اللَّه ﷺ على مِلْءِ بطني، وكان المهاجرونَ يَشغَلُهُمْ الصفقُ بالأسواق، وكانتِ الأنصارُ يشغَلُهُم القيام على أموالهم، فشَهِدتُ من رسولِ اللَّه ﷺ ذاتَ يومٍ وقال: "من يَبسُطُ رِداءَهُ حتى أقضيَ مقالتي، ثم يَقبِضُهُ، فلن يَنسى شيئًا سَمِعَهُ مني، فبَسَطتُ بُردةً

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) عيون الأثر ٢/٣٨٣-٣٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢/١٠٢٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/١٩٨

كانت عليَّ، فوالذي بَعثهُ بالحق ما نسيت شيئًا سمعتهُ منه))[١].

قال عنه الذهبي: (الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات... حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه لم يلحق في كثرته)[٢]. وقال كذلك: (وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة)[٣].

ثالثًا - من صفات النبي ﷺ: التبشير:

وهذا واضح من إعطاء النبي ﷺ نعليه لأبي هريرة وقوله له: (اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة). قال ابن هبيرة: (فيه أن رسول الله ﷺ لما أخبره أبو هريرة بشدة إشفاق المسلمين عليه وحذرهم، عرف ﷺ أن هذا من أمارة الإيمان، وأراد أن يسر قلوبهم بهذه البشرى، فقال له: اخرج وخذ نعلي، وإنما أعطاه نعليه لتكون أمارة على أنه هو الذي أرسله بتلك الرسالة)[٤].

قال ابن عثيمين: (ففي هذا الحديث بشارة بالخير، وهو أن من شهد ألا إله إلا الله موقنًا بها قلبه فليبشر بالجنة)[٥].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٥٤، ومسلم ٢٤٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٥٧٨-٥٧٩.

(٣) السير ٢/٥٩٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/١٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ١١٩.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٥٦.

وقال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[١].

وقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب:

وذلك واضح في آخر الحديث "اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة".

قال النووي: (وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم، يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيدًا، وإن كان خبره مقبولاً من غير هذا. قوله ﷺ "فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة" معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم)[٣].

قال ابن عثيمين: (لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنًا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول لا معبود بحق إلا الله، وإذا كان هذا معنى تلك الكلمة العظيمة، فإنه لا بد أن يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له. أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه - والعياذ بالله - فإنها لا تنفعه، فهاهم أولئك المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله لكنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ويقومون ويصلون، لكنهم يصلون صلاة المنافقين، فالصلاة ثقيلة عليهم، وأثقلها صلاة العشاء والفجر، ويأتون للرسول ﷺ يقولون نشهد إنك لرسول الله ويؤكدون هذا، ولكن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ

---

(١) سورة يونس، آية: ١.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٧-١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[١] لم تستيقن قلوبهم بلا إله إلا الله، ولا بمحمد رسول الله، ولهذا لم تنفعهم، أما من استيقن بها قلبه فهذا هو الذي يبشر بذلك)[٢].

قال ابن القيم: (ومن منازل "إياك نعبد وإياكم نستعين" منزلة اليقين وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى: - وبقوله يهتدي المهتدون- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٣] وخص سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال - وهو أصدق القائلين - ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[٤] وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٥] وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين، فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[٦].

فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره، واليقين قرين التوكل، ولهذا فسر التوكل بقوة

---

(١) سورة المنافقون، آية: ١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٢٦/٢.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل شك وريب، وهّم وغّم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضى به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[1].

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٢٠-٢٢١ باختصار، وقد استفدنا هذا الاختصار عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٢٧١٨-٢٧١٩.

الحديث رقم (٧١١)

٧١١- وعن ابن شِمَاسَةَ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ رضي الله عنه وَهُوَ في سِيَاقَةِ المَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ، يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكَذَا؟ أمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكَذَا؟ فَأقْبَلَ بوَجْهِهِ، فَقَالَ: إنَّ أفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ، إنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أطْبَاقٍ ثَلاَثٍ: لَقَدْ رَأيْتُنِي وَمَا أحَدٌ أشَدُّ بُغضًا لرسولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلاَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ أنْ أكُونَ قد استْمكنتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُه، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإسلامَ في قَلْبي أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فقُلْتُ: ابسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْك، فَبَسَطَ يَمينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: **((مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟))** قلتُ: أردتُ أنْ أشْتَرِطَ، قَالَ: **((تَشْتَرِط بمَاذا؟))** قُلْتُ: أنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: **((أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وَأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟))** وَمَا كَانَ أحدٌ أحَبَّ إليَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ أجَلَّ في عَيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطيقُ أن أملأ عَيني مِنْهُ؛ إجلالاً لَهُ، ولو سُئِلْتُ أنْ أَصِفَه مَا أطَقتُ، لأني لَمْ أكن أملأ عيني مِنْهُ، ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أشْيَاءَ مَا أدْرِي مَا حَالِي فيهَا؟ فَإذَا أنَا مُتُّ فَلاَ تَصحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ، فَإذا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أسْتَأنِسَ بِكُمْ، وَأنْظُرَ مَاذا أُرَاجِعُ بِهِ رسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[1].

قوله: "شُنُّوا" روي بالشين المعجمة وبالمهملة، أي: صبوه قليلاً قليلاً. والله سبحانه أعلم.

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

---

(١) برقم (١٢١/١٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٤٢) بلفظ ابن خزيمة مختصرًا، وقال: ورواه مسلم وغيره أطول منه.

غريب الألفاظ:

سياقة الموت: حال حضور الموت[(١)].

أطباق: أحوال[(٢)].

فلأ بايعك: أعاقدك وأعاهدك[(٣)].

النائحة: التي تبكي وتنوح من النساء على الميت[(٤)].

فشنوا: صبوه قليلاً قليلاً[(٥)].

الجزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل[(٦)].

أراجع: أجاوب وأجادل[(٧)].

الشرح الأدبي

الحديث يصوِّر حالة لابد وأن تمرَّ بكل إنسان وهي حالة الاحتضار حينها تعتري الإنسان مشاعر متعددة لا يمكن وصفها يحتاج إلى رجاء المغفرة والبشارة بالخير وحسن الظن بالله وهو مدار الحديث.

بداية الحوار بين عمرو ﷺ والرسول ﷺ عند مبايعته على الإسلام تصدرتها جملة عمرو ﷺ (ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي) وقد تصدرها أسلوب الأمر (ابسط) والمقصود منه القبول والرضى وتخصيص اليمين لأنها المعتادة في السلام وأخذ البيعة وفي استعمالها عند العرب خصوصية وتكريم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٣) ل في (ب ي ع).

(٤) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٤٦.

(٥) رياض الصالحين ٣٠٨.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ز ر).

(٧) المرجع السابق في (ر ج ع).

وقوله: (فبسط... فقبضت) فيه تضاد يؤكد المعنى ويوضح مفارقة في الموقفين موقف الرسول ﷺ وموقف عمرو ﷺ، وتوقفه عن البيعة مما أثار استفهامة في نفس الرسول ﷺ وهو الحريص على إسلامه فقال: (مالك يا عمرو؟) وهو استفهام تعجب واستبطاء فتأتي إجابة عمرو رضي الله عنه بأنه يريد أن يشترط المغفرة، فجاءت بشارة الرسول ﷺ له وللمسلمين بقوله (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟) وهو استفهام تقرير للتعليم والإخبار وكأن ما سأل عنه مما لا ينبغي أن يجهل ثم إن تعبيره بقوله: (يهدم) للدلالة على محو الذنوب استعارة مكنية فيها تشبيه الذنوب بالبناء وقد أشار إليه بشيء من لوازمه وهو الهدم وهذه الاستعارة تفيد عدة دلالات منها: أن الذنوب سور، وحجاب يحجز صاحبه عن كل خير ومنها الدلالة على التفكيك والنقض المفهوم من طبيعة الهدم وهو في جانب المشبه به يؤكد محو الإسلام والهجرة والحج لما قبله من الذنوب محواً لا يبقي لها أثراً.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يكره في اتباع الجنائز: اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز أن يكون مع الجنائز، ما يخالف الشرع، كالنياحة، ورفع الصوت بالبكاء، أو اتباعها بمجمرة، أو بخور[(١)]، ويلحق بذلك ما كان في معناه، كالموسيقى، واللطم، ونحوهما.

٢- سنن وآداب الدفن:

أ- حثو التراب في القبر: يستحب عند جمهور الفقهاء، لمن حضر الدفن، أن يحثو

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٤/٢، ٣٣٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٦/١، ٣٥٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٢/٢، ١٥٣.

على الميت من تراب القبر ثلاث حثيات بيديه جميعًا، وذلك بعد الفراغ من سد اللحد، ويكون الحثو من جهة رأس الميت[1].

وروي عن الإمام مالك أنه قال: لا أعرف حثيات التراب في القبر ثلاثًا، ولا أقل، ولا أكثر، ولا سمعت من أمر به، والذين يلون دفنها يلون رد التراب عليها. لكن المعروف من مذهب المالكية: استحباب الحثو، كالجمهور[2].

ب- صرح جمهور الفقهاء بأنه يستحبّ أن يجلس المشيعون للميت بعد دفنه لدعاء وقراءة بقدر ما ينحر الجزور ويفرق لحمه[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف وبكاء عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما سبقهم من الذنوب.

خامسًا: من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال ابن شماسة: "حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً، وحوّل وجهه إلى الجدار... فأقبل بوجهه فقال: (إني قد كنت على أطباق ثلاث،

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٢٠/٢، حاشية الخرشي ٤٣٣/٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٣/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٠/٢، ١٦١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٢، وحاشية الخرشي ٤٣٣/٥.

(٣) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٢٩/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٩٤/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢١/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢١.

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ منّي ولا أحب إلي من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار... إلخ).

قال ابن عثيمين: (إنه حضره بعض أصحابه وهو في سياقة الموت، فبكى بكاءً شديدًا وحول وجهه نحو الجدار رضي الله عنه، وهو في سياقة الموت سيفارق الدنيا، فقال له ابنه: علام تبكي وقد بشرك النبي ﷺ بالجنة؟ فقال: يابني إني كنت على أطباق ثلاث، أطباق يعني أحوال، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث، أنه كان يبغض النبي بغضًا شديدًا، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحد يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يود أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه... فبايع رضي الله عنه النبي ﷺ وأحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، حتى كان أحب الناس إليه، حتى إنه لا يستطيع أن يحد النظر فيه إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، سبحان مقلب القلوب، بالأمس كان يبغضه بغضًا شديدًا حتى يتمنى أن يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه لأنه لا يحيط به، حيث إنه لم يدركه إدراكًا جيدًا؛ مهابة له ﷺ.

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول لكان من أهل النار ويقول: ولو مت على تلك الحال يعني الطبق الثاني لرجوت أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية: فإنه لشدة خوفه قال: لومت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ولم يقل: لكنت من أهل الجنة، لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها. ثم إنه تولى بعد ذلك أمورًا رضي الله عنه تولى إمارات وقيادات وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره. وكان عمرو بن العاص معروفًا أنه من أدهى وأذكى العرب، فيقول: أخشى من

---

(١) سورة الانشقاق، آية: ١٩.

هذا الذي حدث به بعد الطبق الأوسط، أن يكون أحاط بعمله)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى:

إن المحتضر مفارق الدنيا مقبل على الآخرة، لذا حَسُنَ أن يذكَّر بما يجعله يحسن الظن بالله، وهذا ما فعله ابن عمرو بن العاص، فقد قال لأبيه وهو يحتضر: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال النووي: (وفيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى، وذكر آيات الرجاء، وأحاديث العفو عنده، وتبشيره بما أعده الله تعالى للمسلمين، وذكر حسن أعماله عنده ليحسن ظنه بالله تعالى ويموت عليه، وهذا الأدب مستحب بالاتفاق، وموضوع الدلالة له من هذا الحديث، قول ابن عمرو لأبيه: أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا)[٢].

وعن أنس بن مالك: ((أَنَّ النبيَّ دَخَلَ على شَاب وهُوَ بالمَوْتِ فقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قالَ والله يا رسولَ الله إنّي أرْجُو الله وإنّي أَخَافُ ذُنُوبي. فقَالَ رسولُ الله لاَ يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْد في مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[٣].

وقال القرطبي: (حسن الظن بالله تعالى، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك، حتى يدخل في قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي))[٤])[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين:

لا يقبل الله إلا دين الإسلام، ولا يدخل في الإسلام أحدٌ إلا بالشهادتين، لذا كان لهما فضل عظيم وثواب جزيل، ولذا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٠٢٨-١٠٢٩.

(٢) شرح مسلم ١٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٠٧، ومسلم ٢٦٧٥.

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٢٨.

قال أبو العباس القرطبي المحدث: (أي أن أفضل ما نتخذه عدة للقاء الله تعالى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده وتصديق رسوله ﷺ، والنطق بذلك، وأن الإيمان أفضل الأعمال كلها، ويتأكد أمر النطق بالشهادتين عند الموت، ليكون ذلك خاتمة أمره وآخر كلامه)(١).

وقد قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إلاَّ الله. وأن محمداً رسول الله. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَصِيَامِ رَمَضَانَ. وَحَجِّ الْبَيْتِ))(٢).

وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ((أَتَدْرُونَ مَا الإِيْمَانُ بالله؟ قالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: شَهَادَةُ أنْ لاَ إِلهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))(٣).

وقال الرسول ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاّ الله وأن محمدًا رسولُ اللّهِ حَرَّمَهُ الله على النّارِ))(٤).

جاء في الموسوعة الفقهية: (وتطلق الشهادة أيضًا على كلمة التوحيد، وهي قولنا: "لا إله إلا الله" وتسمى العبارة "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" بالشهادتين. ومعناها هنا متفرع عن مجموع المعنيين "الإخبار والإقرار" فإن معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد علم، والإقرار الاعتراف به. وقد نص ابن الأنباري على أن المعنى هو: "أعلم أن لا إله إلا الله وأبيّن أن لا إله إلا الله، وأعلم وأبين أن محمدًا مبلغ للأخبار عن الله عز وجل، وسمى النطق بالشهادتين بالتشهد، وهو صيغة تفعل من الشهادة)(٥).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣، ومسلم ١٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٢١٥.

وجاء في كتاب أصول الإيمان: (معنى الشهادتين: معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله. ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)[1].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما قبلها من الذنوب:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ قال النووي: (فيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي)[2].

قال ابن عثيمين: (أما الإسلام فإنه يهدم ما كان قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3] وأما الهجرة إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها وهي بلد كفر هدمت ما قبلها، والحج يهدم ما قبله لقول النبي ﷺ ((مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[4])[5].

قال ابن العربي تعليقًا على الآية السابقة: (قال علماؤنا: هذه لطيفة من الله سبحانه منّ بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي ويرتكبون المآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة، ولا نالتهم مغفرة، فيسّر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم، ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدْعَى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفًا على الملة، وترغيبًا في الشريعة، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا)[6].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٥٦.

(٢) شرح مسلم ص ١٧٠. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٢٩/١.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٠٢٨/٢-١٠٢٩.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ٨٥٢/٢.

خامسًا - من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي ﷺ:

بعث الله النبي محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، فكان له على الخلق حقوق، منها إجلاله ﷺ وتعظيمه، وهذا ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم، فقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه".

قال النووي: (وفيه ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من توقير رسول الله ﷺ وإجلاله)[1].

وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفي عندما رأى النبي ﷺ وما يفعله أصحابه معه، وذلك في صلح الحديبية، قال عروة: ((والله لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووَفدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلكًا قطُّ يُعظِّمُهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجِلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له))[2].

وقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3].

قال أبو عبدالله القرطبي: (معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٢.

واضحة... وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء)[1].

وقال ابن العربي: (حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾[2]، وكلام النبي ﷺ من الوحي، وله من الحرمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه)[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠٦/١٦/٨-٣٠٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١٧١٤/٤-١٧١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخبر السار يدعى بشارة لأنه محبب إلى النفس والقرآن قد نص على ذلك في كثير من المواطن ومثل ذلك السنة.

وقد تستخدم الكلمة في التهكم والسخرية لمزيد من الإيلام. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التبشير بالخير:

إن من الأمور المهمة التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين التربية على التبشير بالخير والتهنئة لما تتركه من أثر طيب، ومن تحفيز على العمل، والاجتهاد في الطاعة، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له الرسول ﷺ عن أبي بكر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة ... ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ...» وقوله في الحديث عن عمر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة، فجئت عمر فقلت: أَذِنَ ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة»، وقوله عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه، فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، وفي حديث ابن شماسة: «... فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا...».

والتبشير كان من منهج النبي ﷺ دائمًا، "ومن هديه ﷺ أنه كان يثنى على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله تعالى"[1].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٢.

وواجب المسلم الحرص على التبشير بالخير دائمًا، والتهنئة به "والتيسير والتبشير من وسائل التحفيز للإنسان لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه بحِمْلٍ كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها"[١].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب حيث إن له أثرًا في نفس المتربي يحفزه إلى العمل والاجتهاد في الطاعة، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «.....اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هـذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللّـهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه وهو تشويق الناس إلى ثواب الله تعالى والجنة والترغيب يأتي في الشريعة حسب الأحوال والنفوس، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذِكْرُ الخير يرغبها ودَعوةُ الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[٢].

إن المربي الناجح يجعل من الترغيب وسيلة لحث المتربين على المزيد من الطاعات، "فالتربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية فهي تعتبر أساسًا محددًا لبناء شخصية الفرد تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها وعداوتها في بيعها وشرائها في عملها وراحتها في نصائحها وتحذيراتها، وتبرز أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين المتربين ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا"[٣].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٣.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص٢٠٠.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد بن عبدالرحمن العك، ص١٨٧.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

إن من الأساليب التربوية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، حيث إنه من خلال الحدث والموقف يقدم المربي توجيهاته وإرشاداته للمتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يبين هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: «لألزمن رسول الله ﷺ ...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في نفر ...» وفي حديث شماسة قال: «حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار ...».

ففي جملة هذه الأحداث مواقف وأحداث جاءت لتبين معاني تربوية وقيم خلقية، وتوجيهات إرشادية.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين. وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إن عادة الناس دائمًا أن الأحداث والمواقف تثبت في أذهانهم وعقولهم، فإذا ما ارتبط بها توجيهات تربوية، كان أدعى لقبولها وتنفيذها "يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدَىً بغير عبرة وتوجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث - كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها-باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر... وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديدُ ساخن...

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[١].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمربي والمعلم أن يستفيد منها، من تلك الأساليب ما يلي:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه، ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب بينه وبين المتعلمين أو بين المتعلمين بعضهم بعضًا، بهدف معرفة بعض المعلومات والحقائق التي تثري العملية التعليمية وتفعل دور المتعلم في حجرة الدراسة، وتكون مناخ فعّال للتفاعل الصفي في حجرة الدراسة. ومن الجدير بالذكر أن الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التعليمية التي تترك أثرها على المتعلم وتتميز ببقاء أثر التعلم.

ب-القصة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتعتبر القصة من طرق التدريس التي يمكن للمعلم استخدامها في تقديم الأفكار والخبرات والتجارب في شكل مشوق جذاب مؤثر وعن طريقها تثري المفردات اللغوية للتلميذ ويرغب في القراءة، وتحقق القصة للمتعلم الإمتاع والتسلية ثم تنمية الخيال والقدرة على الابتكار.

كما يمكن للمعلم استخدام القصة للتمهيد للدرس بحيث ترسم الإطار النفسي له.

خامساً - آداب البشارة في الإسلام:

١/ يستحب إخبار أي إنسان بما يسره إذا توفر العلم اليقيني بالخبر، وأن يكون مصدر الخبر كرأي العين حتى لا يبشر الإنسان بأمر ويظهر عكسه، فيكون ضرر الخبر أكثر من نفعه.

٢/ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالبشارة بأمر إلهي صريح أو بإلهام رباني صحيح، ويبشر كل من كلف ببشارته بنفسه أو بغيره.

٣/ يستحب للمبشَّر أن يهدي المبشِّر شيئاً ما، جبراً لخاطره وإشاعة للسرور، وتبادلاً له، هكذا فعلت خديجة رضي الله عنها عند إخبارها بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج منها،

---

(١)أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٩٦.

وفعل كثير غيرها.

٤/ يمكن إقامة الدليل على صدق البشرى أو العلم بمصدرها بدليل قطعي بدليل أن الرسول ﷺ أعطى أبا هريرة رضي الله عنه نعليه، ثم كلفه أن يبشر كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بالجنة.

٥/ يجوز التحفظ على البشارة إذا كان ذكرها يؤدي إلى عكس المراد منها، فحين طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الرسول ﷺ أن لا يبشر الناس بإيجاب الجنة لمن شهد شهادة التوحيد حتى لا يتكلوا، قَبِلَ الرسول ﷺ منه ذلك.



٩٦- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وأما الأحاديث فمنها:

الحديث رقم (٧١٢)

٧١٢- حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه - الذي سبق في بَابِ إكرام أهْلِ بَيْتِ رسول الله ﷺ- قَالَ: قَامَ رسول الله ﷺ فِينَا خَطِيباً، فَحَمِدَ الله، وَأثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: ((أمَّا بَعْدُ، ألاَ أيُّهَا النَّاسُ، إنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ))، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ((وَأهْلُ بَيْتِي، أذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أهْلِ بَيْتِي[1])) رواه مسلم[2]، وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

رسول ربي: الموت.

ثقلين: مفردها ثقل: الشيء النفيس الخطير[3].

---

(١) تكررت عند مسلم ثلاث مرات.

(٢) برقم (٢٤٠٨/٣٦)، وتقدم برقم (٣٤٦).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث ق ل).

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام مؤذن بمهم يتلوه، وحرف الجر المتصل بضمير الجمع (فينا) يؤكد الاحتشاد لهذا المهم، ثم إن الحمد، والثناء، والموعظة من لوازم خطبته ﷺ ثم إنه بدأ بفصل الخطاب بقوله (أما بعد) فصلاً للمقدمة عن موضوع الخطبة تلاه أداة الاستفتاح (ألا) وهي أشبه بطرقة عنيفة على الأسماع أتبعه بنداء الجمع (أيها الناس) الذي يؤكد أهمية الأمر، ويجعل الجميع في دائرة الحوار معنيين بما يتلوه، ثم أعقبه أسلوب قصر بإنما لنفسه ﷺ على كونه بشراً ونفي ما عداه من كونه ملكاً لا يموت، وهو تمهيد لما يريد أن يقرر من قرب الأجل، والذي قرره قوله (يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) وقد طوت العبارة أسراراً متعددة منها أن إتيان رسول ربه وإجابته له كناية عن موته ﷺ ومنها: أن التعبير بـ (يوشك) يقرر اقتراب ذلك مما يكون له أعظم الأثر في تلقيهم لما يقول ومنها: أن إضافة ضمير المتكلم لكلمة (رب) فيها استشعار للحظة القرب ورغبة في لازم الربوبية من العناية، والتربية، والحفظ عند الخطوب، ومنها: الربط بالفاء التي ترتب الإجابة علي الإتيان وتوحي بالسرعة مما يدل على شوقه إلى لقاء ربه، وقوله: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) وهذه الجملة تمهيد لتربة القلوب لتستقبل موعظة مودع بسمع مصغٍ وقلبٍ متفتح لا ينساها وتعبيره بالجملة الإسمية يفيد الثبات والدوام، وتصدير الكلام بالضمير (أنا) العائد عليه ﷺ ربط وجداني بحديث المودع السابق، ووصل له باللاحق؛ لأنها الفائدة التي يمهد لها وهي الوصية بالتمسك بكتاب الله وأهل بيته، وتنكير (الثقلين) للتعظيم وهو أسلوب توشيح يؤكد المعنى لأنه ذكر مثنى مجملاً ثم فصَّله بقوله (أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ) وإضافة الكتاب لله ارتقاء به لذروة الشرف التي ليس فوقها مرتقى لكتاب، وجملة (فيه الهدى والنور) تقديم الجار والمجرور (فيه) تفيد اختصاصه بهداية الناس وإرشادهم دون غيره من الكتب، وفيه إشارة خفية إلى تعرض الأمة لفتن ومحن لا تخرج منها إلا بكتاب الله يضيء لها الطريق كما أن فيه إشارة إلى أن الإنسان في الحياة كالساري بليل مظلم يحتاج إلى ما يضيء طريقه وهو كتاب الله مع كل مؤمن وفي قوله: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي

أَهْلِ بَيْتِي) إيجاز بالحذف تقديره: وثانيهما، والتكرار في الجملة يفيد التعظيم لشأنهم والتنبيه إلى فضلهم، ووجوب العناية بهم أينما كانوا ومهما تقلب بهم الزمان.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٣٤٦).

الحديث رقم (٧١٣)

٧١٣- وعن أَبي سليمان مالِك بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه ، قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ رَحِيماً رَفيقاً، فَظَنَّ أنّا قد اشْتَقْنَا أهْلَنَا، فَسَألَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أهْلِنَا، فَأخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: ((ارْجِعُوا إلَى أهْلِيكُمْ، فَأقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، (وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا)، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد البخاريُّ[2] في روايةٍ لَهُ: ((وَصَلُّوا كَمَا رَأيْتُمُونِي أُصَلِّي)).

وَقَوْلُه: (رحِيماً رَفِيقاً) رُوِيَ بفاءٍ وقافٍ، وَرُوِيَ بقافَيْنِ.

ترجمة الراوي:

مالك بن الحويرث: هو مالك بن الحويرث بن أَشْيم الليثي أبو سليمان. وقيل غير ذلك في نسبه.

قدم على النبي ﷺ في جماعة من الشباب، فأعلنوا إسلامهم وعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم قومهم إذا رجعوا إليهم كما في الحديث.

وقد عمل بهذه الوصية، فكان ينشر العلم يعلمه الناس، ويبلغ الخير إليهم، ويسدي النصح لهم، فقد قال للناس وقد أمّهم في الصلاة: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة ولكني أريد أن أريكم كيف صلاة رسول الله ﷺ[3].

وكان وقّافاً عند سنة رسول الله ﷺ، فقد زار قوماً، فقدموه للصلاة، لكنه أمرهم أن يقدموا رجلاً منهم يصلي بهم، ثم قال لهم مُبيناً سبب فعلته أن رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨، و، و٦٣١، و٦٨٥)، ومسلم (٦٧٤/٢٩٢)، والسياق للحميدي في جمعه (٣٨٥/١، رقم ٦٢٠).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٢٤).

الله ﷺ قال: من زار قوماً فلا يؤمهم وليؤمهم رجلٌ منهم[١].

سكن البصرة ومات بها ٧٤هـ[٢].

غريب الألفاظ:

شببة متقاربون: جمع شاب ومعناه: متقاربون في السن[٣].

رفيقاً: رقيق القلب[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يبيِّن رحمة الرسول ﷺ بأصحابه وعنايته بهم ورعايته لهم وتفقده لأحوالهم وهو ما يجب أن يكون عليه كل راع لأنه مسئول عن رعيته. سأل الرسول ﷺ عن أحوال أصحابه فلما أحيط بها علماً أمرهم بما فيه صلاحهم وما فيه حفاظ على دنياهم وأخراهم، وهو درس في التوازن بين إعمار الدنيا وإصلاح الآخرة فقال: (ارجعوا إلى أهليكم...) ليقضوا وطرهم ويقضوا حاجتهم، وقوله: (فأقيموا فيهم الصلاة) أمر مترتب على العودة بإقامة الصلاة، والتعبير بالإقامة، يفيد الإصلاح، والتقويم من قومت العود، بمعنى أزلت اعوجاجه، ولم ينص على قضاء الحوائج الدنيوية عند العودة، لأنها معلومة ضمناً وقد كانت السبب في ردهم إلى أهلهم وهو ما يؤكده قول الراوي: (فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا).

وقوله: (فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) أسلوب

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٦)، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٥٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٨/٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٥٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٦/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٦٨٩/٣).

(٣) شرح مسلم ٤٧٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣١/٢.

شرط يربط بين حضور الصلاة، والآذان لها مع الفورية التي تدل عليها (الفاء) والوجوب الذي تدل عليه لام الأمر المتصلة بالمضارع في قوله (فليؤذن - ليؤمكم) وقد عبَّر بحرف العطف (ثم) بين الآذان والإقامة للدلالة على فترة زمنية تؤَدىً فيها النافلة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الأذان: اتفق الفقهاء على أن الأذان من خصائص الإسلام وشعائره الظاهرة، وأنه لو اتفق أهل بلد على تركه قوتلوا، ولكنهم اختلفوا في حكمه، فقيل: إنه فرض كفاية، وهو الصحيح عند الحنابلة في الحضر، والمالكية على أهل المصر، واستظهره بعض المالكية في مساجد الجماعات، وهو رأي للشافعية ورواية عن الإمام أحمد. كما نقل عن بعض الحنفية أنه واجب على الكفاية.

وقيل: إنه سنة مؤكدة وهو الراجح عند الحنفية، والأصح عند الشافعية، وبه قال بعض المالكية، للجماعة التي تنتظر آخرين ليشاركوهم في الصلاة، وفي السفر على الصحيح عند الحنابلة، ومطلقاً في رواية عن الإمام أحمد وهي ظاهر كلام الخرقي.

وقيل: هو فرض كفاية في الجمعة دون غيرها، وهو رأي الشافعية، والحنابلة[1].

٢-الأحق بالإمامة: وردت في ذلك أحاديث كثيرة، وقد اتفق الفقهاء على أن بناء أمر الإمامة على الفضيلة والكمال، لذا اتفقوا أنه إذا اجتمع قوم، وكان فيهم ذو سلطان، كأمير أو وال أو قاض، فهو أولى بالإمامة من الجميع، حتى من صاحب

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤٥٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٨٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٢/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٨/١ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٤٥/٢.

المنزل، وإمام الحي، بشرط أن يكون مستجمعاً لشروط صحة الصلاة، حتى ولو كان بين القوم من هو أفقه أو أقرأ منه، لأن ولايته عامة. وإن لم يكن بينهم ذو سلطان يقدم صاحب المنزل، ويقدم إمام الحي، فإن كان غيره أفقه أو أقرأ أو أورع منه، إن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده. لكنه يستحب لصاحب المنزل أن يأذن لمن هو أفضل منه.

ولا خلاف بينهم أيضاً في تقديم الأعلم والأقرأ على سائر الناس، ولو كان في القوم من هو أفضل منه في الورع والسن وسائر الأوصاف.

وجمهور الفقهاء: (الحنفية والمالكية والشافعية) على أن الأعلم بأحكام الفقه أولى بالإمامة من الأقرأ، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ.

وقال الحنابلة، وهو قول أبي يوسف من الحنفية: إن أقرأ الناس أولى بالإمامة ممن هو أعلمهم، لأن القراءة ركن لابد منه، والحاجة إلى العلم إذا عرض عارض مفسد، ليمكنه إصلاح صلاته، وقد يعرض وقد لا يعرض.

أما إذا تفرقت خصال الفضيلة من العلم والقراءة والورع وكبر السن وغيرها في أشخاص، فقد ذهب جمهور الفقهاء: إلى تقديم الأعلم على الأقرأ. فإن استووا في العلم والقراءة، قال الحنفية والمالكية والشافعية: يقدم أورعهم، ثم إن استووا في الورع يقدم عند الجمهور الأقدم إسلاماً، فيقدم شاب نشأ في الإسلام على شيخ أسلم حديثاً، أما إن أسلما معاً، أو كانوا مسلمين في الأصل قدم الأكبر سناً.

فإن استووا في العلم والقراءة والورع والسن، فعند الحنفية يقدم الأحسن خلقاً، فإن كانوا فيه سواء فأحسنهم وجهاً، فالأشرف نسباً، فالأنظف ثوباً. فإن استووا يقرع بينهم.

وذهب المالكية والشافعية إلى أنه يقدم بعد الأسن، الأشرف نسباً، ثم الأحسن وجهاً، ثم الأحسن خلقاً، ثم الأحسن ثوباً ثم يقرع بينهم.

أما الحنابلة فقالوا بأنه عند الاستواء في القراءة والفقه يقدم أقدمهم هجرة، ثم أسنهم، ثم أشرفهم نسباً، ثم أتقاهم وأورعهم، فإن استووا في هذا كله أقرع بينهم.

ولا تقديم بحسن الوجه عندهم، لأنه لا مدخل له في الإمامة.

وهذا التقديم أمر مستحب، وليس على سبيل الإيجاب، فلو قدم المفضول كان جائزاً اتفاقاً، ما دام مستجمعاً شرائط الصحة، لكن مع الكراهة عند الحنابلة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: الشباب.

ثانياً: من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرحمة والرفق.

رابعاً: من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله.

خامساً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر.

سادساً: من وسائل الدعوة: التعليم.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر.

ثامناً: من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين.

تاسعاً: من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة.

عاشراً: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة.

أولاً - من أصناف المدعوين: الشباب:

قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه "آتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة" فأخبر رضي الله عنه عن وفده الذي وفد على النبي ﷺ بأنهم "شببة" وهو

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ١٧٥/٢ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٧٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٢/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٠/٢ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٢٩/٣ وما بعدها.

"جمع شابّ، وهو من كان دون الكهولة"[١]. وقال ابن حجر: (قوله "أتينا النبي ﷺ"[٢] أي وافدين عليه سنة الوفود، وقد ذكر ابن سعد[٣] ما يدل على أن وفادة بني ليث، رهط مالك بن الحويرث المذكور كانت قبل غزوة تبوك، وكانت تبوك في شهر رجب سنة تسع)[٤].

أي أن هذا الوفد كان من الشباب، والشباب هم أمل كل أمة، وهم قادة التغيير في كل زمان ومكان، لذا يعتني بهم أصحاب الدعوات أشد الاعتناء، ويخصونهم بفائق الاهتمام وبالغ الخطاب. فإذا كان أصحاب الأفكار، الغالب عليهم أنهم تجاوزوا مرحلة الشباب، فإن أفكارهم لا تطبق ولا ترى الواقع إلا على أيدي الشباب المتحمسين المؤمنين بها المدافعين عنها.

وهناك مواقف حاسمة في تاريخ الدعوة اضطلع بها الشباب، و يُحسن بنا أن نذكر نماذج منها: المهمة التي أسندها النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه في تعليم أهل المدينة[٥]، والمهمة التي قام بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة هجرة النبي ﷺ[٦]، والمهمة التي قام بها معاذ بن جبل رضي الله عنه في اليمن[٧] وغير ذلك كثير من المهام الدعوية التي لم تسند إلا للشباب.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣ .

(٢) هذه رواية البخاري ٧٢٤٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٠٥/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣.

(٥) قال ابن إسحاق في المغازي - كما في السيرة لابن هشام ٨٢/١ عناية عمر تدمري-: لما انصرف الناس عن العقبة بعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير يفقههم. هكذا ساقه بدون إسناد، وأخرج البخاري ٣٩٢٥ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس.

(٦) ذكره ابن إسحاق في المغازي -كما في السيرة لابن هشام ١٢٤/٢ عناية عمر تدمري- بدون إسناد، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٨٩/٤.

(٧) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٤٢ ومسلم ١٧٣٣ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن، فقال: يسرا ولا تعسِّرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا.

هذا شيء من التفصيل، أما على وجه العموم فإن الله قيض للنبي ﷺ كوكبة نيرة من الشباب الأطهار، الأنقياء المخلصين الذين آمنوا به وبدعوته، وتحملوا عبء الدفاع عنها في كل مراحلها وأوقاتها: فكانوا الثابتين الراسخين وقت ضعفها واشتداد العداوة لها وقلة المناصرين وكثرة المهاجمين والمخذلين، وكانوا الجنود المخلصين وقت قوتها وانتصارها على أعدائها، وكانوا الحاملين لواءها وقت الفتوحات والتمكين لها في الأرض.

ويكفي دليلاً على ما سبق أن العشرة المبشرين بالجنة -وهم أفضل الصحابة- كانوا من الشباب وقت إسلامهم، وكذلك كان معظم الصحابة رضي الله عنهم، لذا كان على الداعية أن يهتم بالشباب اهتماماً بالغاً، إن أراد لدعوته النجاح والقبول، فيخاطبهم بما يناسبهم وبما يرغبهم في التمسك بدينهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة مما يعصمهم من الزلل والانحراف، ويجعلهم يقبلون على الدعوة إقبالاً يجعل منهم نماذج مشرفة لغيرهم، مما يدفع الآخرين إلى النهج على نهجهم والعمل بمثل أعمالهم.

ثانياً- من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها:

إن الداعية يعيش بين المدعوين، فيعرف ما يتطلعون إليه، ويشعر بما يحتاجون إليه، فإن هو بادر بتلبية هذه الاحتياجات، كان ذلك من عوامل تمكين الدعوة في نفوس المدعوين وإقبالهم عليها، والداعية إذ يفعل هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما أخبر عنه مالك بن الحويرث رضي الله عنه: "فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهليكم ..." "والمراد بأهل كل منهم زوجتُه أو أعمّ من ذلك"[(١)] وفي رواية عند البخاري: (فلما ظنّ أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه)[(٢)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١، ٧٢٤٦.

وفي رواية أخرى عند البخاري (فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا...)[١].

قال ابن حجر: (إنما أذن لهم في الرجوع؛ لأن الهجرة كانت قد انقطعت بفتح مكة، فكانت الإقامة بالمدينة باختيار الوافد، فكان منهم من يَسْكنها، ومنهم من يرجع بعد أن يتعلم ما يحتاج إليه)[٢].

قال ابن عثيمين: (إن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين، لا يكون أنانياً إذا تمت له الأمور نسي من سواه، فإن رسول الله ﷺ كان مقيماً في أهله مستريح البال، مطمئن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين، وكانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم، وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه، أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم، فينبغي على الداعية أن يشعر بشعور الآخرين، وأن يجعل نفسه مكانهم، حتى يعاملهم بما يحب أن يعامل به نفسه)[٣].

ولعل من هذا القبيل ما رواه البيهقي بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: ((خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه من الليلِ، فَسَمِعَ امرأةً تقولُ:

تطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لاَ حَبِيبَ أُلاَعِبُهُ

فقالَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لِحَفْصة بنتِ عُمَرَ رضي الله عنها: كَمْ أَكْثَرُ ما تَصْبِرُ المرأةُ عن زَوْجِهَا، فقالتْ: سِتَّةُ أو أَرْبَعَةُ أشهرٍ، فقالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لا أَحْبِسُ الجيشَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا))[٤].

وأخرج عبدالرزاق[٥] بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب: لا يحبس أكثر من أربعة أشهر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٢ .

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٣٣/٢.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢٩/٩، وانظر: التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٣-٢٢٠.

(٥) كما في التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٢٢٠/٣.

ولذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في الناس فيقول لهم: أيها الناس إني لم أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن بعثتهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به غير ذلك فليرفعه إليّ فأقصه منه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتكفروهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم"[١].

قال السندي: (قوله "لا تجمروهم": من التجمير - بالجيم والراء المهملة - وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهليهم. فتكفروهم: أي تحملوهم على الكفران وعدم الرضا بكم، أو على الكفر بالله، لظنّهم أنه ما شرع الإنصاف في الدين. الغياض: جمع غيضة -بفتح الغين- وهي الشجر الملتف، قيل: لأنهم إذا نزلوها تفرقوا، فتمكن منهم العدو)[٢].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرحمة والرفق:

إن الداعية هو من يدعو الناس إلى الحق، فمهمته إرشادهم إلى الحق والخير والعدل، وهو إذ يقوم بمهمته الجليلة تلك يكون متحلياً بالصفات التي تعينه على ذلك، ومن أهمها الرحمة والرفق، وهو إذ يتحلى بهما يقتدي بسيد الدعاة محمد ﷺ، الذي كان أشد الخلق رحمة ورفقاً، وهذا ما عبّر عنه الصحابي مالك بن الحويرث رضي الله عنه إذ قال: "كان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا".

قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه فوائد: منها: أن النبي ﷺ كان مشهوراً بالرحمة والرفق، فكان أرحم الناس بالناس، وكان أرفق الناس بالناس ﷺ، رحيماً رفيقاً، حتى إن الجارية من أهل المدينة -البنت الصغيرة- كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز كذلك، فكان ﷺ أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالناس)[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ٤١/١، رقم ٢٨٦ مطولاً، وكذلك الحاكم ٤٣٩/٤، رقم ٨٤٠٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي ٢٩/٩ وهذا لفظه، وأخرجه كذلك ٤٢/٢ مطولاً. وفيه راوٍ لم يوثقه إلا ابن حبان وقال أبو زرعة: لا أعرفه. قاله محققو المسند. وانظر تتمة تخريجه في المسند ٣٨٥/١.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٣٨٥/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٣٢/٢.

وقد قال الله تعالى مبيناً فضله على رسوله ﷺ بأن جعله رحيماً لين الجانب، فكان ذلك من أسباب اجتماع المؤمنين عليه واستجابتهم له، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾[1] قال ابن كثير: (الفظ الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك "غليظ القلب" أي: لو كنت سيء الخلق قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبدالله بن عمرو[2]: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[3].

رابعاً- من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله:

وذلك واضح من قول مالك بن الحويرث رضي الله عنه "وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً" وقال ابن حجر: (من الرفق: وفي رواية الأصيلي والكشميهني بقافين[4]: أي رقيق القلب)[5]. ورواية عند البخاري: "وكان النبي ﷺ رحيماً فقال: لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم" قال ابن حجر: (قوله "رحيماً فقال: لو رجعتم" في رواية ابن علية وعبدالوهاب "رحيماً رقيقاً فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا، وسألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم" ويمكن الجمع بينهما بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس بقوله "لو رجعتم" إذ لو بدأ بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم، فأمرهم حينئذٍ بقوله: "ارجعوا")[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٢٥، ٤٨٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٣/٣، ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٨/٥-٣٧٩.

(٤) وكذلك أخرجه مسلم ٦٧٤، وكذلك أخرجه البخاري ٧٢٤٦ لكن بلفظ "رقيق" فقط دون لفظ رحيم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٢.

(٦) المرجع السابق ١٧١/٢ .

والشاهد أن الصحابي لما أقام عند النبي ﷺ لمس حسن أخلاقه ﷺ، وجميل شمائله على قصر المدة التي أقامها عنده وهي عشرون ليلة، ولا شك أن حسن خلق الداعية يأسر قلوب المدعوين، سواءً أكانوا من المستجيبين له أم من غير المستجيبين.

فهذا خادم النبي ﷺ أنس بن مالك وقد أدهشه وأعجبه حسن خلقه ﷺ ولم ينقص هذا الإعجاب يوماً واحداً، بل ظلّ في ازدياد، رغم طول خدمته للنبي ﷺ وهي عشر سنين، مع أن العادة تقضي بأن طول العشرة والتعامل يؤدي إلى انطفاء وهج الإعجاب والانجذاب، ولكن ذلك لم يحدث -ولن يحدث- مع النبي ﷺ، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ((خَدَمْتُ رَسُولَ اللّهِ عَشْرَ سِنِينَ. وَاللّهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ. وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟))[1]. وفي رواية: ((فخدَمتهُ في السفَر والحضَر))[2].

قال النووي: (في هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه)[3].

كما كانت أخلاقه ﷺ مثار إعجاب المنصفين من المفكرين من غير ملة الإسلام وخاصة الغربيين منهم، يقول الدكتور مصطفى السباعي: (إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله. قال العلامة بارتلمي سنت هيلز: كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، وكان لدينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده، جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته).

وقال وليم موير في كتابه "سيرة محمد": (امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٦٨، ومسلم ٢٣٠٩، ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٣/١٥/٨ .

ويؤخذ مما قاله لين بول: (إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى. كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته أعواماً، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة؛ وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وأنه لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرئهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة)[1].

والخلاصة أن إحساس المدعو بصدق الداعية في أخلاقه، وبكريم خصاله، من أكبر الدلائل على نجاح الداعية في دعوته، فإن ذلك يدل على مدى إيمان الداعية الشديد بدعوته، وإقباله عليها بكل جوارحه، وعلى أنه يطبقها في كل حركاته وسكناته. وهذا من أنجح السبل لاقتناع المدعو بالدعوة والإيمان بها. كما أن هذا يجعل الداعية قدوة للمدعوين يتأسون ويقتدون به، كما أن هذا أيضاً يقلل إلى حد كبير العدد المحتمل للمناوئين لدعوة الداعية، لأنه بحسن خلقه سينقل عدداً لا بأس منهم من صف المناوئين إلى صف المؤيدين والأتباع، كما سينقل أيضاً عدداً آخر إلى صف المحايدين. ولا شك أن هذا سيجعل الداعية يصرف جلّ وقته في الدعوة إلى دعوته، وبيان فضائلها ومزاياها، دون أن تعيقه كثيراً مكائد المناوئين ودسائسهم.

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر:

السؤال والجواب من الأساليب التي يستخدمها كل من الداعية والمدعو، فإن كان المدعو يسأل عما لا يعرف، فإن الداعية يسأل المدعو، ليرشده إلى ما فيه نفعه وصلاحه، وقد سأل النبي ﷺ هؤلاء الشباب عن أهليهم الذين تركوهم في أوطانهم، فأخبروه، فأمرهم ﷺ بما يصلح حالهم وحال أهليهم، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا..." الحديث.

---

(١) عظماؤنا في التاريخ ٨٥-٨٧.

سادساً- من وسائل الدعوة: التعليم:

من الوسائل الدعوية الناجحة التعليم، لأنها تدل على مزيد من العناية والاهتمام من المعلم بالمتعلم، وقد قال النبي ﷺ لهؤلاء الشباب الأطهار: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم"... الحديث.

ولعلّ مناسبة الأمر بالتعليم هنا، أن الأهل محتاجون إلى بذل كثير من الجهد والوسع مع التحلي بالعطف والرفق والشفقة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((أدبوهم وعلموهم))[2]. وقال القرطبي: (قال الكيا الهراسي: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب)[3].

كما أرشد النبي ﷺ صحابته إلى الاقتداء به في صلاته، فقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وهذا لا يكون إلا بالتعليم، قال الشيخ عبدالله البسام: (متعلم الصلاة من غيره بالاقتداء، لا يضره ولا يخلّ بصلاته أن يلاحظ صلاة من يتعلم منه الصلاة ويراقبه في ذلك، كما أن المصلي إذا أراد أن يعلم بصلاته غيره، فإن النية لا تنقص من صلاته ولا تخل بها)[4].

بل إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون التابعين ما تعلموه هم من النبي ﷺ، قال أبو قلابة[5]: ((جاءنا مالكُ بنُ الحُوَيرثِ في مسجدنا هذا فقال: إني لأصلي بكم وَما أُريدُ

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٠٣-١٠٤، وانظر: تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤/٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/١٣٥.

(٥) اسمه عبدالله بن زيد الجرْمي، وهو من ثقات التابعين، مات بالشام ١٠٤هـ وقيل بعدها. كما في تقريب التهذيب ١/٤١٧.

الصلاةَ، أُصلِّي كيفَ رأيتُ النبيَّ ﷺ يُصلِّي))[1] قال ابن دقيق العيد: (أي أصلي صلاة التعليم، لا أريد الصلاة لغير ذلك، ففيه دليل على جواز مثل ذلك. وأنه ليس من باب التشريك في العمل)[2].

وقال ابن حجر: (كأنه قال: ليس الباعث لي على هذا الفعل حضور صلاة معينة من أداء أو إعادة أو غير ذلك. وإنما الباعث لي عليه قصد التعليم، وكأنه تعيّن عليه حينئذٍ، لأنه أحد من خوطب بقوله "صلوا كما رأيتموني أصلّي" ورأى أن التعليم بالفعل أوضح من القول، ففيه دليل على جواز مثل ذلك، وأنه ليس من باب التشريك في العبادة)[3].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث رضي الله عنه ومن معه: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم ومروهم، وصلوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال ابن حجر: (في رواية وهيب في الصلاة ((أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفَرٍ من قومي))[4] والنفر عدد لا واحد له من لفظه، وهو من ثلاثة إلى عشرة. ووقع في رواية في الصلاة ((أَنَا وَصَاحِبٌ لِي))[5]، وجمع القرطبي[6] باحتمال تعدد الوفادة، وهو ضعيف، لأن مخرج الحديثين واحد، والأصل عدم التعدد، والأولى في الجمع أنهم حين أذن لهم في السفر كانوا جميعاً، فلعل مالكاً ورفيقه عادا إلى توديعه، فأعاد عليهما بعض ما أوصاهم به

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٧.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ٢٨٤٨، ومسلم ٦٧٤، ٢٩٣.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٠/٢.

تأكيداً، وأفاد ذلك زيادة بيان أقل ما تنعقد به الجماعة)[١].

ومن الملاحظ أن النبي ﷺ أوصاهم بما يلي:

١- أن يعلموا أهليهم ويأمروهم بالطاعات: قال ابن حجر: (قوله "وعلموهم ومروهم" بصيغة الأمر ضد النهي، والمراد به أعمّ من ذلك، لأن النهي عن الشيء أمر بفعل خلاف ما نهى عنه اتفاقاً، وعطف الأمر على التعليم لكونه أخصّ منه، أو هو استئناف كأن سائلاً قال: ماذا نعلمهم؟ فقال: مروهم بالطاعات وكذا وكذا. ووقع في رواية حماد بن زيد عن أيوب كما تقدم في أبواب الإمامة[٢] "مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا" فعرف بذلك المأمور المبهم في رواية الباب. ولم أر في شيء من الطرق بيان الأوقات في حديث مالك بن الحويرث، فكأنه ترك ذلك لشهرتها عندهم)[٣].

٢- أن يحافظوا على الأذان والصلاة في جماعة: وذلك في قوله ﷺ: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة ... وفيه أن الأذان والجماعة مشروعان للمسافرين، وفيه الحث على المحافظة على الأذان في الحضر والسفر، وفيه أن الجماعة تصح بإمام ومأموم، وهو إجماع المسلمين، وفيه تقديم الصلاة في أول الوقت)[٤].

٣- أن يؤمهم أكبرهم: وذلك في قوله ﷺ: "وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه تقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال، وهؤلاء كانوا مستويين في باقي الخصال، لأنهم هاجروا جميعاً وأسلموا جميعاً وصحبوا رسول الله ﷺ ولازموه عشرين ليلة، فاستووا في الأخذ عنه، ولم يبق ما يقدم به إلا السن)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٣٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٧٨-١٧٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١١٠-١١٣ .

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٧٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧١-١٧٢.

٤- التأسي به ﷺ في الصلاة: وذلك في قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلّي" قال الأمير الصنعاني: (فيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها، وجب على الأمة، إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[١]. قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه ﷺ من الشفقة والاهتمام بأحوال الصلاة وغيرها من أمور الدين)[٢].

ثامناً - من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم" وفي رواية عند البخاري[٣]: "لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا".

قال ابن حجر: (اقتصار الصحابي على ذكر سبب الامر برجوعهم، بأنه الشوق إلى أهليهم دون قصد التعليم، هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك، ويمكن أن يكون عَرَف ذلك بتصريح القول منه ﷺ، وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم، لكنّه أخبر بالواقع ولم يتزين بما ليس فيهم، ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين، وهو أهلية التعليم، كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث: "حظٌ وافق حقاً"[٤]. كما قال ابن حجر: (وفي الحديث أيضاً فضل الهجرة والرحلة في طلب العلم وفضل التعليم)[٥]. كما أوجب النبي ﷺ تبليغ العلم ونشره، فقال ﷺ: ((لِيُبْلغِ الشاهِدُ الغائبَ، فإنَّ الشاهِدَ عَسى أن يبلّغَ مَن هُو أوْعى لهُ منه))[٦]، قال النووي: (فيه وجوب تبليغ العلم وهو فرض كفاية، فيجب

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٢ .

(٥) السابق ١٧٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

تبليغه بحيث ينتشر)[١].

وقال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحثّ على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣].

قال أبو عبدالله القرطبي: (هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم)[٤].

وقال الشوكاني: (قد جعل الله سبحانه الغرض من هذا النفير هو التفقه في الدين وإنذار من لم يتفقه، فجمع بين المقصدين الصالحين والمطلبين الصحيحين، وهي تعلم العلم وتعليمه، فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين، فهو طالب لغرض دنيوي لا لغرض ديني)[٥].

وقال ابن القيم: (ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين، وهو تعلمه وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم، وقد اختلف في الآية فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة، تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلم... وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/١١/٦ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٣/١، شرح الحديث ٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٨/١٠، وانظر: احكام القرآن، ابن العربي ١٠٣٠/٢-١٠٣١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٦/٧-٢١٩ .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤١٦/٢.

للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين. فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدةُ وعلمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام. وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة. وهذا قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد ... وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين، وتعلمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه)[١].

وكان كذلك، لأنه بنشر العلم يختفي الجهل، وتزول البدع والمنكرات، ويُعبد الله على بصيرة، فإن كان الجهاد يحارب أعداء الدين الظاهرين، فإن العلم يحارب أعداءه الضالين المضلين الذين قد لا يُعلمون، بل ربما ارتدى بعضهم زي العلماء نفاقاً وزوراً.

تاسعاً - من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة:

لقد خاطب النبي ﷺ هؤلاء الصحابة، فقال لهم: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم".

قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة، وتقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال)[٢]. وهذا الحث يستفاد منه أن للأذان والإقامة رسالة دعوية ذات قيمة كبيرة، يوضح هذا ما يلي:

١- أن الأذان في اللغة معناه الإعلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[٣] أي أعلمهم[٤] كما أن لفظي الدعوة والنداء يتفق مع الأذان في المعنى العام، وهو النداء والدعاء وطلب الإقبال[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٥٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣ .

(٣) سورة الحج، آية: ٢٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور ١٤٩/١٦/٨، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ص ١٥.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٧/٢.

كما أن الحكمة من الأذان هي (الإعلام بدخول وقت الصلاة، وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله، ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح)[١] أي أن الأذان دعوة إلى إقامة الصلاة التي هي عماد الدين.

٢- أما الإمامة في الصلاة فهي ارتباط صلاة المصلي بمصلٍ آخر بشروط بينها الشرع، فالإمام لم يصر إماماً إلا إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء[٢].

(وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال التي يتولاها خير الناس ذوو الصفات الفاضلة من العلم والقراءة والعدالة وغيرها، ولا تتصور الجماعة إلا بها، وصلاة الجماعة من شعائر الإسلام، ومن السنن المؤكدة التي تشبه الواجب في القوة عند أكثر الفقهاء، وصرّح بعضهم بوجوبها)[٣].

أي أن الإمامة في الصلاة يستفاد منها دعوياً بلفت انتباه المأمومين إلى الاقتداء والتأسي بمن هو أعلم وأفضل، ولفت انتباههم أيضاً إلى الاتحاد ولزوم الجماعة والبعد عن الفرقة والاختلاف، كما أنها بيان بأن التقدم في هذا الدين والأفضلية والسبق لمن هو أكثر تقوىً وصلاحاً وعلماً وفقهاً.

عاشراً - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي".

قال الصنعاني: (هذا الحديث أصل عظيم في دلالته على أن أفعاله ﷺ في الصلاة وأقواله، بيانٌ لما أجمل من الأمر بالصلاة في القرآن وفي الأحاديث، وفيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها وجب على الأمة إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[٤]. لكن عبدالله البسام قال: (وهذا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٩/١ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٤/٢ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٦-٢٠٢.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣-٢٣٧ .

الأصل مستقيم لو لم يعارضه حديث المسيء في صلاته[1] الذي قال العلماء فيه: إن ما لم يذكر فيه من أحكام الصلاة فهو غير واجب إلا بدليل خاص، فحينئذٍ يقال في حديث مالك بن الحويرث "صلوا كما رأيتموني أصلي" ما كان الأمر فيه للوجوب يجب، وما كان الأمر فيه للاستحباب يستحب. وهو يدل على المشروعية المطلقة للرسول ﷺ.

وإن صلاة النبي ﷺ هي الصلاة التامة والكاملة، التي من احتذاها فقد أكمل صلاته وأتم عبادة ربه، وما دام المسلم مأموراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته، فإنه لا يمكن ذلك إلا بتعلمها. فيجب أن يتعلم كيف كانت صلاة النبي ﷺ، ووجوب الاهتمام والعناية بالصلاة وإجادتها وإتقانها، ذلك أنه ﷺ هو القدوة والأسوة بالأفعال كلها، ولم تخص قدوته بالصلاة هنا إلا لما لها من الأهمية)[2].

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧ ومسلم ٣٩٧.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٣٥/٢.

الحديث رقم (٧١٤)

٧١٤- وعن عمرَ بن الخطاب ﷺ ، قَالَ: اسْتأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ، وقال: ((لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ)) فقالَ كَلِمَةً ما يَسُرُّنِي أنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي روايةٍ قَالَ: ((أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحد يث يكشف جانباً من الأدب العالي للصحابة مع الرسول ﷺ مهما كانت مكانة أحدهم، فلابد من أن يستأذن كما يكشف عن مدى محبتة الرسول ﷺ لهم يدلك على ذلك سرعة الاستجابة في قوله (فأذن) ثم قوله: (لا تنسنا يا أخي) نهي يفيض تواضعاً وعطفاً وحباً ويثمن غالياً صلاح عمر ﷺ ، وإيمانه وقوله: (يا أخيَّ) النداء فيه تودد وتكريم صعَّد هذا التكريم وزاد التودد بالتعبير بكلمة (أخ) وإضافته إلى نفسه تعظيماً لعمر ﷺ ثم صدوره بِصِيغَةِ التَّصْغِير وَهُوَ تَصْغِير تَلَطُّف وَتَعَطُّف يدل على مزيد محبة وتقريب له وقوله: (مِنْ دُعَائِك): فِيهِ إِظْهَار الْخُضُوع وَالْمَسْكَنَة فِي مَقَام الْعُبُودِيَّة بِالْتِمَاسِ الدُّعَاء مِمَّنْ عُرِفَ لَهُ الْهِدَايَة وَحَثٌّ لِلْأُمَّةِ عَلَى الرَّغْبَة فِي دُعَاء الصَّالِحِينَ وَأَهْل الْعِبَادَة، وَتَنْبِيه لَهُمْ عَلَى أَنْ لا يخصوا أَنْفُسهمْ بِالدُّعَاءِ وَلا يُشَارِكُوا فِيهِ أَقَارِبهمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ لا سِيَّمَا فِي مَظَانّ الإِجَابَة، وَتَفْخِيم لِشَأْنِ عُمَر وَإِرْشَاد إِلَى مَا يَحْمِي دُعَاءَهُ مِنْ الرَّدّ وقوله (فَقَالَ): عَطْف عَلَى قَالَ لا تَنْسَنَا لِتَعْقِيب الْمُبَيَّن بِالْمُبَيِّنِ أَيْ قَالَ عُمَر فَقَالَ بِمَعْنَى تَكَلَّمَ النَّبِيّ ﷺ (كَلِمَة): وَهِيَ لا تَنْسَنَا (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا): الْبَاء

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢)، وتقدم (٣٧٣). قال ابن كثير في مسند الفاروق (٣٢٦/١): قال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من هذا الوجه، وعاصم بن عبيد الله فيه ضعفٌ، روى أحاديث مسندة.

لِلْبَدَلِيَّةِ وَمَا نَافِيَة وَأَنَّ مَعَ اِسْمه وَخَبَرِهِ فَاعِل يَسُرُّنِي أَيْ لا يُعْجِبُنِي وَلا يُفْرِحُنِي كَوْن جَمِيع الدُّنْيَا لِي بَدَلَهَا ، وهذا دليل على منتهى الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٧٢).

الحديث رقم (٧١٥)

٧١٥- وعن سالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر: أنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَراً: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: ((أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَواتِيمَ عَمَلِكَ)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينك: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك[(٢)].

وأمانتك: أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر. وقيل المراد بالأمانة الأهل والأولاد، وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها[(٣)].

خواتيم عملك: المراد به حسن الخاتمة[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول لحظة فراق عند السفر حين يخرج الإنسان عن أهله، وماله، وهي لحظة قلق، وحزن، وهَمٍّ، وقد علَّم الرسول ﷺ صحابته دعاءً يبعث السكون في النفس المضطربة التي توشك أن تفارق أحبائها ويربِّتُ عليها بذكر الله فيَقدُم على ما يَقدُم عليه في ذمة الله، ويَخْلُف ما يَخْلُف من الأهل والمال في ذمة الله؛ ولذلك جاء قوله: (أستودع الله دينك) جملة خبرية ملؤها المحبة، والرحمة، ومعناها أطلب من الله أن

---

(١) برقم (٣٤٤٣). وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٢٥٣١)، وقال الحاكم (٢/٩٧): وهذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٣) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

يحفظ دينك وقوله (وأمانتك) وهي كل ما يجب على الإنسان حفظه من حقوق الناس في المعاملات، وحقوق الله في العبادات، و (خواتيم عملك) نهايته؛ لأن ما قبلها مجبور بها إن حسنت، والإنسان يبعث على ما مات عليه، وجاء ترتيب العبارة النبوية وفق الأهمية فقد طلب حفظ الدين أولاً؛ لأنه المطلوب الأول، ثم الأمانه، وهي المكملة للدين، ثم العمل، لأن من كان على دين يكون أميناً، ومن يكون عنده دين وأمانة يرجى له حسن الخاتمة.

فقه الحديث

آداب السفر: ذكر النووي في كتاب المجموع وكتاب الأذكار آداب السفر[1] يجدر أن نذكر منها ما يلي:

١- إذا استقر عزم المسافر على السفر لحج أو غزو أو غيرهما، فينبغي أن يبدأ بالتوبة من جميع المعاصي، ويخرج من مظالم الخلق، ويقضي ما أمكنه من ديونهم، ويرد الودائع، ويستحلّ كل من بينه وبينه معاملة في شيء أو مصاحبة، ويكتب وصيته ويشهد عليها، ويوكل من يقضي دينه ما لم يتمكن من قضاء ديونه، ويترك نفقة لأهله ومن تلزمه نفقتهم إلى حين رجوعه. ومن السنة أن يستخير الله تعالى فيصلي ركعتين غير الفريضة ثم يدعو بدعاء الاستخارة، وينبغي إرضاء والديه، ومن يتوجب عليه بره وطاعته[2].

٢- يستحب أن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه وسائر أحبابه وأن يودعوه ويقول كل واحد لصاحبه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسر الخير لك حيثما كنت؛ لأحاديث الباب.

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٦/٤ - ٢٠١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٤ - ٢٥٨.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٤٠-٤١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر على امتثال فعل النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على امتثال فعل النبي ﷺ:

لقد اشتهر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما التتبع الدقيق والامتثال التفصيلي لأفعال النبي ﷺ، وفي هذا الحديث فعل كما يفعل النبي ﷺ مع المسافر، فكان يقول للرجل إذا أراد سفراً "ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا" وقد كان ابن عمر مشهوراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في كل أفعاله. قال الزبير بن بكار: (وكان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته فيه، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ)[1].

(وكان أشد الصحابة رضي الله عنهم في هذه الناحية وأدومهم عليها، وأحرصهم على التحري عن أفعاله ﷺ حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثية نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثر، بل يكاد يكون هذا المعنى هو مفتاح فقه ابن عمر، والسمة الرئيسية لما ينقل عنه من الآراء التشريعية... وقد أحصى ابن عمر الأماكن التي صلّى فيها النبي ﷺ عند سفره لحجة الوداع من مكة إلى المدينة، وحدد مواقعها بأوصاف دقيقة، وقد أورد البخاري حديثه في ذلك بتمامه[2]،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٤، و مسلم ١٢٥٧.

وهو حديث طريف طويل فليرجع إليه)[١].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتتبع سنة رسول الله ﷺ في جميع أفعاله وأقواله رضي الله عنه)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره:

إن المسافر مقدم على الابتعاد عن الأهل والأصحاب والأقارب، لذا كان من المستحب له أن يودعهم قبل سفره، وهذا واضح من الحديثين، جاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب للمسلم إذا أراد الخروج لسفره أن يودع إخوانه وأهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم). قال الشعبي: (السنة إذا خرج الرجل إلى سفر أن يأتي إلى إخوانه فيودعهم ويغتنم دعاءهم، وإذا قدم من سفر أن يأتوا إليه فيسلموا عليه)[٣]. وفي فتح القدير لابن الهمام (يودع المسافر أهله وإخوانه، ويستحلهم ويطلب دعاءهم، ويأتي إليهم لذلك، وهم يأتون إليه إذا قدم)[٤].

قال النووي: (ويستحب [أي للمسافر] أن يودع أهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم)[٥]. ولاشك أن فعل المسافر لذلك يترتب عليه فوائد عدة، ففي ذلك صلة للرحم ونشر للود والمحبة، وإطفاء الخصومات والعداوات، وقيام الأهل والأصدقاء برعاية أهله أثناء سفره، فضلاً عن دعائهم له وقيامهم بواجب النصيحة.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر:

يكون المسافر في شغل وانشغال، فضلاً عما قد يعرض له أثناء السفر من أشياء قد

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر ٧٤/١-٧٥، بتصرف يسير.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٨/٤.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٥٠/١.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٣١٩/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧٠/٤٢.

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٧.

تشعره بالفزع والحزن، لذا فهو أحوج ما يكون إلى الدعاء، ولذا كان النبي ﷺ يدعو للمسافر فيقول له: "أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" قال الطيبي: (قوله ﷺ: "أستودع الله" هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع، لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض أمور الدين، فدعا له النبي ﷺ بالمعونة والتوفيق، ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ والإعطاء والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة. ثم إذا انقلب إلى أهله، يكون مأمون العاقبة عما يسوءه في الدين والدنيا)[1].

قال ابن مفلح: (المراد بالأمانة ههنا: أهله ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله، وجرى ذكر الدين من الودائع، لأن السفر قد يكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين. فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، ذكر ذلك الخطابي وغيره)[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه - عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً، ادنُ مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا: فيقول: "أستودع الله دينك.. إلخ الحديث"، كما أخبر الصحابي عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه عن بعض حال النبي ﷺ فقال: كان رسول الله إذا أراد أن يودع الجيش قال: .... وهذا الإخبار القصد منه بيان حال النبي ﷺ وهديه في توديع الجيوش والسرايا، ونقل ذلك إلى المدعوين حتى يمتثلوا ذلك ويفعلوه ويعملوا به، ومثال الإخبار كذلك قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ((كانَ خُلُقُهُ القرآنُ))[3].

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٧٣/٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٤٩/١. وانظر: معالم السنن للخطابي ٤٠٩/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء لهم:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ))[1].

قال السندي: (قوله: "انطلقوا على اسم الله"، أي ثابتين على بركته أو ذكره أو معه، "إلى كعب بن الأشرف" أي ليقتلوه فإنه كان يهودياً مؤذياً)[2].

ومن هذا القبيل ما فعله أبوبكر رضي الله عنه عند إيفاده جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى الشام تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ فقد نهض بنفسه إلى الجرف، فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشياً وأسامة راكباً، وعبدالرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: والله لست بنازل ولست براكب[3].

ولا شك أن توديع الجيوش والسرايا من قبل ولي الأمر، من أهم الأمور التي تلهب الحماس في قلوب الجنود والمقاتلين، لأن ذلك يشعرهم بمدى خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، كما يشعرهم أنهم ليسوا وحدهم في ميدان القتال، بل معهم شعوبهم وأهلوهم بأرواحهم يدعون لهم بالتوفيق والظفر والنصر، وليس أدل على أهمية التوديع من انتشاره في العصر الحديث، فلا يكاد جيش يرسل إلى مكان بعيد عن وطنه، إلا قام بتوديعه ولاة الأمر أو من يقوم مقامهم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٦/١ رقم ٢٣٩١ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢١/٤.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٢٢١/٤، وانظر خبره كاملاً في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١٨٧/٣-٢٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢٢٥/٣، ٢٢٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٢٤/٩.

الحديث رقم (٧١٦)

٧١٦- وعن عبد الله بن يزيدَ الخطْمِيِّ الصحابيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيشَ، قَالَ: ((أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَواتِيمَ أَعْمَالِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن يزيد: هو عبدالله بن يزيد بن زيد الأنصاري الأوسي الخَطْمي، كنيته أبو موسى، له ولأبيه صحبة، وقد شهد أبوه أحداً وما بعدها، وتوفي في حياة النبي ﷺ قبل فتح مكة.

كان عبدالله من صغار الصحابة، قال عنه الذهبي: الأمير العالم الأكمل. أهـ.

شهد غزوة الحديبية وعمره ١٧ سنة، وكان ممن بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وشهد ما بعدها من غزوات.

وفي عهد الخلفاء شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح فارس، ولما هزم المسلمون أمام الفرس في موقعة يوم الجسر (١٤هـ)، كان هو الذي أخبر عمر بن الخطاب بما وقع للمسلمين.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفين والنهروان.

وفي ٦٥هـ ولاه عبدالله بن الزبير على الكوفة، فاتخذ عامراً الشعبي -أحد كبار التابعين- كاتب سرّه.

أما عن عبادته فكان أكثر الناس صلاةً ولا يصوم تطوعاً إلا يوم عاشوراء.

وقد روى عن جماعة من الصحابة كالبراء بن عازب وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان.

مات قبل سنة ٧٠هـ وله نحو ثمانين عاماً[2].

---

(١) برقم (٢٦٠١).

(٢) الطبقات (١٨/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٣/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٤٨، والسير (١٩٧/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٣/٤) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٥٦/٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٤٦/٤).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينكم: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينكم[١].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الوداع غير أن الموقف النفسي مختلف فهناك وداع مسافر على خطر محتمل، وهنا مقاتل على خطر محقق، وهناك فرد أو جماعة محدودة وهنا جيش متأهب للقتال وقلب الرسول ﷺ وسع الجميع رحمة وحناناً المسافر والحاضر والمقاتل، والقافل، الصغير، منهم والكبير والقوي، والضعيف، ولذلك نجد الدعاء نفسه مع اختلاف الضمير من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع لتسكن النفوس، وتطمئن القلوب، وتزداد توكلاً على الله تعالى، وتكون أقوى في مواجهة عدوها وقد أفرد الدين في قوله (دينكم) لأنه واحد فليس بينهم من هو على غير الإسلام فكلهم على قلب رجل واحد؛ لأن دخول غير المسلمين في جيوش المسلمين خرق لهذه الوحدة، ومخاطرة بكشف سترهم وإضعاف قوتهم. كما أفرد الأمانة (أمانتكم) لأنها واحدة بالنسبة لهم جميعاً لأنها تتمثل في آداء كل ما عليهم من الحقوق والواجبات لله أو للناس وكلهم متساون في ذلك، وجمع الخواتيم (خواتيم الأعمال) لأنها تختلف باختلاف الأشخاص وبحسب أعمالهم والأعمال متنوعة فتنوعت تبعاً لها.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧١٧)

٧١٧- وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إنّي أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: ((زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى)) قَالَ: زِدْنِي قَالَ: ((وَغَفَرَ ذَنْبَكَ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من باب سابقيه نفسه، وهو باب الدعاء للمسافر، وقد اختلف سياق الحديث لاختلاف الواقعة موضع الحديث، واختلاف أحد طرفي الحوار، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يتميز بالحركة، والانفعال، والتواصل حيث بدأ بنداء تنبيهٍ، وتكريمٍ للرسول (يا رسول الله) ؛ لأنه ناداه بلقبه دون اسمه مع إضافته لله، ثم عرض حاجته، ورتب عليها طلبه، وقد سبقها بتوكيد يكشف مدى حاجته (إني أريد سفراً فزودني) طلب الزاد، وهو ما يحتاج إليه المسافر من الطعام، والشراب والمؤن، فنزل الدعاء منزلته، وطلبه من الرسول ﷺ فقال (زودك الله التقوى) وهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، لأن معناهاالدعاء، وإيثاره التعبير بالأسلوب الخبرى عن المعنى الإنشائي، لأن الأسلوب الخبري يوحي بتحقق مضمونه؛ فكأنه دعا وأجيبت دعوته، وهو يخبر عنها، ولا يخفى ما فيه من التفاؤل الذي يهدهد وجدان المسافر المضطرب، وقول السائل (زدني) يحتمل أن يكون أراد حقيقة الزاد من الطعام والشراب، وأجابه الرسول ﷺ على أسلوب الحكيم بما هو أنفع له مما طلب فلما أجيب بغير ما يريد كرر الطلب وقول الرسول ﷺ (غفر لك ذنبك) لما طلب الزيادة زاده من جنس المزيد فعاد، وقال (زدني) وقد قدم بين يدي طلبه جملة ملؤها المحبة، والفداء (بأبي أنت

---

(١) برقم (٣٤٤٤) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن خزيمة (٢٥٣٢).

وأمي) كاعتذار عن الإلحاح في الطلب وحثاً على المزيد، واعترافاً بمضمونها، فدعا له الرسول ﷺ بدعوة جامعة لخير الدنيا والآخرة (ويسر لك الخير حيثما كنت) والظرف (حيثما) مع فعل الكينونة في دعوة النبي ﷺ يجعل التيسير قرينه إلى يوم القيامة بل، وبعدها في عرصاتها حتى الجنة فهنيئاً من فضل الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى والمغفرة وتيسير الخير للإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم:

إن النبي ﷺ هو الهادي البشير، بعثه الله رحمة للعالمين، وقد اتخذه الله خليلاً[1]، ويأتيه الوحي من السماء، وكان للصحابة رضي الله عنهم كالوالد لأولاده، لذا كانوا حريصين جداً على طلب النصيحة منه وأن يدعو لهم، كما هو واضح في هذا الحديث.

ومن هذا القبيل حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْماً فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللّهِ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: «اللّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِراً بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَتَكَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٨٣ عن عبدالله بن مسعود > مرفوعاً: "اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً" وانظر: الشفا للقاضي عياض ١/٢٤٨-٢٤٩.

وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْراً. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذَا ـ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ـ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي، إِلاَّ أَحَبَّنِي))[1].

وإذا كان النبي ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإننا يمكن أن نتمثل فعل الصحابة رضي الله عنهم بحرصهم على أن يدعو لهم النبي ﷺ يمكننا أن نتمثل ذلك بأن نحرص على فعل الخصال والصفات التي دعا النبي ﷺ، بالخير لمن تحلى بها واتصف بها، فتلحق بنا بركة دعائه، فعلى سبيل المثال لو تمثلنا قوله: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[2]. فإننا لو تمثلنا هذا الحديث جيداً، واستحضار حرص الصحابة على أن ينالهم دعاء النبي ﷺ، لو تمثلنا هذا كله، فإننا لا شك سنلتزم بالرفق في كل شؤوننا وأحوالنا حتى نكون أهلاً لأن يصيبنا دعاء النبي ﷺ. وهكذا يكون حالنا مع سنة النبي ﷺ.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى ومغفرة الذنوب وتيسير الخير للإنسان:

لقد دعا النبي ﷺ للرجل بأن يزوده الله بالتقوى، وأن يغفر له الذنوب، وأن ييسر له الخير حيث كان، فدل ذلك على فضل هذه الدعوات. قال الطيبي: (يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه ﷺ بما أجابه على طريقة أسلوب الحكيم أي زادك أن تتقي محارمه وتجتنب معاصيه، ومن ثم لما طلب الزيادة قال "وغفر ذنبك". فإن الزيادة من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا تكون تقوى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩١ وقد جعل القاضي عياض فصلاً في الشفا عنوانه: في إجابة دعائه ﷺ وقال: هذا باب واسع جداً، وإجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة، ثم قال في آخره: وهذا الباب أكبر من أن يحاط. الشفا ٣٢١/١-٣٢٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٨.

يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله "وغفر ذنبك" أي أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة ثم ترقّى منه إلى قوله "ويسر لك الخير" فإن التعريف في "الخير" للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة)[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

قال القاسمي: (ويقال في معنى الآية: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لابد له من سفر في الدنيا ولابد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب، وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولابد منه من زادٍ أيضاً، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة)[٣].

أما مغفرة الذنوب (فإن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة، وقد قال النبي ﷺ ((حولها ندندن))[٤] يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها)[٥].

أما تيسير الخير حيث كان، فعلامة لتوفيق الله للعبد، لأن العبد إن فعل الخير الموصل إلى الجنة فقد فاز وسعد، وكذلك إن تيسر له الخير الدنيوي، مكّنه ذلك من تسخيره في فعل ما يوصله إلى رضا ربه ودخول جنته، فضلاً عن تمتعه في حياته في الدنيا بكل ما يسره ويسعده، دون أن يُغضب ربه.

ثالثًا- من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح:

المدعو يحب أهل الصلاح والفضل، لأن منزلتهم عند الله كبيرة، فالله سبحانه

---

(١) شرح الطيبي ١٧٤/٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٤/٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢).

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٠٤/٢.

وتعالى يحبهم ويقربهم إليه، لذا كان من علامات حب المدعو الخير لنفسه، أن يطلب من أهل الفضل والصلاح أن يدعوا له. كما فعل هذا الصحابي بطلبه الدعاء من النبي ﷺ وعن أنس بن مالك (أَنَّ رجُلاً دخلَ المسجدَ يومَ جُمعةٍ من بابٍ كان نحوَ بابِ دارِ القضاءِ - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يخطبُ - فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائماً ثم قال: يا رسولَ اللهِ هلَكَتِ الأموالُ، وانقطَعَتِ السبلُ، فادعُ اللهُ يُغيثُنا. فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَيهِ ثم قال: اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثنا. قال أنسٌ: ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعةً، وما بَينَنا وبينَ سَلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ. قال فطلَعَتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطَتِ السماءَ انتَشَرتْ، ثم أمطرَتْ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سَبْتًا[1].

ثمَّ دَخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ في الجُمعةِ - يعني الثانية - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يَخطب فاستقبلَهُ قائماً فقال: يا رسولَ اللهِ هَلَكَتِ الأموالُ، وانقطَعتِ السبُلُ، فادعُ اللهَ يُمسِكها عنا. قال فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يديهِ ثم قال: اللّهمَّ حَوالَينا ولا علينا، اللّهمَّ عَلَى الآكامِ والظرابِ وبُطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشجر». قال: فأَقلعَتْ وَخرجْنا نمشي في الشمسِ)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب طلب الدعاء من أهل الفضل، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه)[3]. قال النووي: (اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وهو مجمع عليه، ومن أول ما يستدل به ما روينا في كتابي أبي داود والترمذي[4] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسنا يا أخي من دعائك. فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا، وفي رواية: أشركنا يا أخي في دعائك)[5].

---

(١) أي: قطعة من الزمان، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١٣، ومسلم ٨٩٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٩٨، والترمذي ٣٥٦٢، وابن ماجه ٢٨٩٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٢٢).

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٤٤٧.

وقال ابن تيمية: (فطلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له، كطلبه أن يصلي عليه ويسلم عليه، وأن يسأل الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وهو كطلبه أن يعمل سائر الصالحات، فمقصوده نفع المطلوب منه، والإحسان إليه، وهو ﷺ ينتفع بتعليمهم الخير وأمرهم به، وينتفع أيضاً بالخير الذي يفعلونه من الأعمال الصالحة ومن دعائهم له)[١]. وقال ابن تيمية: (ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه ومن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلى والأدنى)[٢].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤٣/١.

(٢) المرجع السابق ٤٣/١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن ترك الأحبة لبعضهم فيه مشقة على النفس بالغة القسوة، وقد وضحت أحاديث الباب هدي النبي ﷺ في توديع أصحابه رضي الله عنهم قبل السفر، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

وصية كلا الطرفين بالتقوى للآخر، واستدياع كل منهما الآخر أمانة عند ربه، ودعاء كل منهما للآخر بالخير مع اتباع السنة في هذا، ودعاء المسافر في طاعة من الأدعية المستجابة، ولهذا طلب الرسول ﷺ الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن الأساليب التربوية ندرك:

أولاً- التربية بالموعظة:

من أساليب التربية النافعة التربية بالموعظة حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي من خلال الموعظة، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا الأسلوب حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه: «قام رَسُول اللّهِ ﷺ فينا خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس ...».

والتربية بالموعظة تؤثر في نفس المتربي، وتدفعه إلى الاستجابة والامتثال.

"والوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل، ومن أشكال الوعظ النصح، وهو بيان الحق والمصلحة بقصد أن نُجنِّب المنصوح الضرر وندُلَّه على ما يحقق سعادته وفائدته، ودليل النصح الصادق ألا يتوخى الناصح مصلحة شخصية دنيوية مادية لنفسه، ولذلك وجب على المربي الناصح أن يتنزه أثناء أداء واجبه التربوي عن كل رياء وعن كل ما يوحي للآخرين بأن له في فعله مصلحة خاصة، لئلا يَشُوبَ إخلاصه وسمعته، فيفقد هيبته التربوية وتأثيره في نفوس طلابه"[١].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٢٦.

ولقد بيّن النبي ﷺ أنه لا يريد من خلال موعظته منفعة أو مكسبًا، فمما جاء في حديث الباب: «... ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ...».

"وطريقة التربية بالموعظة طريقة قديمة قِدَمَ الإنسان نفسه، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضًا مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم. والنفس الإنسانية على استعداد تام للتأثر بما يلقى إليها من كلمات والنفوس الصافية، والقلوب المتفتحة، والعقول الواعية المتدبرة إذا تراءى لها الحق مناسبًا بالكلمة المؤثرة والموعظة البليغة والنصيحة الرشيدة، فإنها سرعان ما تستجيب من غير تردد، وتتأثر من غير توقف بل سرعان ما تخضع للحق، وتتقبل هدي الله الذي أنزله"[١].

ثانيًا- التربية بالتواصي:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتواصي حيث يقوم كل مسلم بمهمة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأخيه المسلم، وهذا الباب الذي أورده الإمام النووي -باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره- أورد تحته جملة من الأحاديث تشير إلى أهمية التواصي والتناصح، ومن ذلك حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «... وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ...» ومن ذلك أيضًا حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «... فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا ...» وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله إني أريد سفرًا فزوِّدني، فقال: زودك الله التقوى، قال: زدني ...».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى التواصي والتناصح بين الجماعة المؤمنة "والقرآن الكريم يوصي ويفرض ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد-ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي من أساليب التربية الإسلامية التي بدت من خلال أحاديث المربي الرسول ﷺ وفي طريقة التواصي دعوة لكل مسلم إلى أن يكون مربيًا، يذكر بالخير والحق ويدعوا إليهما وينبه إلى الشر والضرر وينهي عنهما، وذلك من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية في نفس المسلم، وهذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي حث عليها القرآن الكريم، والتي يتحقق بها الهدف من التربية لأنها تقوم بصيانة الحياة من الشر والفساد، وفي هذه الطريقة تتحقق مبادئ التربية"[2].

ثالثًا- التربية على أهمية الدعاء:

إن من الموضوعات التي تعتني بها التربية الإسلامية التربية على أهمية الدعاء، وذلك لما في الدعاء للغير وطلبه للنفس من آثار تربوية حميدة في نفوس المتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسانا يا أخي من دعائك ...، وفي رواية: «أشركنا يا أخي في دعائك»، وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، قالَ: زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى. قالَ زِدْنِي. قالَ وَغَفَر ذَنْبَكَ. قالَ زِدْنِي. قالَ ويَسَّر لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ» ففي هذين الحديثين طلب النبي ﷺ الدعاء من غيره، ودعا لغيره.

"وتشريع الدعاء في الإسلام ليوثق صلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، وعلاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية، ومن هنا فإن الدعاء الذي يمكن أن يتم في سائر الأوقات خلافًا للعبادات الأخرى المحدودة بأوقات مخصوصة أو التي تحتاج إلى جهد بدني أو مالي، فالدعاء أيسر العبادات التي إذا اعتاد عليها الإنسان كفلت حياةَ قلبه وأيقظت روحه وأثمرت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، د. علي خليل أبو العينين، ضمن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ص١/١٤٠، ١٤١.

صلاح سلوكه مع الله تعالى ومع الناس. والدعاء طلب الإنسان من الله تعالى العناية والعون وإظهاره والافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وتعظيم الخالق والثناء عليه. والله تعالى قريب من عباده يسمع دعاءهم، ويستجيب لمن أطاعه منهم بالتزام شريعته واجتناب معصيته"[١].

إن الدعاء هو الصلة التي تربط المسلم بالله، "والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد ويتضرع إليه في كشف السوء عنه فهو ضعيف أمام أحداث الحياة لا يجد سَنَدًا لضعفه غير الدعاء، والدعاء الذي يطلبه الإسلام هو أن يكون في السراء كما يكون في الضراء، لأن ذلك أدعى للإنسان أن يكون على الدوام متذكرًا ربه مستجيبًا لأوامره محققًا معنى العبودية له، فإن الإنسان بطبيعته يلجأ إلى ربه عند الشدة، ولكن ما أن يكشف الله عنه ما به من ضر حتى ينسى الله ويغتر بقوته، فيؤدي به إلى الإعراض عن أوامر الله والإفساد في الأرض. وقد شرع الإسلام الدعاء للسمو الروحي والترفع عن شهوات الجسد الضارة والعروج به في معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله وتيسير أموره وكشف الضر عنه"[٢].

خامسًا- التربية بالممارسة العملية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، حيث يلمس المتربي التطبيق الفعلي، والممارسة العملية للقيم والموضوعات التربوية التي يراد غرسها، ومما جاء في أحاديث الباب، يدلل على هذا الأسلوب حديث سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «أنَّ عبدالله ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أَنْ ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله يُوَدِّعُنَا فَيَقُولُ: أَسْتَوْدِعَ الله دِينَكَ وأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». وكذلك أيضًا حديث عبدالله بن يزيد الخَطْمي الصحابي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يودِّع الجيش قال: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وأمانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أعمالِكُمْ».

فمن هذين الحديثين يتبين لنا أسلوب الممارسة والتطبيق العملي من النبي ﷺ.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦، ٩٧.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩، ٢٠٠.

"إن التناول النظري وحده ليس كافيًا في دفع الشباب للدعوة بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرص المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي المتعلق بالتذكير بالدعوة وفضائلها، وتبدو أهمية التدريب العملي في أن ممارسة العمل تزيد الإنسان شوقًا له وإلفًا واعتيادًا، وهي تزيل الرهبة والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، وتنمي لدى الشباب مهارات وقدرات الدعوة كطلاقة الحديث والحوار والإقناع والتأثير، وتعود على التعامل المتزن الهادئ مع ردود أفعال المدعوين"[1].

وما من شك في أن التربية من خلال الممارسة العملية أوقع في النفس، وأدعى للاستجابة.

"إن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرّسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية والتعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أرسخ في النفس، وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة، ولقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة بالممارسة العملية ليكون ذلك أعمق أثرًا في نفوسهم"[2].



(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢١٢، ٢١٣.

٩٧- باب الاستخارة والمشاورة

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨] أيْ: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

الحديث رقم (٧١٨)

٧١٨- عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ[1] مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: ((إِذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ ليقل: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْألُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أعْلَمُ، وَأنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ خَيْرٌ لي فِي دِيني وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لي فِي دِيني وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي بِهِ)) قَالَ: ((وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عاقبة أمري: آخر أمري وخاتمته[3].

(١) لفظ البخاري: (كما يعلمنا السورة).

(٢) برقم (١١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ق ب).

الشرح الأدبي

دعاء الاستخارة له خصوصية في التركيب ترجع إلى طبيعته، والغرض منه فموضعه بعد صلاة أي: صلة بالله، والقلوب متعلقة به، ثم إنه بدأ بلفظ له خصوصية في النداء لأنه مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء؛ لأنه مجمع الأسماء الحسنى، وهو (اللّهم) (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم كزيادتها في زرقم قال ابن فارس: (الزرقم: أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق؛ فإن الميم فيه زائدة[1] والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع فقالوا للواحد: (أنت فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وكذلك هو، وهم)، وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم ونظائره نحو: به، وبهم، ويقولون للشيء الأزرق: أزرق فإذا اشتدت زرقته واستحكمت، قالوا: زرقم..وتأمل الألفاظ المعقود فيها الميم كيف تجد الجمع معقودا بها مثل (ألم الشيء يلمه، إذا جمعه، ومنه (ألم الله شعثه) ..وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله -سبحانه- به في كل حاجة - وكل حال إيذانا بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: (اللهم إني اسألك) كأنه قال: (ادعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعى مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه) [2].

ثم إن الاستخارة تضمنت أمرين مهمين، وهما طلب الأكثر خيراً في قوله

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٥٣.

(٢) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري صـ ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري / رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

(أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ) وطلب العون عليه في قوله: (وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ) كما تضمنت طلب الفضل أي المزيد (وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ) كما تضمنت التفويض في قوله: (فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) واشتمال الاستخارة على تلك الأمور وغيرها يجعلها أقرب إلى الإجابة وأوفى بحاجة المستخير كما أنه يتحرك بها في معية الله حتى يقضي ما هو فيه ؛لذلك حرص الرسول ﷺ على تعليمها لأصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن - كما أخبر الصحابي -.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم صلاة الاستخارة: يستحب لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الصواب فيه، أن يصلي ركعتين - أي ركعتين - من غير الفريضة، ولو من السنن الرواتب، ثم يدعو بعدهما بالدعاء الوارد في هذا الحديث[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها.

ثالثًا: من آداب المدعو: ردّ الأمور كلها لله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن من وسائل الدعوة في هذا الحديث التعليم. يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها".

والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن العلم الشرعي هو أفضل العلوم، وهو

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٤٤/٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٥٠/٣، وإعانة الطالبين ٢٩٧/١، ومنتهى الإرادات ٧٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١١/١.

الجدير بالطلب والحرص على تحصيله، لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى، وبه يعبد، وبهذا العلم يعرف ما أحل الله وما حرم، وما يرضيه وما يسخطه، وبهذا العلم يعرف المصير إليه والنهاية من هذه الحياة، وأن قسمًا من هؤلاء المكلفين، ينتهون إلى الجنة والسعادة، وأن الآخرين وهم الأكثرون ينتهون إلى دار الهوان والشقاء[١].

قال رسول الله ﷺ ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين...".

قال العيني: ("يعلمنا الاستخارة" أي: صلاة الاستخارة ودعاءها وهي طلب الخيرة... وهو في لسان العرب على معان، منها سؤال الفعل والتقدير اطلب منكم الخير فيما هممت به، والخير هو كل معنى زاد نفعه على ضره، قوله "في الأمور كلها" دليل على العموم، وأن المرء يجب عليه ألا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به، فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره، فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه، ولذلك قال ﷺ: "ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأل شسع نعله"[٣] قوله "كما يعلمنا السورة من القرآن" دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغب فيه، وفيه استحباب صلاة الاستخارة والدعاء المأثور بعدها، في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها أما ما هو معروف خيره، كالعبادات وصنائع المعروف لا حاجة للاستخارة فيها، نعم قد يستخار في الإتيان بالعبادة في وقت مخصوص، كالحج مثلاً في هذه السنة لاحتمال عدو أو فتنة أو حصر عن الحج، وكذلك يحسن أن يستخار في النهي عن المنكر، كشخص متمرد عاتٍ يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص)[٤].

---

(١) حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله سليمان الطيار ص ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٣٥).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧/٢٢٣، ٢٢٤.

والاستخارة من الأمور التي سنها رسول الله ﷺ لأمته حتى يريحهم من الحيرة ويطلبوا تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك، في الأمور التي يريدون الإقدام عليها، مباحة كانت أو عبادة، فيستخيروا، فيظهر ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير[١]؛ وهو نوع من الاستعانة بالصلاة الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

فقد كان ﷺ إذا حَزَبَه أمر، فزع إلى الصلاة، ليجد فيها الاطمئنان والراحة؛ لانها علاقة مع الله وحده، ينقطعُ المرء فيها عن المنغِّصات والمكدِّرات.

وشُرع لنا عند الاستخارة الصلاة وبعدها الدعاء، الذي هو توحيد وافتقار، عبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبيده رحمةً لم يستطع أحد حبسها عنهم، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليهم.

قال ابن تيمية: (ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٣][٤].

والنبي ﷺ حين يُعلم أصحابه هذه الصلاة، وهذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن ما كان ذلك إلا بعلمه بحاجتهم لمثل هذا الدعاء، فكما أن القرآن يحتاج إلى مدارسة ومتابعة ومجاهدة، فكذلك هذا الأمر، أو كما أن القرآن لا يستغني عنه المؤمن، فكذلك دعاء الاستخارة يحتاجه المرء في أموره كلها.

إن مما يجب أن يُعلم هو أن صاحب الشرع قد اختار لنا ألفاظًا منتقاةً، جامعة لخيري الدنيا والآخرة حتى إن الراوي قال في صفتها والحض عليها والتمسك بألفاظها:

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) الكلم الطيب ١/٥٧.

(كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن)، ومعلوم أن القرآن لا يجوز أن يُغيّر فيه أو يُزاد فيه أو يُنقص منه.

وإذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر، فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرحت نفسه له، أو لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح له نفسه، وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس[1].

واشترط ابن عثيمين وغيره من العلماء: انشراح الصدر فقال: (وينتهي بعد ذلك - صلاة الاستخارة- إن انشراح صدره بأحد الأمرين، بالإقدام أو الإحجام، فهنا المطلوب، يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره، وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة)[2].

وقال عفيف طبارة: (وينبغي أن يفعل المصلي بعد الاستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغي أن يعتمد على إنشراح كان فيه رغبة قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة)[3].

ثالثًا- من آداب المدعو: رد الأمور كلها لله تعالى:

إن من آداب المدعو التي تستنبط من هذا الحديث: رد الأمور كلها لله. يظهر هذا في تعليم النبي ﷺ أمته الاستخارة حتى يفوضوا أمرهم لله تعالى، فهو العالم بكل شيء ما يريده يكون وما لم يرده لا يكون، قال ابن حجر: (والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله تعالى والتبري من الحول والقوة إليه، وأن يسأل ربه في أموره كلها)[4].

وقال العيني: (وفيه... وأن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور ولا جليلها حتى يسأل الله فيه، ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر إذعانًا بالافتقار إليه في كل

---

(١) انظر: حديث النفس، عبدالإله بن سليمان الطيار ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٣٩/٢ - ١٠٤٠.

(٣) روح الصلاة في الإسلام ٢٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩١/١١.

أمره، والتزامًا لذاته بالعبودية له، تبركًا لاتباع سنة سيد المرسلين في الاستخارة، وربما قدر ما هو خير، ويراه شرًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[1])[2].

فمن آداب المدعو أن يسلم لأمر ربه ويلجأ إليه سبحانه. للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء أنجع لذلك من الصلاة والدعاء، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه قالا وحالا[3].

قال ابن القيم: (ماذا يملك من أمره مَنْ ناصيته بيد الله، ونفسه بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء، وحياته بيده، وسعادته بيده، وشقاوته بيده، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته. فلا يتحرك إلا بإذنه، ولا يفعل إلا بمشيئته. إن وكله إلى نفسه وكله إلى عجز وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة. وإن وكله إلى غيره وكله إلى مَن لا يملك له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وإن تخلى عنه استولى عليه عدوّه وجعله أسيرًا له. فهو لا غنى له عنه طرفة عين، بل مضطر إليه على مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته، باطنًا وظاهرًا، فاقته تامة إليه)[4].

لذا فالمؤمن ينبغي أن يفوض أمره كله لله، لأنه موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفات فيرى آثار بره تعالى ورحمته، فيناجي ربه ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[5] فالخير بيديه، والشر ليس إليه، وما يظنه شرًا في الحقيقة، وإذا كان لابد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٥/٧.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٢/٣.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

من تسميته شرًا؛ فإنما هو شر جزئي خاص، مغمور في جانب الخير الكلي العام)[١].

فالمؤمن يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوع الأمر، والرضا بعد وقوعه، والسعيد من جمع بينهما، وذلك هو المؤمن، والشقي من حرمهما[٢].

رابعًا- واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم:

ينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم المدعوين، ودلالتهم على ما ينفعهم. يستنبط هذا من عموم الحديث، فقال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم[٣]. وهذا كان نهجه مع أمته ﷺ وقال في ذلك: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا . فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))[٤].

فيجب على الداعية التأسي بالنبي ﷺ في الشفقة على أمته وحرصه على تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

قال رسول الله ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٥].

ونصيحة المدعوين تكون: بإرادة الخير لهم، وبيان الحق لهم، ودلالتهم عليه، وعدم غشهم ومجاملتهم في دين الله، ويدخل فيه أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولو خالف هواهم وطريقتهم. وأما مسايرتهم في طريقتهم، ومجاملتهم في الدين باسم الأخوة، وحتى لا ينفضوا أو ينفروا، فهذا ليس من النصح الذي أمر به نبينا عليه الصلاة

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٣٥.

(٣) المرجع السابق ١١/١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

(٥) أخرجه مسلم ٥٥.

والسلام. نعم الحكمة مطلوبة عند عرض النصيحة عليهم، ولكن الحق لابد أن يبين ويعلم لجميع المدعوين[1].

(١) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية التي تبين هدي النبي ﷺ وتوجيهاته التربوية في الاستخارة والمشورة، من هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية بالتعليم:

من أهم أساليب التربية الإسلامية: التربية بالتعليم، ويتضح هذا من حديث الباب من قول جابر رضي الله عنه: «كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّهَا كَالسُّورةَ من القرآن، ...»، والتربية بالتعليم من أساليب التربية المهمة، "فلا حصول على العلم دون تعلم، فالتعلم أساس في الحصول على العلم، ولا حياة كريمة للإنسان دون علم، ولا قيمة للعلم ما لم ينشر في الناس عن طريق التعليم فهذه الثلاثية: تعلم وعلم وتعليم متماسكة متكاملة لا يمكن أن يستغنى عن أي شيء منها، ولا يمكن لأحدها أن يغني عن الآخر، وليس أجدى على العقل من أن يعمل في مجال العلم والبحث ليتوصل من وراء ذلك إلى الكشف والابتكار، وتهيئة الأسباب للحصول على سعادة الدنيا والآخرة وللتعلم والعلم والتعليم أهمية قصوى في الإسلام، فإذا قلنا: إن الإسلام دين العلم ما جاوزنا الصواب في شيء ولو قلنا: إن العلماء أرفع قدرًا في المجتمع من غيرهم ما عدونا الصواب"(١).

إنه من خلال التعليم يتم غرس القيم والمبادئ التربوية، ويمكن توجيه المتربين إلى الطاعة والامتثال، وخاصة عندما يُعتنى بالتعليم من الصغر.

"والمقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافة العلمية والعصرية والتوعية الفكرية الحضارية حتى ينضج الولد فكريًا ويتكون علميًا وثقافيًا، ولاشك أن مسئولية الواجب التعليمي بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام، لأن الإسلام حَمَّلَ الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من مَعِينِ الثقافة والعلم وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب،

---

(١) التربية العقلية، د. علي عبدالحليم محمود، ص٢١٠.

والمعرفة المجردة، والمحاكمة المتّزنة، والإدراك الناضج الصحيح، وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ، وتتضج العقول، وتظهر العبقرية، ومن المعلوم تاريخيًا أن أول آيات نزلت على قلب الرسول الأعظم ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه[2].

ثانيًا- التربية على الاستخارة والمشاورة:

إن من الجوانب المهمة في التربية الإسلامية التربية الإيمانية والتي تتمثل في التربية على الاستخارة والمشاورة لما في ذلك من الثقة واليقين في الله عز وجل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمورِ كلِّها كالسورة مِنَ القرآنِ، يقول: إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركَعْ ركعتَيْنِ من غيرِ الفريضةِ ثم ليقلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلْمِكَ، وأستَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، ...».

وهذا الحديث يبين استحباب الاستخارة في الأمور كلها، والإيمان والتسليم بقدر الله تعالى والرضا به.

والإيمان بالقدر من لوازم الإيمان بالله، فالله هو الذي قدر كل الأحداث الكونية، وإيمان الإنسان بقضاء الله يتحقق من علمه بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن كل ما يحدث له إنما هو من قدر الله تعالى، وان في الرضا بالقدر وحسن ظن العبد بالله وثقته في رحمته مفاتيح السعادة، في الدنيا والآخرة، ومن الآثار التربوية للإيمان بالقدر العزم والقضاء على التردد فالمرء في حياته يقدم على تحقيق أعمال معينة فالمؤمن إذا ناقش الأمور ورجح بينها واستشار غيره، واستخار ربه يمضي فيما عزم عليه دون تردد، أو

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٢٥٠، ٢٥١.

خوف فهو يدرك يقينًا بأن جميع الأحداث الواقعة تكون بقدر الله، فإذا يسر الله له ما عزم عليه فهو الخير المقدر له، وإن لم ييسر له ذلك فهذا ليصرف الله عنه شرًا كان محتملاً، ومن الآثار أيضًا أن المؤمن لا يتحسر على شيء مضى فهو يدرك أن ذلك قدر الله، وان الندم لن يعيد له ما فات ولا اعتراض على ما حدث أو ما قدره الله، فإذا ترى المؤمن على ذلك أصبح جريئًا أمام كل شيء، ويتخلص قلبه من القلق الناتج عن الحزن على ما فقد"[١].

وفي الاستخارة دعاء ولجوء إلى الله تعالى، "فالدعاء ثمرة المعرفة والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها. وفي الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به، ومن ثَمَّ كانت حياة الرسول ﷺ دعاء دائمًا يدعو مع كل عمل، وكل حركة بالليل أو النهار، وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها، ويعلمها لأصحابه"[٢].

وإذا كانت الاستخارة مطلوبة من المسلم فإن المشاورة مستحبة كذلك قال الماوردي: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفَّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٣]. قال قتادة: أمره بمشاورتهم تألفًا لهم، وتطبيقًا لأنفسهم، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: الرجال ثلاثة: رجل تَرِد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رُشْدًا، ولا يطيع مرشدًا. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص٧٥، ٧٦.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رأي، ولا يفقد معهما حزم، وقال سيف بن ذي يزن: من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبدّ برأيه كان من الصواب بعيدًا[١].



(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٨٩.

٩٨- باب استحباب الذهاب إِلَى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

الحديث رقم (٧١٩)

٧١٩- عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا كَانَ يومُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاريُّ[1].

قوله: "خَالَفَ الطَّرِيقَ" يعني: ذهب في طريق ورجع في طريق آخر.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي من هديه في صلاة العيد، وقد صاغ معناها الصحابي في أسلوب الشرط، وقد استخدم أداة الشرط إذا للدلالة على تحقق الوقوع فهو أمر معتاد سار عليه، ولزمه في حياته وصار سنة من بعده لأصحابه، وهذه السنة التي يغفل عنها كثير من الناس تجعل العالم الإسلامي بكل بقاعه في عيد، لأن كل شخص يذهب من طريق، ويعود من طريق، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن تحتفل الأرض كلها مع المؤمنين في تجاوب وانسجام بين المسلمين، وبين الكون المسبح، ثم إن مخالفة الطريق تعطي فرصة أكبر للقاء مزيد من المؤمنين يهنىء بعضهم بعضاً.

---

(١) برقم (٩٨٦).

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[١] إلى:

حكم مخالفة الطريق في العبادات والعادات: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يستحب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق، والرجوع من طريق آخر، يستوي في ذلك الإمام والمأموم[٢]، وقال المرداوي: (يخرج لنا فعل ذلك على استحباب ذلك في الجمعة، وهو الصحيح من المذهب، وقيل: لا يستحب)[٣].

أما عن دخول مكة فقال النووي: (ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون كاليمني. فيستحب لليمني وغيره أن يستدير ويدخل مكة من الثنية العليا. وقال بعض أصحابنا إنما فعلها النبي ﷺ، لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمني. وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق، ويرجع من أخرى لهذا الحديث)[٤].

---

(١) حديث رقم (٧١٩)، (٧٢٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٧٢-٤٧٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٣١٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٤٩، وانظر كذلك: مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢/٥٩، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٨٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٢٨٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٥/٣٣٢-٣٣٣ المطبوع المقنع والشرح الكبير.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٩/٤-٥ . وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك من قول جابر رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق"، حيث أخبر عن ذهاب النبي ﷺ إلى صلاة العيد من طريق وعودته من طريق غيره.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفاد منها في العديد من الأمور، والتي من جملتها بيان الحقائق والحكم والعظات. وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث بيان هدي النبي ﷺ في الذهاب إلى صلاة العيد والعودة منها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر جابر رضي الله عنه عن ذهاب النبي ﷺ من طريق وعودته من طريق.

وقد كان هدي النبي ﷺ في العيدين، يلبس أجمل ثيابه للخروج إليهما، فكان له حُلّة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بُردين أخضرين، ومرة بُردًا أحمر، وليس هو أحمر مُصمتًا كما يظنه بعض الناس، وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية.

وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات، ويأكلهن وترًا، وأما في عيد الأضحى، فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته، وكان يغتسل للعيدين، ويذهب إلى العيد ماشيًا، والعنزة تحمل في يديه، ثم يصلي بالناس، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الأضحى.

وإذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة[١] ثم يخطب الناس ويوعظهم ويذكرهم، ثم يعود من طريق غير التي ذهب منها[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة:

يظهر ذلك في قول جابر ﷺ: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق" قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل: لينال بركته الفريقان، وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق وقيل: لتكثر شهادة البقاع، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطوتيه ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة حتى يرجع إلى منزله، وقيل ليزور أقرباءه الأحياء والأموات، وقيل ليصل رحمه وقيل وهو الأصح: إنه كان ذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعله عنها[٣].

وكل ذلك يدل على حرص النبي ﷺ على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية وكل مسلم.

وإن الأصل في تشريع صلاة العيدين أن لكل أمة أعيادًا في السنة، يتجملون فيها ويخرجون فيها بزينتهم، وتلك عادة لا تخلو منها أمة من الأمم. وقد قَدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ويمرحون فقال الرسول ﷺ: ((أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى))[٤].

وإنما أبدلهما الرسول ﷺ لأنه ما من عيد في الناس، إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين أو شيء يضاهي ذلك، فخشي النبي ﷺ إن تركهم مع عاداتهم أن يكون هناك تنويه بشعائر الأسلاف الذين كانوا على ضلال، فأبدل بهما الرسول يومين، فيهما تنويه بشعائر الإسلام، وقرن مع هذا التنويه، التجمل والمرح البريء، وصنوفًا من العبادة والطاعة لئلا يكون اجتماع المسلمين في أعيادهم اجتماع لهو ولغو وعربدة، ولئلا يخلو اجتماع كهذا من الغاية الأساسية التي أرادها لهم، وهي إعلاء كلمة الله، وتوثيق

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، والبخاري الأحاديث ٩٤٨-٩٨٩، الأحاديث ٨٨٤-٨٩٣.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٤١/١-٤٤٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٤٩/١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٨/٢.

(٤) أخرجه النسائي ١٥٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٤٦٥).

الألفة بينهم.

عيد الفطر: فأحد هذه العيدين هو عيد الفطر، ويكون بعد الانتهاء من تمضية شهر في الصيام والعبادة، فيجتمع فيه الفرح الطبيعي من المؤمنين بانتهائهم مما يشق عليهم من الصيام، مع الابتهاج بما أدّوه من طاعة، وبما وفقهم الله على أدائه من فرائض تستهدف خيرهم.

كما أن عيد الفطر سبيل إلى تآخي المسلمين وتوادهم، فقرائهم وأغنيائهم، فقد أوجب الإسلام فيه صدقة الفطر على الموسرين، لتصرف على الفقراء قبل صلاة العيد.

عيد الأضحى: والعيد الثاني هو يوم النحر، أو بعبارة أخرى عيد الأضحى، وهو ذكرى اليوم الذي ابتلى الله فيه صفيّه ونبيه إبراهيم، وأمره بذبح ولده إسماعيل، فاستجاب لنداء ربه، واستجاب إسماعيل للتضحية بنفسه تنفيذًا لحكم ربه، ولكن ربهما بعد أن رأى مبلغ إخلاصهما فَدَى إسماعيل بذبح كبش. ففي هذا اليوم يتذكر المؤمنون عظمة الفداء والتضحية، ويكون لهم من هذه الذكرى المجيدة نبراس وضياء يسترشدون بهما كل عام لبذل المهج والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله.

كما أن عيد الأضحى مصدر فرح وغبطة للمسلمين، لأنه يأتي عقب أداء فريضة الحج، فهو فرحة للمسلمين بانتهاء هذه الفريضة العظيمة التي توحد بين المسلمين، وتوثق عراهم في جميع أقطار العالم، لأن الحج هو المؤتمر العالمي لجميع المسلمين، يجتمعون فيه ليشهدوا منافع لهم ويتعارفوا ويخططوا ما فيه خيرهم، ويذكروا الله على ما رزقهم من نعمه التي لا تحصى.

هذه هي الذكرى التي يوحيها هذان العيدان، وما أروعها وأبلغها من ذكرى[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما "إن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى".

قال النووي: (قيل فعل النبي ﷺ هذه المخالفة في طريقه داخلاً وخارجًا، تفاؤلاً بتغير الحال إلى أكمل منه، كما فعل في العيد، وليشهد له الطريقان، وليتبرك

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٩٣-١٩٥.

أهلهما، ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون وقال بعض أصحابنا: إنما فعلها النبي ﷺ لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمنى وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من آخر لهذا الحديث[١].

وفضل الذهاب من طريق في الحج والعودة من آخر إنما هو لإظهار شعيرة الحج للناس، وإظهار عزة المسلمين وقوتهم للأعداء.

ولكن هل هذا الأمر كان النبي ﷺ يفعله على سبيل (التعبد) أم أنه كان صدفة غير مقصود، أو هو ما تيسر له؟

قال ابن عثيمين: (أما في الحج: فإن الرسول ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة، دخل مكة من أعلاها، وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عرفة، ذهب من طريق ورجع من آخر.

واختلف العلماء في هذه المسألة: هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؟ لأنه كان الأسهل لدخوله أن يدخل من الأعلى، ولخروجه أن يخرج من الأسفل.

فمن العلماء من قال بالأول، قال: إنه سنة أن تدخل من أعلاها - أي أعلى مكة - وتخرج من أسفلها، وسنه أن تأتي عرفة من طريق وترجع من طريق آخر.

ومنهم من قال: إن هذا حسب تيسر الطريق، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل، وعلى كل حال إن تيسر لك أن تدخل من أعلاها وتخرج من أسفلها فهذا طيب، فإن كان ذلك عبادة فقد أدركته، وإن لم يكن عبادة لم يكن عليك ضرر فيه، وإن لم يتيسر كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطريق قد وجهت توجيهًا واحدًا، ولا يمكن للإنسان أن يخالف، فالأمر - والحمد لله- واسع)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٤٢/٢.

الحديث رقم (٧٢٠)

٧٢٠- وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيق الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِن الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

طريق الشجرة: موضع معروف على طريق من أراد الذهاب إلى مكة من المدينة وكان النبي ﷺ يخرج منه إلى ذي الحليفة، وهو يبعد ستة أميال من المدينة[2].

طريق المعرس: مكان معروف على طريق مكة المكرمة عند الحليفة[3].

الثنية العليا: الثنية: كل عقبة في جبل أو طريق عالٍ فيه، والثنية العليا في مكة المكرمة هي المعلى مقبرة أهل مكة وهي التي يقال لها الحجون[4].

الثنية السفلى: هي كل ما انحدر من المسجد الحرام، وهي في مكة المكرمة عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في معناه، وهو مخالفة الرسول ﷺ لطريقه المعتاد في يوم العيد، وقد وصف الراوي طريقه بأسلوب الطباق بين الأفعال (يدخل) و (يخرج) والفعل المضارع يستحضر الصورة التي تبعث البهجة في النفوس إشراقاً بنعمة الله على عباده في

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٥٧/٢٢٣) واللفظ له.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٣.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٣، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٠٤.

يوم فرحتهم، وأيضا الطباق بين العليا ، والسفلى الذي يؤكد معنى المخالفة بين طريق الذهاب، وطريق الرجوع التي تنشر السرور ، وتعمم مظاهر البهجة ، وتقررها.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٠) مع المضامين الدعوية للحديث (٧١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إشاعة البهجة ونشر الخير من أهداف الإسلام، وكان ذلك في صدر الإسلام عن طريق: تعدد طرق السير، الأمر بمغايرة الطرق في الذهاب والعودة، في العيدين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية المهمة: التربية بالقدوة، والقدوة لها أثر كبير في إقناع المتربي، وفي بيان التطبيق العملي للفعل المأمور به، وفي حديثي الباب جاء ما يدلل على أسلوب القدوة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى»، ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتطبيق الفعلي للمخالفة في الطريق حتى يكون قدوة لغيره في فعل هذا الأمر.

"وتعد القدوة من أنجح أساليب التربية ومن أوقعها تأثيرًا، وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية ومع فطرة الإنسان، ومع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها، وللقدوة تأثيرها الإيجابي أو السلبي تبعًا في ذلك لاختلاف نوعية القدوة "حسنة كانت أم سيئة"، حيث لا يقتصر التقليد على حسنات السلوك بل قد يتعداها إلى غيرها، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك من يمثل القدوة، وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة باعتبارها أسلوبًا تربويًا مهمًا في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة تحقق الخير لهم ولغيرهم"(١).

إن القدوة الحسنة هي الصورة الحية للفكرة والتطبيق العملي للدعوة والتوضيح الجلي للحجة: "إنه في كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٤، ١٧٥.

أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي"[١].

ثانيًا- التربية على تكثير مواطن العبادة:

إن من الأهداف التعبدية التي تهدف إليها التربية الإسلامية التربية على تكثير مواطن العبادة، وذلك لنيل الأجر والثواب الجزيل من الله تعالى، حيث إن هذه المواطن تشهد للعبد يوم القيامة، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك حيث قول جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى».

والمخالفة في الطريق يترتب عليها التكثير لمواضع العبادة التي هي أحوج ما يكون العبد إليها، وفي مخالفة الطريق عند أداء العبادات يقابل المسلم أكبر عدد ممكن من إخوانه يسلم عليهم ويصافحهم ويطمئن على أحوالهم.

"ويستحب لمن جاء إلى المصلي في صلاة العيد من طريق أن يرجع من أخرى، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا خرج إلى العيدين، رجع في غير الطريق الذي خرج فيه»[٢]. قيل كان يفعل ليعمهم السرور بمرآه والتبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعليم، وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام، ويستحب للمسلم في العيد أن يظهر البشاشة والفرح في وجه من يلقاه من المؤمنين"[٣].

وما من شك في أن مخالفة الطريق تقوي الروابط الاجتماعية. فالإسلام حبب في صلاة الجماعة، وأوجب صلاة الجمعة كل أسبوع، واجتماع أهل الحي في اليوم خمس

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص٣٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٣٨، ٨٤٥٤، وقال الأرنؤوط حسن لغيره، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٤/١٦٦.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩.

مرات مع اجتماعهم يوم الجمعة اجتماعًا أوسع مدى -يقوي الروابط الاجتماعية، ويشد أواصر الصلات بين الجماعة، ويشعر كل واحد بأنه أخ لكل من في المسجد، وأنه مساوٍ له، فتنمو روح المساواة الحقيقية لا فرق بين غني وفقير، ولا بين عظيم وحقير، فكلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال المحبة والأخوة في الله، وبهذه الممارسة العملية تنتفي فوارق اللون، وفوارق الثراء، وفوارق الدم فيشعر الفرد شعورًا حقيقيًا بأنه للجماعة، وتشعر الجماعة بأنها الفرد"[١].



(١) إسلامنا، سيد سابق، ص١١٨.

٩٩- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوء وَالغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ، وَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخولِ المَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتقليم الأظْفار، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبْطِ، وَحلقِ الرَّأسِ، وَالسّلامِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَالأكْلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحَةِ، وَاسْتِلاَمِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، والخروجِ منَ الخلاءِ، والأخذ والعطاء وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي معناه. ويُسْتَحَبُّ تَقديمُ اليسارِ فِي ضدِ ذَلِكَ، كالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عن اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروج من المَسْجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوب، والاسْتِنْجَاء وفِعلِ المُسْتَقْذَرَاتِ وأشْبَاه ذَلِكَ.

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة، الآيات: ١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨-٩].

الحديث رقم (٧٢١)

٧٢١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ اللّه ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

التيمن: الابتداء باليمين[2].

وترُجله: ترجيل شعره وهو تسريحه ودهنه[3].

وتنعله: لبس نعله[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٦٧/٢٦٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٣) المرجع السابق ٣٢٤/١.

(٤) المرجع السابق ٣٢٤/١.

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خصلة يحبها النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة خالٍ من المؤكدات غرضه إفادة معناه، وهو قولها (يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ) وهو البدء باليمين، وقولها: (في شأنه كله) يفيد عموم الحكم وقولها: (في طهوره) من ذكر الخاص بعد العام عناية به، والطهور: صيغة مبالغة من الطهر، ويراد به الوضوء، والغسل، وتقديم الطهور؛ لأنه مقدمة العبادات، وقولها (وترجله) وهو تسريح الشعر ودهنه و (في تنعله) أي لبس النعل، وحرصه على البدء باليمين لأَنَّهُ كَانَ يُحِبّ الْفَأْل الْحَسَن إِذْ أَصْحَاب الْيَمِين أَهْل الجنة.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الابتداء في الأفعال باليد اليمنى، والرجل اليمنى، والجانب الأيمن: لا خلاف بين أهل العلم على استحباب البداءة باليمين في كل ما هو من باب التكريم، والتزيين، والنظافة، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر. إلا من به علة تمنعه من ذلك، كأن قطعت يمناه، فلاحرج عليه[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (التيامن أمر مشروع في جميع الأعمال، لفضل اليمين على الشمال حسًا في القوة والاستعمال، وشرعًا في الندب إلى تقديمها وصيانتها)[3].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والشرح الكبير ١٠٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٠/١، والإقناع ٤٥/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤٣٣/٨.

فيبدأ باليمين من يديه ورجليه في الوضوء، والتيمم مثله، ويقدم الجانب الأيمن على الأيسر في الغسل، ويدخل كمه الأيمن قبل الأيسر في لبس الثوب، ورجله اليمنى قبل اليسرى في دخول المسجد، وكذا في النعل والخف والسراويل، ويبدأ بجانب فمه الأيمن قبل الأيسر في السواك، وبالعين اليمنى قبل اليسرى في الاكتحال، وكذلك يقدم اليد اليمنى في الأكل، والشرب، والمصافحة، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، والأخذ والعطاء، والجهة اليمنى في استلام الحجر الأسود، وقص الشارب، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغير ذلك مما هو في معناه.

ويقدم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط، والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف، والنعل، والسراويل، والثوب، والاستنجاء وفعل المستقذرات وأشباه ذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه.

رابعًا: من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله".

قال ابن حجر: (قيل لأنه يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة)[2].

قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾[3]، قال شبير العثماني:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٨.

(قوله: "في شأنه كله..." إلخ. "الشأن" الحال والخطب، وتأكيده بلفظ "كل" يدل على التعميم، وقد خص ذلك من دخول الخلاء، والخروج من المسجد)[1].

وقال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدها استحب فيها التياسر. قال: وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين في الوضوء سنة، من خالفها فاته الفضل، وتم وضوؤه)[2]. ولإعجابه ﷺ بالتيمن كان يأمر به ويرغب فيه.

وعن ابن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنتُ غلامًا في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: يا غلامُ، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَليك))[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

يظهر أسلوب الإجمال والتفصيل في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله. وهذا هو الإجمال، والتفصيل في قولها في طهوره، وترجله، وتنعله. وأسلوب الإجمال والتفصيل من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهذا أسلوب بلاغي رفيع، ففي الإجمال لا إخلال، وفي البيان لا حشو ولا إسهاب.

فقد ذكر الله في سورة البقرة، أنه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل، دون أن يبين أو يفصل في ذلك. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[4] فتتشوق النفوس، وتتطلع الأفئدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

---

(١) موسوعة فتح الملهم ٥٢٦/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٦٣.

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١])[٢].

ومن الشواهد على الإجمال والتفصيل ما ورد في قوله ﷺ: ((كلُّكم راعٍ ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِه : فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رَعيَّتِه، والرجُلُ في أهلهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّتهِ، والمرأةُ في بيتِ زوجها راعيةٌ وهيَ مسؤولةٌ عن رعيَّتِها، والخادمُ في مالِ سيِّدهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه))[٣]. فأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو إلى سماع الدعوة.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث إن المسلم مأمور بإتيان ما أتى به رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر)[٥].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾[٦] أي فتأسوا به في الأمر كله[٧].

رابعًا - من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه:

يظهر ذلك في تطبيق النبي ﷺ التيمن عمليًا في شأنه كله.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية، حتى يكون عمله مطابقًا لقوله، فلا يخفى أثر التزام الدعاة بما يقولون في نجاح الدعوة، أو في النجاة من المؤاخذة والحساب يوم الدين، ولقد مضت رسالات الله على التلازم التام بين الأقوال والأفعال وهو معلوم بارز، بل أساس وطيد من أسس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن الأمثلة على ذلك قول نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١].

فالداعية الملتزم يمضي قُدُمًا في سبيل الدعوة، ويحقق بفضل الله ما لا يحققه المتهاون أو المتخاذل المتكاسل[٢].

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيدًا فائدة القدوة في الدعوة، ويعلم جيدًا مدى اهتمام أصحابه رضي الله عنهم بالاقتداء به والتأسي بهديه، لذلك نراه حين أراد التخفيف عنهم في أمر، ألزموا أنفسهم العزيمة فيه، يبدأ بنفسه فيتابعونه عليه مقتدين به ومتأسين بفعله، فمثلا: إفطاره علانية أمام الناس عند فتح مكة ويوم حنين: روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خرجَ النبيُّ ﷺ في رمضانَ إلى حُنَين والناسُ مُختلِفونَ: فصائمٌ ومُفطرٌ. فلما استوى على راحلتِهِ دعا بإناء من لبن أو ماءٍ فوضَعَهُ على راحَتِه - أو على راحلتِه- ثمَّ نظرَ إلى الناس، فقال المفطرونَ للصُوَّم: أفطروا))[٣].

وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سافَرَ رسولُ اللهِ ﷺ في رمضانَ، فصامَ حتى بلغَ عُسفانَ، ثمَّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فشربَ نهارًا ليَراه الناسُ فأفطرَ حتى قَدِمَ مكة))[٤].

إن رسول الله ﷺ كان قدوة لأصحابه في خصال الخير وأنواع الهدى، وهذه بعض

---

(١) سورة هود، آية: ٨٨.

(٢) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ١٠، ١١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢٧٩.

سجايا الرسول ﷺ التي اتصف بها، والتي هي من أساسيات شخصية القدوة، التي يجب على المسلمين عامة، وعلى القدوات خاصة، التحلي بها تأسيًا برسول الله ﷺ[1].

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٣٢-٣٣٤.

الحديث رقم (٧٢٢)

٧٢٢- وعنها، قالت: كَانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ اليُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أذىً. حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب سابقه نفسه بدأته أم المؤمنين عائشة بأسلوب خبري غرضه إفادة معناه؛ لأنه لم يكن معلوماً لدى المخاطبين، وهو من باب تعليم الأمة حسن الأدب في العادات، وقد كان الصحابة يرجعون إليها فيما أُشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)[2]، وهو من الأمور التي تدلل على مكانة المرأة في الإسلام، وتقديرها مادامت مطيعة لزوجها مخلصة لربها، وقد بنت أم المؤمنين العبارة على المقابلة بين المعاني، فإن الضد يتضح إذا ذكر مع ضده فقد قابلت بين اليمنى، واليسرى، وبين الطهور، وما كان من أذى؛ لأنه في معنى النجس، كما قابلت بين الطعام، وبين الخلاء الذي هو كالضد منه، والتعبير بالخلاء كناية عن موصوف وهو ما لا يستحسن ذكره، وكذا التعبير بالأذى وهو من أدب أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها - كما أن في العبارة إيجاز بالحذف في قولها (كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ) أي مختصة، وكذلك في قولها (وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ) أي مختصة وسميت اليسرى؛ لأنها تيسر لليمنى عملها، فاليمنى هي الأصل.

وقد ورد في معنى هذا الحديث عن حَفْصَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ) الحديث: (٧٢٩).

---

(١) برقم (٣٣).

(٢) سنن الترمذي حديث: (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدامه ليده اليمنى ويده اليسرى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى.

ثالثًا: من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدمه ليده اليمنى ويده اليسرى:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى. وقول أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك".

فكان ﷺ يقدم اليمنى فيما فيه تكريم، مثل الوضوء والغسل والتيمم والثياب وكذلك الطعام، فلا يجوز أن يأكل باليسرى[١] لنهي النبي عن ذلك وقال ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))[٢]، وكان ﷺ يقدم اليسرى فيما فيه مهانة، وأذى كما في الاستجاء فقد نهى ﷺ أن يستنجي الرجل بيمينه[٣]. لأن اليمين محل الإكرام، ويؤكل بها ويُشرب بها؛ فينبغي إبعادها عن القاذورات، وكذلك كل شيء مستقذر. فإنه يكون باليسرى، فاليسرى تكون للأذى، واليمنى لما سواها[٤]، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٠٤٣، ١٠٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٠٤٥.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى:

يظهر هذا من عموم الحديثين[١]، حيث بينت عائشة وحفصة رضي الله عنهما استعمالات النبي ﷺ ليده اليمنى فيما هو مكرم ومحبوب من عبادات وطعام وغيره، واستعمالات يده اليسرى فيما هو مهان وضيع، وهذا من هدي النبي ﷺ الذي حرص عليه وأمر به، فينبغي على المسلم التأسي برسول الله في ذلك، وتعليم الصغار على استعمال اليد اليمنى فيما أمر به رسول الله ﷺ، واستعملها فيه، وتقديم اليسرى في غيره مما به أذى.

ومما ورد في ذلك عن عمر بن أبي سلمة قال: ((كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: يَا غُلاَمُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ))[٢].

قال القرطبي: (هذا الأمر على جهة الندب، لأنه من باب تشريف اليمين على الشمال لأنها أقوى في الغالب وأسبق للأعمال وأمكن في الأشغال، وهي مشتقة من اليمن، وقد شرف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، وعكسه في أصحاب الشمال. قال: وعلى الجملة فاليمين وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينًا، والشمال على نقيض ذلك، وإذا تقرر ذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عند الفضلاء، اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة، وقال أيضًا: كل هذه الأوامر من المحاسن المكملة، والمكارم المستحسنة، والأصل فيما كان من هذا الترغيب والندب)[٣].

قال ابن حجر: وقوله "فما زالت تلك طعمتي بعد" بكسر الطاء أي صفة أكلي، أي لزمت ذلك وصار عادة لي.

---

(١) حدرث رقم (٧٢٢)، (٧٢٥)..

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٩٥ - ٢٩٨.

قال وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه)[١].

والتأسي بالنبي ﷺ من أهم أعمال المسلم وأفضلها أجرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[٢]، أي: إلى الصراط المستقيم قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك لا يمكن، بل هو محال[٣].

ثالثًا – من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين:

ويظهر ذلك في نقل أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما لهدي النبي ﷺ في استعمالات يده اليمنى واليسرى وأخباره.

وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية، وذلك لأن النبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً، وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤] وعلى ذلك فمجالات متابعة النبي ﷺ والتأسي به في كل صور الحياة، وأنماطها، وأشكالها الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والفردية والجماعية... الخ[٥]؛ ونشر سنته ﷺ وتبليغها، من تمام محبته وتعظيمه، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ))[٦] وقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٧] وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَل الغَيثِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٣/٩، ٤٣٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب بن نواب الدين ص ٦٣.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٧) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

الكثِيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[1].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية المشار إليها في الحديث. فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا، مع حفظه للعلم، فانتفع أولاً ونفع ثانيًا، فهو لاشك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعي لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس، ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه[2]. لذا فينبغي على الدعاة نقل أخباره وهديه ﷺ للمدعوين، حتى يلتزموا بها ويقتدوا برسولهم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف محمد الحسن بحث ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨، ٨٩.

الحديث رقم (٧٢٣)

٧٢٣- وعن أم عطية رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لهن في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي الله عنها: ((ابْدَأنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم عطية الأنصارية: هي نُسيبة - ويقال: نسيبة بالفتح - بنت الحارث. ويقال: بنت كعب الأنصارية، معروفة باسمها وكنيتها.

أسلمت وبايعت النبي ﷺ وكانت من كبار نساء الصحابة، ومن كبار الصحابيات المجاهدات، فشهدت مع النبي ﷺ كثيرًا من الغزوات، وشهدت معه فتح خيبر، وكانت تتقن الأعمال الطبية، فكانت تمرض المرضى، وتعالج الجرحى، وتصنع الطعام. قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى[٢] وكانت من فقهاء الصحابة، فكانت تغسل الموتى، وهي التي تولت غسل بنت النبي ﷺ زينب كما في الحديث الذي نحن بصدده فأتقنت ذلك، وحديثها أصل في غسل الميت. وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت.

وكان النبي ﷺ يبعث إليها بطعام من الصدقة، فتهدي منه إلى بيت النبوة. قالت: بعث إليّ رسول الله ﷺ بشاة من الصدقة فبعثتُ إلى عائشة منها بشيء. فلما جاء رسول الله ﷺ إلى عائشة قال: هل عندكم شيء؟ قالت: لا، إلا أن نسيبة بعثت إلينا من الشاة التي بعثتم بها إليها. قال: إنها قد بلغت محلها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩/٤٢) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢-١٨١٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٦)، ومسلم (١٧٤ - ١٠٧٦) واللفظ له.

نزلت العراق وسكنت البصرة حيث نشرت علمها وفقهها. قال الذهبي: عاشت إلى حدود سنة سبعين[1].

الشرح الأدبي

قصت خبر هذا الحديث - أُمُّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها وقد صاغته في صورة خبرية مؤكدة بأن مع اسمية الجملة لتنفي أي شك فيما تذكر، أو لرغبتها في تعظيم الخبر في نفوس المخاطبين، أو لإحساسها بأهميته، وقولها (قال لهن) يقرر أنها لم تكن وحدها بل اشترك معها غيرها كما أن نون النسوة تقرر أن الذي قام بتغسيلها جماعة من النسوة، لأنه لا يجوز لرجل أن يغسل امرأة أجنبية، وقولها (في غسل ابنته) يشير إلى أنه، وإن كان في شدة الحزن، فلا ينسى أوامر الله، وقوله لهن: (إبدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها) على عادته في البدء بالميامن كما مرَّ في الحديث السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في غسل الميت.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت:

يظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها "ابدأن بميامنها، ومواضع الوضوء".

---

(١) الطبقات (٤٥٥/٨)، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٥٦/٧) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٢، والسير (٣١٨/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٨١/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢١٥٢/٣).

وهذا هديه ﷺ في غسل الميت مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وكان هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها[١]. والبدء في غسل الميت بالميامن وأعضاء الوضوء من الأشياء التي يُرغب فيها رسول الله ﷺ لأنه كان يستعمل يده اليمنى في كل تعبد وعمل فيه تكريم، وتغسيل الميت نوع من العبادة لمن يقوم به وتكريم للميت، فينبغي البدء بغسل الأعضاء الشريفة، وهي الميامن وأعضاء الوضوء.

وقد شرَّف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[٣].

قال السعدي: (قوله "وأما إن كان من أصحاب اليمين" وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم بعض التقصير في بعض الحقوق، التي لا تخل بإيمانهم وتوحيدهم، "فـ" يقال لأحدهم: "سلام لك من أصحاب اليمين" أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم، ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين الذين سلموا من الموبقات[٤].

فالبدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت؛ لأن الموت أول منازل الآخرة إنما هو ترغيب في التيامن، ورغبة من المسلمين في أن يكون الميت من أصحاب اليمين عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٧.

ثانيًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في غسل الميت:

يظهر ذلك في أمر النبي ﷺ لمن يغسلن ابنته "ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها". والمدعو مأمور باتباع أمره ﷺ لأنه لا يأمر إلا بخير وأما الذي يخالف أمره وهديه فقد قال عنهم الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١). أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا "أن تصيبهم فتنة" أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة "أو يصيبهم عذاب أليم" أي: في الدنيا، بقتل أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك(٢).

وعلى المسلم أن يتبع هدي النبي ﷺ في كل أقواله وأفعاله وليحذر من مخالفة هديه ﷺ.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: النساء:

إن من أصناف المدعوين في هذا الحديث النساء. ويظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها، إن النبي قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها...".

وقد اهتم الإسلام بالنساء، واعتبرهن شقائق الرجال، وشملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" في كثير من آيات القرآن الكريم، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول أن أول من أسلم وصدق النبي ﷺ امرأة "أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها" وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة" وأول من استشهد "سمية رضي الله عنها" وإن أسماء ذات النطاقين كان لها دور في الهجرة، وإن المرأة هي أم الشهداء "الخنساء" وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير، واحترام عال في شريعة الإسلام سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، ومادام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، والمؤثرات على الأزواج والمحارم فالعناية بهن عناية بالدعوة(٣).

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩٠/٦.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

الحديث رقم (٧٢٤)

٧٢٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِاليُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأْ بِالشِّمَالِ. لِتَكُنْ اليُمْنَى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

انتعل: لبس النعل[2].

الشرح الأدبي

بُني الحديث على أسلوب الشرط الذي يرتب الحكم على إرادة الفعل في قوله: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ) والفاء واقعة في جواب الشرط، ووجْه الابْتِدَاء بِالشِّمَالِ عِنْد الْخُلْع أَنَّ اللُّبْس كَرَامَة لأَنَّهُ وِقَايَة لِلْبَدَنِ، فَلَمَّا كَانَتْ الْيُمْنَى أَكْرَم مِنْ الْيُسْرَى بُدِئَ بهَا فِي اللُّبْس، وَأُخِّرَتْ فِي الْخَلْع لِتَكُونَ الْكَرَامَة لَهَا أَدْوَم وَحَظّهَا مِنْهَا أَكْثَر.

وبين انتعل، ونزع طباق يقرر المعنى، ويوضحه كما أن بين اليمين، والشمال، وكذا بين الفعل تنعل، وتنزع، طباق يقرر كيف يبدأ المؤمن، وكيف ينتهي في أمور هي من العادات حتى إذا ما وطَّنَ المؤمن نفسه عليها صارت كل حركة، وسكْنة عبادة لله تعالى - ومن هنا تتحقق البركة في العمر، وقد كان بعض الصالحين يقول إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، فالمؤمن يحتسب حياته لله في كل لحظة، وفي كل عمل مهما قلَّ؛ لأنه يعلم أنه محاسب على اللحظة بما فيها من عمل، ولذلك نجد الصحابة يرصدون حركة الرسول ﷺ بكل ما يحيط بها، ويرصدون لكل لحظة عملها الذي وقع فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٦٧/٢٠٩٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٢٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: المسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

من مهام الداعية التي تظهر من هذين الحديثين البيان والإيضاح، وذلك في قول رسول الله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال... إلخ الحديث" وقوله ﷺ "إذا لبستم وإذا توضأتم، فابدأوا بأيامنكم" حيث بيّن ووضح طريقة اللباس سواء كان ثيابًا أو نعلاً وغيره، وبين طريقة نزع الخف.

وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[2] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[3].

قال د. محمد محمود حجازي في تفسير قوله تعالى "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس..." (ما تشير إليه الآية: إن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأحكام الدينية وعلاقتها بمصالح الأمة، وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء فيثابروا ويتعاونوا ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر، فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ- تبيين الدين وحقيقته لغير المسلمين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

ب- تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد وداء كامن ومستعمر جاثم فوالله أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن، فتعلموه وافهموه وادرسوه، تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة. وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا)[١].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين دعوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع" قال ابن حجر: (قال ابن العربي: البداءة باليمين مشروعة في جميع الأعمال الصالحة لفضل اليمين حسًا في القوة وشرعًا في الندب إلى تقديمها) وقال النووي: (يستحب البداءة باليمين في كل ما كان فيه التكريم أو الزينة، والبداءة باليسار في ضد ذلك كالدخول إلى الخلاء ونزع النعل والخف والخروج من المسجد والاستنجاء وغيره من جميع المستقذرات، وقال الحليمي: (وجه الابتداء بالشمال عند الخلع، أن اللبس كرامة لأنه وقاية للبدن، فلما كانت اليمنى أكرم من اليسرى، بدئ بها في اللبس، وأخرت في الخلع، لتكون الكرامة لها أدوم وحظها منها أكثر.

وقال ابن عبدالبر: من بدأ بالانتعال في اليسرى أساء لمخالفته السنة، ولكن لا يحرم عليه لبس نعله. وقال غيره: ينبغي أن ينزع النعل من اليسرى ثم يبدأ باليمنى ويمكن أن يكون مراد ابن عبدالبر ما إذا لبسهما معًا، فبدأ باليسرى فإنه لا يشرع له أن ينزعهما ثم يلبسهما على الترتيب المأمور به، إذ قد فات محله. ونقل عياض وغيره الإجماع على أن الأمر فيه للاستحباب)[٢].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٥٩/٤/١ - ٦٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١٠.

ثالثًا – من أصناف المدعوين: المسلمين:

يظهر ذلك في توجيه الأمر في الحديثين لعامة المسلمين وذلك بقوله ﷺ: "إذا انتعل أحدكم... أي: أحد المسلمين، وقوله "إذا لبستم وإذا توضأتم". والمسلمون من أصناف المدعوين الذين يجب الاهتمام بهم، فكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا يفهمون منه إلا بعض صوره وأشكاله.

وهكذا حال الكثير من المسلمين، وهناك البقية المتمسكة بدينها الحنيف وبمبادئه القيمة وأخلاقه السامية، بيد أنه يخشى عليها وهي محاطة بهذه الأجواء الداكنة، فتحتاج هي وغيرها احتياجًا ملحًا إلى الدعوة إلى الله تعالى، ليرجع الجميع إلى دينهم الحنيف، ويفهموا حقائقه ويعلموا أنه دين الحق، ولا دين سواه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

إن المسلمين في حاجة إلى من يبصرهم بأمور دينهم، كما هم في حاجة إلى من يبصرهم بأمر أعدائهم ومؤامراتهم، شرقيين كانوا أو غربيين، ومدى عداوتهم للإسلام والمسلمين[2].

رابعًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فابدأوا بأيامنكم" حيث أمر رسول الله ﷺ بالبدء بالميامن في اللباس والوضوء، وذلك كان شأنه، فهو يحب أهل اليمين، لأن أهل اليمين من أهل الفضائل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[4] وكان ﷺ يعجبه التيامن في شأنه كله: ((في طُهورِه،

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي ابن الحبيب ص ٥٨ –٥٩.

(٣) سورة الحاقة، آية: ١٩.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

وَتَرَجُّلِهِ وتَنعُّلِهِ))[1] لذلك يأمر به في اللباس والوضوء وكل أمر فيه تكريم.

والأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في أمر المدعوين بما ينفعهم وما فيه خيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٨، ومسلم ٧٦، ٢٦٨.

الحديث رقم (٧٢٥)

٧٢٥- وعن حفصة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يجعل يَمينَهُ لطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ[1] لِمَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود والترمذي وغيره[2].

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنها ولدت بمكة قبل مبعث الرسول ﷺ بخمسة أعوام، تزوجها خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها، فلمَّا تأيمَّت ذكرها عمر لأبي بكر، وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبوبكر رضي الله عنه كلمة، فغضب من ذلك عمر رضي الله عنه، ثم عرضها على عثمان رضي الله عنه، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه عثمان، فقال له النبي ﷺ ((يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة)) ثم خطبها النبي ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فلقي أبوبكر عمر بن الخطاب فقال له: لا تجد عليَّ في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة فلم أكن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها[3].

وقد تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وقالت فيها عائشة بنت الصديق - رضوان الله عليهما - هي التي كانت تُسَاميني من أزواج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد طلق حفصة ثم راجعها بعد ما قال له جبريل عليه السلام ((راجع حفصة، فإنها

---

(١) لفظ أبي داود: (شماله).

(٢) برقم (٣٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٧)، وقال الحاكم (١٠٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٤٦/١): حديث حسنٌ.

(٣) أخرجه ابن سعد وهذا لفظه في بعض طرقه وأصله في الصحيح عند البخاري رقم ٤٠٠٥، ٥١٢٢. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٦٥.

قوّامة صوّامةٌ وإنها زوجتك في الجنة))[١].

وبهذه الشهادة الصادقة من أمين الوحي جبريل عليه السلام وعتْ حفصةُ مواعظ الله تعالى حق الوعي، وتأدبتْ بآداب كتابه الكريم حقّ التأدّب، فقد عكفت على المصحف تلاوةً وتدبُّرًا وتفهمًا وتأملاً، مما أثار انتباه أبيها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله تبارك وتعالى، مما جعله يُوصي بالمصحف الشريف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابنته "حفصة" أم المؤمنين، وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُهِدتْ الصحيفة التي كتب عليها القرآن كله إلى حفصة، وقد سأل عثمان رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردَّنها إليها، فأعطته إياها فعرض المصحف عليها، فردَّها إليها، وطابتْ نفسُهُ، وأمر الناس فكتبوا المصاحف.

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث بلغت في الصحيحين ٦٠ حديثًا.

وقد استمرت في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفيت بها سنة ٤١هـ وقيل ٤٥هـ. وصلى عليها مروان بن الحكم[٢].

المضامين الدعوية[٣] الشرح الأدبي[٤]

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ١٤٠١، وابن أبي عاصم ٣٠٥٢، والطبراني ٣٠٦/٢٣ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث انس، وفي إسناد الحديثين الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف، وأخرجه ابن سعد ٨٤/٨، والطبراني ٩٣٤/١٨، والحاكم ١٦/٤ من حديث قيس بن زيد، وقيس هذا تابعي صغير لكنه مجهول وروي من أوجه مرسلة عند ابن سعد ٨٤/٨ و٨٥، وأخرجه أبو داود ٢٢٨٣، وابن ماجه ٢٠١٦ من حديث عمر، والنسائي ٣٥٦٠، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها"، وهو صحيح، وهذا تخريج محقق الاستيعاب، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٨٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨٢/٨-٨٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٦٧/٧-٦٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٨٢-٨٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١٦٦٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٥٢٧/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٦٩/٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥٢٧/١)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٦٤/٢-٢٦٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٢٩/١-١٣٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٥) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٢٢).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث (٧٢٥) مع الشرح الأدبي للحديث (٧٢٢).

الحديث رقم (٧٢٦)

٧٢٦-وعن أَبي هُريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَأوا بأيَامِنِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فابدأوا بأيامنكم: أي البداءة بالميامن أي اليمين عند لبس الثياب والوضوء[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما سبقه من ناحية الموضوع، وهو التيمن في كل شيء، وقد جاء في أسلوب خبري بأسلوب الشرط المؤذن بقوة الصلة بين جملتيه، والذي يربط وقوع الجواب بوقوع الفعل وقد استخدم (إذا) كأداة للشرط وهي تمحض الفعل الماضي للاستقبال والمعنى في قوله (لبستم - توضأتم) أي إذا أردتم اللباس وإذا أردتم الوضوء، وهي الأنسب لهذا المقام؛ لأنها توحي بتحقق حدوث الفعل؛ لأن الفعل من الأمور المعتادة ففعل الشرط (لبستم) و (توضأتم) أمور متكررة في حياة المؤمن، وتقديم اللباس ؛لأن فيه ستر العورة وحفظ البدن، ومن الملاحظ أن فعل الشرط تكرر، وجاء جوابه واحداً، وهو قوله (فابدأوا بأيامنكم) وذلك لأن اللبس، والتطهر من باب الإكرام، واليمين أولى، وخص اللباس، والوضوء بالذكر، وكرر أداة الشرط ليؤذن باستقلالهما، وأنهما يستوعبان جميع ما يدخل في الباب أما الوضوء، فلأنه فتح لأبواب الطاعات كلها فبذكره يستغنى عنها كلها، وأما اللباس، فلأنه من النعم التي امتن الله بها على عباده في آية (قد أنزلنا عليكم لباساً) إشعاراً بأن الستر باب عظيم في التقوى، ولذلك لما عصى آدم ربه عاقبه بإبداء السوءة، ونزع اللباس.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦). وصحّحه ايضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٩٠)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٤٨/١): هذا حديث صحيحٌ غريبٌ.

(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا (٧٢٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٢٤).

الحديث رقم (٧٢٧)

٧٢٧- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتى مِنىً، فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنَىً ونحر، ثُمَّ قَالَ لِلحَلاَّقِ: ((خُذْ)) وأشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: لما رمَى الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَلاَّقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأنْصَارِيَّ رضي الله عنه، فَأعْطَاهُ إيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ، فَقَالَ: ((احْلِقْ))، فَحَلَقَهُ فَأعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: ((اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

منى: بكسر الميم وفتح النون، مكان قريب من مكة ضمن الحرم، يقيم فيه الحجاج أيام التشريق، سمى بذلك لما يُمنى فيه من الدماء[٣].

الجمرة: هي في الأصل: الحصاة، ويسمى الموضع الذي ترمى فيه الحصيات السبع: جمرة[٤].

نسكه: جمع نسيكة: الذبيحة[٥].

شقه: جانبه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥/٣٢٣).

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٥٠/٢، رقم ١٩٠٥) وقال: عن محمد بن سيرين، عن أنس، أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره، كذا في رواية ابن عون، عن محمد، ولم يزد، هكذا قال الحميدي، وهذه الرواية أخرجها البخاري برقم (١٧١)، ثمَّ ساق الحميدي هذا اللفظ الذي أورده المؤلف، وهو من أفراد مسلم.

(٢) برقم (١٣٠٥/٣٢٦) من حديث سفيان بن عيينة.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٤٣٠.

(٤) المرجع السابق ١٤٥.

(٥) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٥٦.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٠٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ق ق).

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث أنس ﷺ ويبدأ بأسلوب خبري يناسب مقام الإرشاد والتعليم، لأن المسترشد، والمتعلم يكون في يقظة لما استرشد عنه فلا يحتاج إلى أدوات تنبيه تصرفه إلى المتكلم، ومن ثَمْ ناسب البدء بهذا الأسلوب، وقد أكّد الخبر تعظيماً له، فهو إخبار بمناسك الحج، ولها ما لها في القلوب، وقوله (أتى منى فأتى الجمرة) فاء الربط توحي بسرعة الانتقال بين المشعرين، وقوله: (فرماها) يشير إلى ترتب الرمي على الإتيان دون فاصل زمني بينهما، وفي رمي الجمرات ملمح بديع يشير إلى منتهى الإنقياد لحكم الله دون تحكيم العقول القاصرة عن فهم مراده، فقد كان العربي في فترة ليست بالبعيدة يعبد تلك الحجارة، ويخضع لها، فجاء الإسلام، وحرره من عبوديتها، وأخضعه لله، وجعله في منتهى الانقياد له، فجعل له حجراً يُقبَّل إرضاءً لله هو الحجر الأسود، وحجراً يرجم إرضاءً لله إشارة إلى الطاعة المطلقة وأنها لله وحده فلا يجب أن يخضع مخلوق لمخلوق إلا بأمر الخالق ووفق مراده فيهما.

وقول الرسول ﷺ للحلاق (خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ) أمر إرشاد وتوجيه وإشارة الرسول ﷺ تقوم مقام قوله في التوجيه إلى التيمن في الحلق وهو ما قررته الأحاديث السابقة بالقول الصريح، وأكده هذا الحديث بالإشارة، والتلميح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر:

ويظهر ذلك في قول أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى مِنى، فأتي الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

قال النووي: (هذا الحديث فيه فوائد كثيرة منها: بيان السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة، وهي أربعة: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي أو ذبحه، ثم الحلق أو التقصير، ثم دخوله إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ويسعى بعده إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، فإن كان سعى بعده كرهت إعادته)[١].

وقد ذكر الحديث أفعال النبي ﷺ يوم النحر، وفي ذلك تعليم المسلمين مناسك الحج، فعن جابر أنه قال: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»))[٢].

ومعناه: خذوا مناسككم وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره، هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم، فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، وهو نحو قوله ﷺ ((صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي))[٣][٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه، فأعطاه إياه...". قال ابن علان: قول أنس رضي الله عنه: "... وحلق، وناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري" واسمه زيد بن سهل زوج أم أنس بن مالك "وأعطاه إياه" لأنه كان له ﷺ مزيد خصوصية ومحبة به وبأهله ليست لغيرهم من الأنصار ولا لكثير من المهاجرين، ولذا خصه ﷺ بدفنه لبنته أم كلثوم وزوجها عثمان حاضر، ولذا خصه الصحابة بأنه الذي حفر القبر الشريف، وألحد فيه النبي ﷺ وبنى فيه اللبن "ثم" أي: بعد أن ناول أبا طلحة "ناوله" أي: الحلاق شعر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٤.

الجانب الأيسر فقال: "احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس" لكن في رواية لمسلم أن الشعر الذي قسمه بين الناس شعر رأسه الأيمن، وأن الذي أعطاه أبا طلحة شعر شق الرأس الأيسر)[1].

وكون أبي طلحة خصه الرسول بالجانب الأيمن كله، يدل على أن من الناس من يختص بخصيصة يخصه الله بها، وإن كان من الصحابة من هو أفضل منه، فأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وكثير من الصحابة أفضل من أبي طلحة، لكن فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي ﷺ وبثيابه وبعرقه، لكن غيره لا يتبرك بشعره، ولا بثيابه ولا بعرقه[2]؛ فإعطاء النبي ﷺ أبا طلحة شعره يدل على فضل أبي طلحة رضي الله عنه.

قال أبو العباس القرطبي: (إن النبي ﷺ لم يخص أبا طلحة بأن يأخذ شعر جانبه الأيمن كاملاً له بل خصه بالتوزيع بمفرده) [3].

وفضائل أبي طلحة رضي الله عنه كثيرة. فلقد شهد العقبة مع السبعين، وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين. وله من الولد: عبدالله، وأبو عمير: أمهما أم سليم بنت ملحان.

وعن أنس بن مالك قال: ((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيَ بِالْمَدِينَةِ مَالاً. وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَا. وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاء. وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للَّهِ. أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَضَعْهَا يَا

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٠٥-١٠٠٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٠/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٣، ٤٠٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أراك الله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخْ وذلكَ مَالٌ رَابِحٌ. أو رايح. وقَدْ سَمِعْتُ ما قلت وإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ قال أبو طلحة أفعل يا رسول الله. قال: فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ))[1].

وعنه قال: ((كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ، قال: ويقول: يا رسول الله، نحري دون نحرك))[2].

وروي أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال: ((لَصَوْتُ أبي طَلْحَةَ في الجَيْش خيْرٌ مِنْ فِئَةٍ))[3].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: "من قتل قتيلاً فله سَلَبه" فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم.

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر، حتى لقي الله.

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا.

وقيل: أن أبا طلحة غزا بحر الروم فتوفي في السفينة، والأشهر أنه مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان.

قلت: وما روينا عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا. والله أعلم)[4].

ثالثًا – من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق:

فقد بيّن أنس بن مالك رضي الله عنه سنة النبي في يوم النحر وهي: رمي جمرة العقبة، ونحر

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦١، ٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٥٦١١، ومسلم ٩٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٦/٣ رقم ١٣١٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١١١/٣ برقم ١٢٠٩٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٤) انظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢١٥/١-٢١٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٧/٢ - ٣٤.

الهدي، والحلق أو التقصير والحلق أفضل، وكان من هديه في (الحج) الحلاقة، لكنه ﷺ لم يطلق هذا الهدي، بل أشار إلى عادة من عاداته وهي الأخذ بالجانب الأيمن أو الابتداء باليمين في أفعاله والتي منها الحلاقة؛ فإنه كان يحبُّ ﷺ التيمن في شأنه كله، وبعد ذلك أمر بتوزيع شعره على الناس، حرصًا منه على تشريكهم في التبرك به وفي ثوابه[1]، ثم دخول مكة فيطوف طواف الإفاضة.

والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة كما ذكرنا لهذا الحديث الصحيح، فإن خالف ترتيبها فقدم مؤخرًا أو أخر مقدمًا، جاز للأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا: ((افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ))[2][3]؛ فينبغي أن يحرص المدعو على اتباع هدي النبي ﷺ يوم النحر.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٣، ٤٠٧.

(٢) أخرجه الباري ٨٣، ١٧٣٦، ومسلم ١٣٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقديم اليمين على اليسار في كل فعل محمود يفعل، ويقدم اليسار على اليمين فيما سواه من أمور الخلاء، والحكمة في هذا مراعاة طبيعة النفس وطباع الآخرين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التيامن في كل ما هو من باب التكريم:

إن من الأهداف السلوكية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على استحباب التيامن في كل ما هو من باب التكريم، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي والأحاديث التي جاءت تحته تومئ إلى هذا، ومن ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلِّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وقولها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه ...»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ...»، وحديث حفصة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ...».

وهذه الأحاديث تبين حب النبي ﷺ للتيامن وتقديمها واستعمالها في كل ما هو فيه تكريم، قال الإمام النووي: "وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم"[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

وقال ابن مفلح: " ويكره لكل أحد أن ينتثر وينقي أنفه ووسخه ودرنه ويخلع نعله، ونحو ذلك بيمينه مع القدرة على ذلك بيساره مطلقًا، ويتناول الشيء من يد غيره باليمنى، وإذا أراد أن يناول إنسانًا توقيعًا أو كتابًا فليقصد يمينه"(١).

واليمين لها فضل وكرامة فأصحاب الجنة هم أصحاب اليمين، والمؤمن يقرأ كتابه بيمينه فالتيامن له كرامة وشرف، قال ابن الجوزي: "لما جعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليمنى لتناول الغذاء، لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى لأنه حط لرتبة ذي الرتبة ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضته الحكمة وافق الشيطان"(٢).

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجه إليه، ومما جاء في أحاديث الباب يوضح هذا الحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وحديثها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى»، وحديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل يساره لما سوى ذلك». ومن الممارسة العملية أيضًا حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَتَىٰ مِنًى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا. ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: «خُذْ» وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ».

ففي جملة هذه الأحاديث تتضح الممارسة العملية من النبي ﷺ في استعماله اليمين وحبه للتيامن في كل ما هو من باب التكريم.

"وأسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب الممارسة العملية وتؤمن بأنه هو

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٤٣/٣.

(٢) كشف المشكل، الإمام ابن الجوزي، نقلًا عن كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص١٥٧.

الترجمة الحقيقية لآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد، وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا مارسوا ما تعلموا من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[١].

إن الممارسة العملية أمام النشء تعطيه قوة دافعة إلى التنفيذ الفعلي للتوجيهات التربوية، وتحفيزه إلى الالتزام والتطبيق.

"إن أسلوب الممارسة العملية يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا.

وأسلوب الممارسة العملية له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل"[٢].

ثالثًا: التوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر وهو يتمثل في توجيه المتربي إلى الفعل وطلب تنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها: «ابْدَأْنَ بمَيامِنِها ومَواضِعِ الوُضوءِ مِنها»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا لبستم وإذا توضأ تم فابدؤوا بأيمانكم».

"وأسلوب التربية بالتوجيه المباشر يعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه، أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بأن يلقي الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[١]. أو بصيغة النهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ...﴾[٢]. وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[٣].

خامساً- التربية على التنظيم:

إن حضّ النبي ﷺ على البدء باليمين في كل ما هو من باب التكريم، إن حضه على ذلك بالفعل والقول يمكن أن يستنبط منه أنه تربية على التنظيم والترتيب، فاليد اليمنى تستخدم في أشياء معينة واليد اليسرى تستخدم في أشياء أخرى، فكان في ذلك دلالة على حب التنظيم ولو في الأشياء الحياتية المعتادة، وأما في الأمور ذات الخطورة فكان التنظيم فيها أولى.

لذا ينبغي على المربين والمعلمين أن يغرسوا في نفوس المتعلمين والمخاطبين حب التنظيم في كل شؤون حياتهم لما في ذلك من أثر كبير في تحقيقهم النجاح المأمول في الدنيا والآخرة، وبدون تنظيم تهدر الأوقات الثمينة وبدون التنظيم تذهب الجهود القيمة هباءً، وبدون التنظيم تبعثر الجهود المجتمعة ولا تأتي بالنتائج المرجوة.



(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. امين أبو لاوي، ص١٥٤.